

الأبواب من هبة سرك

بقلم

السيد عبد الحافظ عبد ربه

الناشر

مكتبة الأستقامة

روي - سلطنة عمان

١٩٨٦ - ١٤٠٦

الأبائنا من ذرئنا وذرئنا من ذرئنا

بقلم

السيد عبد الحافظ عبد ربه

الناشر

مكتبة الأستقامة

روي - سلطنة عمان

١٩٨٦ - ١٤٠٦

ملحوظة :

« لك عندي يا قارئ العزيز نسخة من كتابي هذا « الاباضية .. مذهب وسلوك » ، ونسخة أخرى من كتابي السالف « يائمة العرب » هدية وتحية أرسلهما بالبريد فور خطاب منك على عنواني المذكور بهذا الكتاب ، تأكيدا للود ، وتجديدا للعهد ، ووفاء بما التزمت به مع كل عربي ، ومسلم » .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ، فلكم وصاكم به لعلكم تتقون »
قرآن كريم

« افتترقت المجوس على سبعين فرقة ،
وافترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ،
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ،
وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ،
كلهم فى النار الا واحدا »

حديث شريف



جَمِيلٌ وَأَمِينٌ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْطَانُ وَأَبُو سَعِيدٍ الزَّمْعَانِي

الإهداء

إلى صاحب الجلالة السلطان « قابوس بن سعيد ، المعظم ، سلطان عمان حفظة
الله ورعاه .

ياصاحب الجلالة : هذا كتابي « الاباضية .. مذهب وسلوك ، أقدمه بين يدي
جلالتكم ، وأرفعه إلى مقامكم الكريم ، وفاء بما أزلت به نفسي أمام الله ،
وأداء لما قطعته من عهد لجلالتكم ، في أن أكشف الغطاء . وأزيح الستار ، عن
ذخائر العروبة ، ومفاخر الإسلام ، وما أثر العرب والمسلمين عبر سلسلة وعمان ..
والامبراطورية العربية . ..

ولقد تدبعت — ياصاحب الجلالة — في كتابي هذا ، أرومة العروبة ، وأمومة
العرب في منابها الأولى ، ومغارسها الأصلية ، وبدواتها العريقة ، ودرت معها
في أعماق الماضي ، وأغوار الأزل ، وبين منعطفات التاريخ ، وفي سراييب الدهور
والمعصور ، حتى عهد يعرب بن قحطان ، وأخيه وعمان ، .. وأوضحت في
الكتاب — ياصاحب الجلالة — مشوار مازن بن عضوبة ، من عمان إلى المدينة
المنورة — مهجر رسول الله ، ومقر حكومة الإسلام الأولى — حيث أسلم على
ييدي النبي ﷺ ، وبينت كيف أعلن عن اسلامه بين قومه ، ثم كيف حمل الاسلام
إلى عمان ؟

ياصاحب الجلالة ... ووقفت طويلا في عرض هذا الكتاب وشوارعه ،
وبين دفتيه ، وعلى مدى أبوابه ، مع « المذهب الاباضى » ، وأبنت أنه طريق
الدعوة إلى الله ، والطريقة السلفية الصحيحة — الحالية من التعقيد والتشديد —
والتي يجب أن يعبد الله عليها ، وتتأدى حقوقه من خلالها ، ويتعامل الناس عن
منهجها مع الحياة .

وقت - يا صاحب الجلالة - باستقطاب ، واستيعاب هذا المذهب من جميع مصادر ، وشتى مظاهره وخواطره ، ومن بطون الكتب ، والمكتبات ، وذخائر المطبوعات ، والمخطوطات ، وتوافرت على دراسة تلك الفرقة الناجية ، - وهى بعون الله دراسة أكاديمية موضوعية - قرابة السبعة أعوام .

والله أرجو أن تكون هذه الدراسة نافعة سالحة ، تؤدى دورا من أدوار العقيدة ، وتسهم كثيرا فى منجزات الدين ، وتضيف جديدا إلى فقه الشريعة ، وأصول العبادات ، وكيفية تعامل الناس مع الإسلام والحياة .

فإلى جلاتكم - يا صاحب الجلالة - أهدى هذا الكتاب . الأباضية . مذهب وسلوك .. والله من وراء القصد ، وهو ولى التوفيق ، والهادى إلى سواء الطريق ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير .

المؤلف

السيد عبد الحافظ عبد ربه
من علماء الأزهر

مقدمة

إن دراسة عمان عموماً ، والاباضية فيها على وجه الخصوص ، تربنا التماذج الرائعة الحية ، من البطولات العربية ، والشوامخ الإسلامية الفذة ، والعقريات العلمية الأكاديمية ، والتكنولوجيات المبدعة الخلافة ، في شتى مجالات السكون ، وفوق خريطة العالم ، وعلى مستوى الإنسانية كلها ، بما تنصلح به الدنيا ، ويستقيم معه الواقع ، وتصح عنده الحقيقة ، ويثرى فائضه رصيد البشرية ، ويتراعى حصاده زاهياً رابياً في أجواء العقيدة ، وآفاق الدين ، ويبدأ من لدته مشوار التاريخ ، وتنتقل حركات الحياة في إيقاع منسق منظوم ، وتوازن متقن منغوم .

إن عمان — وقد تداولها وتناوب الحكم عليها بنوصامة ، وبنو نهان ، واليعاربة ، والبوسعيديون — لتعتبر قمة في رفض التسلط والتعسف والتحكم وآية ثورية ملتهبة — كذلك — ضد أي ظلم أو اضطهاد ، أو ظالم أو مضطهد ، أو غاصب ، أو ناهب ، أو سالب ، ...

عمان ضد هذا كله.. ولقد نارت على كل هؤلاء، كما احتمت عمان كذلك بالإمامة — أو احتمت بها الإمامة — حقبة طويلة من الدهر ، بدما من الجلندي بن مسعود ، ومرورا بأئمة كبار منهم، الوارث بن كعب الخروصو، وغسان اليعمدي، ومنها ابن جيفر ، والخليل بن شاذان، وسلطان بن سيف بن مالك ، وبعرب بن سلطان ومحمد بن ناصر الغافري ، ثم أحمد بن سعيد — مؤسس دولة ابو سعيد بين سنة ١١٦٧ ، والذي دانت له السلطنة والإمامة معا ، وتخلقتا به ، وتعاقتا في رحابه وأولاده من بعده ، سعيد ، وسلطان ، ثم أحفاده — من ولده سلطان — سعيد ثم تركي ، ثم فيصل ، ثم تيمور ، ثم سعيد بن تيمور ...

وكانت عمان آنذاك — وفي ظل هذه القمم ، وتلك القيم الدينية ، ولا تزال

بمشيئة الله كذلك — رمزا للسلوك الاسلامي المذهب ، الذي يصحح أن يقاس عليه
ويحتذى به سلوك أى مسلم أو عربى ، عبر الأمة الاسلامية والعربية، ومن خلال
الآلاف والسبعمئة مليون ، بمن يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . ،
وينطقون العربية ..

أنا لا أتكلم فى مؤلفى هذا الاباضية مذهب وسلوك ، عن عمان الحضارة
والمستقبل ، أو عمان الأمل والعمل ، أو عمان النهضة والتقدم ، أو عمان
الدبلوماسية الهادئة ، أو عمان السياسة الحازمة الحكيمة ، أو عمان الصاعدة فوق
أكتاف النجوم والسماء ، أو عمان الواعدة بالخير والبركة والنماء ، أو عمان
التكنولوجيا الحديثة المطلعة ، أو عمان الدراية والاحاطة المستوعبة الواسعة .

فذلك كله موضعه وموعده مع مؤلفاتى القادمة ، عبر سلسلة عمان والامبراطورية
العربية - يسر الله لى أمر هذه السلسلة حتى أنجزها وأبرزها بعون منه تعالى —
وإنما سأقصر الكلام هنا عن عمان بين أحضان التاريخ ، عن عمان والعروبة
عن عمان المسلمة ، وكيف دخلها الاسلام ؟ عن عمان الاباضية ، وبيان الشروط
الكبير الذى قطع ذلك المذهب ، والقاء الضوء على هذا الرسم النبائى الذى سميت
الاباضية بأبعاده وآماده ، وخططت مساحته ومسافته تلك الفرقة الناجية ، فرقة
« أهل الاستقامة » ، وانطلقت به من عمان مشرقة مغربة ، هشمثلة مجنبة ، فى كل
بقاع الدنيا ، وأصقاع الحياة .

هذا المذهب الذى امتد نسبه إلى النبي ﷺ ، واستقى معينه من كبار الصحابة
بإذات ، ومن حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس الذى حمله فى صدره ، وبشر به
علماء الاسلام وفقهاؤه ، من أمثال جابر بن زيد ، وأبى عبيدة مسلم التميمى ،
وعبد الله بن أباض ، ومرداس بن حدير ، والربيع بن حبيب الفراهيدى ، ومحبوب
ابن الرحيل ، وطالب الحق أبى يحيى عبد الله بن يحيى ، وأبى حمزة المختار بن عوف
وبلج بن عقبة الأزدي ، وضمام بن السائب العماني ، وغيرهم كثيرين وكثيرين

من خيار هذه الأمة ، والذين قال الله تعالى فيهم وفي أمثالهم : « كنتم خيراً ما أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

وهكذا بدأت هوية هذا المذهب وملاحه ، وشخصيته . تتكامل كاتناسوريا ، في أعماق ، وفي أغوار ، وفي وجدان عمان - على الحقيقة - منذ أن بدأ الاسلام أول خطراته فيها ، وآتمذ وضع قدمه هناك على طريق - وفي أرض - هذه الغبراء التي قال عنها رسول الله ﷺ : « رحم الله أهل هذه الغبراء - يعني عمان - آمنوا في قبل أن يرونى فطوبى لهم » ...

هذا .. إلى جانب ذلك السبق الاسلامى فوق البيضة والطيبية العمانية ، والذي تمثل في أربعة من أهل عمان ، ومن كبار أصحاب النبي ﷺ ، وهم : مازن بن عضوبة السعدى ، وكمب بن برشة الطاسحى - أو العودى - وصحار بن العباس العبدى ، وأبو شداد بن أوس العمايى الذمارى ، وكلهم عمانيون ، أنبتهم عمان الولود التي تلد العابرة والافذاذ ، وتفتت الدعاء والهداة ، والاخيار والسكبار .

إن حضارة ، أو صدارة عمان ، لم تأت - كما أسلفت - من فراغ ، ولم تنشأ هكذا اعتباطا ، بل هيا القدر أمامها الطريق ، وأطاب لها المناخ ، وأمشى في مسيرتها النجاسات المواتية ، وشدها إلى المتاحات القاصدة ، في ظروفها الماضية والحاضرة ، والآتية ، وأعددها إعداداً كاملاً مرعياً معنيا . كي تتمكن من قطع الشوط ، وإكمال المشوار ، وتطوير آماده ، واقتحام أحجائه وأبعاده ، وأداء رسالة إصلاحية ، استجنت واختبأت في ضميرها ووجدانها ، وظلت حبلى بها حقا متطائلة من عمر الحياة ، حتى جاءها النخاص فيما اعترمته ، وقصدت إليه ، وقدمته للامالم في أسلوب من الوعي الجديد ، وصيغة مشرقة من الدبلوماسية ، وإثراء في رصيد الإنسانية جمعاء ، والمسلمين خاصة ، والعرب بالذات ، وعلى وجه الخصوص

من عدالة في الحكم، وطهارة في التعامل، وتعفف وعفة، وشرف ونزاهة، وإيثارية وتكافل، ومسئوليات وتبعات يدور عليهما المخاطر، وشعور فياض يتفاعل به الاحساس، ويستجيب لدعائه وندائه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فهل يمكنني حينئذ - وبعد ماسقت من آيات شهادات، واستنطقت من آثار وبصمات - أن أقول: إن عمان ظلت، وستظل أيقظ حراس الاسلام والعروبة، عبر آلاف السنين، وعلى مدى الدهور والعصور، بما فعلت وبما ستفعل في سبيل العرب، ومن أجل قضايا المسلمين؟

هل يمكنني أن أجهر بصوت عال مجلجل، وأقول - بكل ثقة واعتداد، ومباهاة وفخر - : إن فضل عمان على العالم كله - مسلمه وعربيه - كفضل الغذاء، والماء، والهواء . تمده بالفكرة، وتحميه بالعقيدة، وتصور لسانه عن الرطانة واللحن، وتملأ حياته كلها بكل أسباب العيش، وعناصر الحياة .

هل يمكنني أن أقول: إن عمان قد حمت نبتة الأباضية، وصانت نشأتها حيث تمخض عنها الفكر الاسلامي هناك، وحيث ترعرعت في بيتها، ومشت فوق أرضها، فاحتضنتها، وأشبلت عليها، ودافعت عنها، واعتقدتها مذهبا وسلوكا، وقدمت لها خيرة رجالها، وأفضل علمائها وفقائها، وعمان بذلك - وفي الحقيقة - تكون قد وفرت على المسلمين الكثير من الجهد والوقت، كما هدفت في ذات الامر إلى تحرير الارادة الإسلامية، والفكر الاسلامي من التمزع والتفرع، والتفسخ والتسرخ، في شئون الدنيا، وفي أمور الدين... وبذلك أيضاً تكون عمان قد قادت المسلمين إلى الطريق القاصد الواحد، والهدف الراسد الواحد، ومشت معهم في زحف مقدس، وصف منتظم راكض إلى حيث تكون الوحدة الاسلامية، والنرة الواحدة الناجية، التي عناها الله تعالى في قوله لرسوله: **وقل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني،**، والتي

ارتضاها النبي ﷺ ، وأخبر عنها حين قال : « افتقرت المجوس على سبعين فرقة ، وافتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستمترق أمقى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلا واحدة » ؟
إن الإسلام قد منى - منذ سنواته الأولى ، وخطواته الطرية ، أو بدءا من تعامله مع الحياة ، في عهد الخليفة الثالث - بالكثير جدا من الاضطرابات والفتن والكبير الخطير من البلايا والمحن ، حين تفرق المسلمون مزعا وشيعا ، وتنافروا أقساما وأرقاما ، وكادت شأقتهم أن تنقض ، وعصام أن تنكسر ، وأمرهم أن ينتهى وينقض . وزاد الطين بلة ، والقلب أوجاعا وعلّة ، هذا الهجوم الزاجف ، والطوفان الخاطف الراجف ، والموج الهائل المتلاطم ، الذى جاء في معية هذا الفسك الغريب الوافد على البيئة الإسلامية ، والمتمثل في الفاسقات اليونانية ، والوثنيات الاغريقية ، والشطحات الجوسية الفارسية ، والمتاهات الزرادشتية ، والترهات المانوية ، والبوذية . والبراهمية .

إلى غير ذلك من الديانات الشرقية الوضعية ، والاباطيل والاضاليل التى نفثها الشيطان فى أرواح أصحاب هذه الملل والنحل ، من أحلاسه وأبعاه وسدنته والمنفذين أمره ، والمتهجين نهجه ، والسائرين على حدها وخطاه... هذا إلى جانب ما أنقل الأمر ، وقسم الظهر ، من الفرق الإسلامية العديدة ، والطواير الطويلة المدينة ، التى أضعفت كيان العقيدة ، وأثقلت كاهل الدين ، بما ابتدع واتبع ، وبما أحدثوه بينهم ، وتنازعوا عليه ، واختصموا فيه ، وتسلاطوا عنده ضحايا وصرعى ، من مثل الاعتزال ، والمغالاة ، والجرأة واللامبالاة ، والتشيع ، والانحياز المتجهم المتضخم فى المعتزلة ، وغلاة الخوارج والصفائية ، والحشوية والمشية ، والقدرية ، والشيعة ، مع ما انتشرت إليه هذه الفرق والطواير من فروع وتشكيلات ، ومذاهب ومناحي واتجاهات ، وأيضا مع ما اندرج ضمن هذه اللافئات ، وانضوى تحت لواها ، من تسميات وأسماء ، ومسميات ، بما تفوق الهد وتجاوز الثلاث والسبعين فرقة بكثير وكثير... الأمر الذى يهر العادين ، ويحجز الحاسبين

ومن خلال كل هذه التراكمات والتناقضات ، والأعداد والكميات . وما يدور بينها ، ويحدث في صفوفها ، من نزاعات وخلافات ، وصدامات وانقسامات .. نرى تلك الفرة الناجية ، ، وقد خرجت وحدها من وسط هذه المعمة ، وجيم تلك المركة ، وهي تلوح بأغصان الزيتون ، وفروع الورد ، وقد هيأتها عمان ، وادخرتها لمثل هذا اليوم ، ولتقوم - قادرة ماهرة - بهذا الدور البطولي البارع الذي يحفظ على المسلمين وحدتهم ، ويبقى على كياناتهم ، ويصون لهم العقيدة والدين .

هل يمكنني بعد ذلك - وقيل ذلك - أن أقول : مرحى عمان ، ومرحى بما فعلت وأدت ، حين تمثلت كلها - بكل أجهزتها ، ومرافقها . ومؤسساتها . وطاقاتها وقدراتها - في هذا التجمع الإسلامي الكبير - وأغنى به المذهب الإباضي - الذي استنبطته في بيئتها . واستنبطته أسلوبيا للفقهاء الشرعي ، وصيغة للإسلام ، وطريقة للسلوك الديني الصحيح ، والعقيدة المصفاة النقية ، التي تراود الاحساسات والمشاعر وتطوف بالوجدانات والحواطر ، عبر الألف والسبع مائة مليون مسلم وعربي ، من مواطنون هذا العالم ، ويواكبون مسيرته ، ويرافقونه في مشوار الحياة ؟

هل يمكنني أن أواجهه - أو أجابه - المتشككين والمتشائمين من دعاة التفرقة المذهبية ، وأحلاس المرى المغرض ، والمتشنعين ، والمتعصبين ، وغلاة العقيدة ، والخارجيين على الجماعة ، والمقسوتين في بضاعة الدين ، والمترهلين ، عند بعض الفتاوى ، والجامدين على بعض الآراء ، من سمسرة القيل والقال ، ومعملاء التمتع والتمزق وكهان التفرق والتقسق ، وأصحاب هذا الفكر الجامد المعاند ؟

هل يمكنني أن أواجهه - أو أجابه - أو أقول لكل هؤلاء : أولئك : تلك هي عمان وقد اعتقت ذلك المذهب الإباضي الذي بعد بها ، - وبالعالم الإسلامي كله - عن هذه المتاهات ، وتلك الشذات والشفتشات التي دوخت الدنيا . وأتعبت

الناس . وآدت كاهل الكون ، وأنقلت عاتق الأيام ، وزلزلت — أو زعزعت — كاهل الوجود ؟

تلك هي عمان ، وقد تمذهبت بمذهب أهل الاستقامة ، واعتقدته منجاة وطريقا ، وفتاعلت معه سبيلا وسلوكا .

تلك هي عمان الماضي والحاضر والمستقبل أصالة وعراقة ، وأملا وعملا ، وبناء وطموحات وتطلعات ، ونهضة ويقظة ، وأمانة ونية ، وثبوة وهمة ، وذودا عن العروبة ، ودفعا عن الإسلام ، وحماية لقضايا الشعوب والأمم ، ووقفا صادقا صامداً ، وانعطافا منحازاً قاصداً ، مع كل مضطهد مغلوب ، أو عان مكروب ، أو يائس بائس ، يطحنه الذل ، ويمضغه الظلم ، وتسحقه الحاجة ، ويرغمه الفقر ، ويقهره الهوان ، ولا تفتأ التناقضات تلهب ظهره ، وتثقل إصره ، وتدق فوق رأسه بمطارق المعسكرات الدولية ، أو الاتهامات الحزبية ، أو التقوقعات الشعبوية ، أو الملامى الشيطانية ، الصيبانية ، كما ترى وتشاهد ، ونسمع ونقرأ ، من كل ما يثير الغشيان ، ويفضب الانسان . ويفر به — هاربا غاربا — إلى الغابات أو أدغال المارستان !!

إن العالم الاسلامي — وقد كانت تحكمه قوانين الاحتمالات . ونشطره اختلافات النقباء ، وتمزقه المذاهب ، وتقطع أوصاله الاجتهادات ، فردية كانت أو جماعية — بدأ يسترد أنفاسه اللاهثة ، وجهده المسكود ، وخطواته الراكضة اللاعبة — التي طالما أمشاهها على رؤوس الحراب ، وفي مقترق الطرق — في ظل هذه المؤسسة الوليدة الشرعية ، والتي انفرج عنها ، وتمخضها الفكر الاسلامي الصحيح المصنفي ، الخالي من التعقيد والتعصب ، والمنبثق أصلامن المنبع الاساسي للعقيدة ، والمصدر المنفق عليه بين رجال القرآن والحديث ، ورواد الفقه والشرعية ، وأساتذة الدين والايمان ، والذي اعتمده الرسول صلوات الله وسلامه

عليه بين أمته وجماعته ، مرجعاً لهم وقانوناً ، في قوله : « لقد تركت فيكم ما إن اتبعتموه لن تضلوا أبدى أبداً ، كتاب الله وسنتي » .

أقول : لقد توحد العالم الإسلامي ، واستراحت أمته ، في ظل ، وفي رحاب مؤسسة أهل الاستقامة ، أو « الفرقة الناجية » ، أو « الجماعة » التي نعتها الله تعالى بالخيرية في قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وأعنى بها « الإباضية » ، مذهباً وسلوكاً ، وسنة وطريقاً ، وتعاملاً وتداولاً .

وإن المتبجح لسلك هذه الطائفة ، وتناولها للدين ، وتعاملها معه ، ليدرك من أول وهلة ، ويعتقد يقيناً أنها الفرقة « الواحدة » - بين الفرق الثلاث والسبعين - التي ضمنت جوانحها على الدين ، واستقبلته في صدرها ، ومارسته ، وتعاملت معه كأسلوب صحيح ، وصيغة وضيفة مضيئة ، ومن هنا لا عجب أن تمذهبت بها عمان وأصدرت وأوردت كل شئونها الدينية والدنيوية من ثنايا ، - ومن خلال - ما أشير به وتدل عليه ، ونقف عنده ، وترشد إليه ، ونشق فيه .

ولست عمان وحدها في هذا الطريق الإباضي ، بل سارت معها ، وشاركتها المشوار طائفة كبيرة من البلدان الإسلامية .. كالجزائر في جملته ، ودول الخليج ، والامارات العربية ، والشام كله قبل تقسيمه وتدويله . ودول شرق أفريقيا وتونس . وليبيا . والجزائر ، ومصر مع نشأة المذهب وبداية انتشاره .

هذا .. وإن للذهب فقهاء وعلماءه الاجلاء الفضلاء ، الذين توافروا على اصنباط أحكامه . وتوضيح مسأله من الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح ، والذين ربطوا - عن منهجه ، وبرناجه - شئون الدنيا بشئون الدين ، وأطالوا يد الإسلام - بيضاء غراء - حتى التفت حول الأمة ، وأصاب كل شيء فيها بالتهذيب والتشذيب ، واحتضنتها ، واحسنت إليها ، كما دفعت عنها - وطاردت - كل دخيل أو غريب ، أو متلصص عليها ، أو منسأل إلى جواهرها ويمكن وناثمها ، إما

بفهد السرقة ، أو التلبس والتدليس فيها وغشها ، أو العمل على نسفها تماما !!
ولست في حاجة إلى الاسترسال الطويل في بيان ما أفادته الحياة عن طريق
الفكر الأباضي ، ولا سيما في العمل على جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ،
وانطلاقهم جميعا من مبدأ واحد ، وإلى غاية واحدة ..

وهانحن اليوم نرى من آثار هذا التفكك المذهبي — والطريقة التي تعبد الله
عابها ، والطريق الذي نقتطعه ونمشيه إلى تهاليمه : وأدام واجباته — ما يندى الجبين
ويشيب الطفل ، ويذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ويسكر الناس ، ويدعو إلى
الاسى والأسف ، والفجعة والمرارة ، فيما أصاب الدين ، وفيما أصاب المتدينين
من جراء ما غرقوا فيه إلى الاذقات ، من هذه التشكيلات المذهبية، وهالموديلات
وهالشيئية . .

إن ذلك يمزق كيان الدين ، ويفتت وحدته ، ويقضى عليه ، ويمزق بالتالي
كيان المسلمين المتدينين ، ويفتت قوتهم وتماسكهم ، ويقضى عليهم جميعا قضاءه
المبرم ، ويفنيهم الفناء الذي لاقيامة بعده أبدا ..

وهذا حتما من فعل الأبالسة الخبيثاء، أو السذج البسطاء.. أو أعداء العدة بدو الدين
ولن يسترجع المسلمون مجدهم الغابر ، وأمسمم الدابر ، وقوتهم الذاتية ،
وشمسهم الغاربة ، إلا بالاعتصام بمجبل الله جميعا ، وأن لا يفرقوا ، وأن يتحدوا
فيما بينهم ، وأن يتجمعوا في كنف إله واحد، ويجتمعوا على عبادته، وأن لا يقلبوا
وجوههم حائرين في الأرض ولا في السماء ، وأن يلبسوا الياقات المشفاة القابضة
التي لا تسمح لهم بالالتفات يمنة ولا يسرة ، وأن يتركوا عبادة الاشخاص ،
والهرولة إلى « الايد يولوجيات ، التي صنعها أشرار الناس .

حينئذ—وحينئذ فقط — يمكن للمسيرة الإسلامية أن تنطلق في ركب قوى —

قوامه أكثر من ألف وسبعائة مليون مسلم وعرايى - إلى غاياتها الصاربة في أحماق الحياة، والذاهبة في تطلعاتها إلى ما تبات السماء . وقد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . .

أقول : كان من أثر ذلك - أو كرد الفعل ، أو رجوع الصدى لكل تلك الشيطانيات ، والنجاتف ، اسكل هذه الكرنفالات ، - ان انعكست هذه الرؤية الكابية المعتمة ناطقة معبرة عن التمزق الشامل الخائق ، والحراب الداهم الخائق ، الذى أحاط بالامة ، وأصابها في شتى مرافقها ، وأجهزتها ، ومؤسساتها وفي حياتها السياسية بالذات ، ولاسيما ، وعلى الأخص المنطقة العربية - من الخليج إلى المحيط - التى يعايشها ويواطنه أكثر من مائتى مليون عربى ، الأمر الذى أطمع فيهم الأعداء ، وأغرى بهم السفهاء ، وجرم دائمًا إلى الوراى والخلف ، وساقم جميعا - وأبدا - إلى الهلاك والخنق . وشد الأمة إلى ما لله به عايم . فمكثرت فيها العلوانف والنحل ، وتهاوت في مستنقعاتها ، المجموعات ، و الشمل ، وتناوح بين أطلالها الخراب ، وتنازعها الهيات ، و الاحزاب . .

وهل يعقل يا قوم أن يتقاتل الاخوان ، أو يتقابل الشقيقان في معركة ، أو يختلف أهل البيت الواحد فيما بينهم ، أو أن يفتشغوا جميعا عن أمرهم ، حتى يتسلل إليهم العدو ، ويمزق كيائهم ، ويقضى فيهم قضاءه ، ويعمل جاهدا على نحو معتقدم ، وشطب دينهم ، ومسحهم كلهم من فوق خريطة الوجود ، وجغرافية الحياة ، كما نرى اليوم ، ونعايش هذه الاحداث المروعة ، في أفغانستان ، وباكستان ، واندونيسيا ، وماليزيا ، وبلغاريا ، والهند ، وفي أطراف أفريقيا ، وفي بعض الجيوب الاسيوية ، وخاصة في فلسطين ولبنان ؟

ولاشك أن من وراء هذا كله الاستعمار الكافر اللثيم، من وراء هذا الصهيونية والشيعوية والصليبية، والرأسمالية، وكل من ينتمى إلى هذا الطابور الغادر... وواويلتاه اووا إسلاماه وواعروبناه من كل هذا الذى أصاب العرب، ومن كل خطر رُصد متربص، مرتقب، يجره العدو المستعمر هنا وهناك، فى كل أصقاع الأمة، وفى كل بقاع العروبة !!

واويلتاه لهذه الأمة التى تجرت الأحداث جراحها، ومزقت الاختلافات أوصلها، وتآمر عليها بعض أبنائها من محترفى السياسة، وهشاق الزعامة، ومدمنى اللعبات الصيبانية، والمكائد الشيطانية، ومن كل من يساوم على عرضه، وأرضه ووطنه بالجاه، أو المنصب، أو المال !!

إن العدو قد وضع فى خطته، ورصد فى مفاكرته، ورسم فى استراتيجيته . وسجل فى موسوعته - منذ أن بدأ المشوار مع العرب - كل هذه التواءات، والكأداءات . فى طريق المسيرة العربية . حتى تتعطل المسيرة، ويتخلف العرب . ولا سلاح أمضى وأعمل فى مثل هذه المعركة - يستعمله العدو ويبارز به - إلا سلاح الشحنة والبغضاء، والتدابير والتناكر، الذى هب على الصف العربى - بفعل هذا العدو - والذى عصفت به أعاصيره، فتمرخ جدرانها . وحطم أركانها . ومزق بنيانها وأقى على قواعده من الأساس، وحتى أصبحت الأمة العربية اليوم أشبه بالاطلال والحرائب . التى يعيش فيها اليوم . وتعايشها الوطاويط . والخفافيش . والغربان والنؤبان . وكل ما له ظفر وناب، أو مخالب . أو فمك مفترس . .

وما اليوم . والوطاويط . والخفافيش . والغربان . والنؤبان . ومن له

الظفر ، والناب ، والمخلب ، والفك المقترس ، إلا هؤلاء الذين يتقاسمون هذه الأمة ، وهم مع الأسف ، من أبنائها ، ويتنازعونها فيما بينهم ، وكان الأجدد بهم جميعاً أن يدافعوا عنها ، كما يحرص كل من هذه الوحوش المتناوشة المتناوشة ، والكواسر الضواري ، على أن يهزم من هذه الأمة هبرة ، أو ينتزع منها بضعة ، أو يأخذ قطعة أو مضغة أو لقمة ، يسد بها جوفه النهم ، ويملا بها كرشه الشره ، ويحشى بها بطنه الضخم المترهل ، الذي يقول دائماً بقوله جهنم : د هل من مزيد ، ١١٤

يا أيها المسلمون ، ويا أيها العرب ، ماذا بقي لكم بعد ذلك ؟

يا أيها المسلمون .. لقد خدعكم العدو عن أنفسكم ، وعن ماضيكم ، وعن تاريخكم وعن إسلامكم ، وعن عربيتكم ١١

أنا كم أنكم أتباع محمد ، وأشياخ أبي بكر وعمر ، وتلامذة عبد الله بن عباس ، وجابر بن زيد ، وعبد الله بن أباض ، وأجناد خالد بن الوليد ، وأبناء هؤلاء الأصحاب : معاذ بن أنس ، وعمار بن ياسر ، واسيد بن حضير ، وأنس ابن قنادة ، وأوس بن ثابت ، وإياس بن زيد ، والحباب بن المنذر ، وحوشب ابن طحية ، وخارجة بن أبي زهير ، وخراش بن الصمة ، ورافع بن مالك ، ورفاعة بن رافع ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن خارثة ، والطفيل بن مالك ، ومحمد بن سلمة ، ومعاذ بن جبل ، ومعن بن عدي ، ونوفل بن الحارث ، والنعمان ابن بشير ، وعبد الله بن غرقة ، وقبيصة بن ذؤيب ، وسعد بن عباد ، وسفيان ابن بشر ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وغير هؤلاء من الأفاضل الأخيار ، والصحابه الأبرار ، الذين لفتوا وجه الدهر ، وغيروا مجرى المسيرة ، وفجروا ينايسع الخفير في ربوع هذه الحياة ...

يا أيها المسلمون في كل مكان... أفيقروا من نومتم ، واستيقظوا من سباتكم
الذي تغطون فيه غطيظ أهل الكهف ، وتنبهوا إلى هذا العدو الشرس اللثيم الذي
يزرع بين صفوفكم كل بذور الفرقة ، وكل أنواع العداوة ، وكل أصناف التحاسد
والتحاقد ، ثم أخيرا يخرى بعضكم ببعض ، ويشعلها - بأيديكم أتم - حربا
ضروسا ، وغارات شعواء لا تبقى ولا تندر !!

والا .. فخبروني بربكم : ماهذه المعارك الدائرة الجائرة بين العراق وإيران؟

ماهذه المعارك والمحارب التي تتراقص عاصفة قاصفة بين المسلمين بعضهم ضد
بعض ؟

من الذي أشعل فتيلها ، وأرقدنا رها ، وانزع منها ذراع الامان لتنتطقي
على الامة الاسلامية جبارة غدارة هكذا ؟

إن أعداء الإسلام والمسلمين هم من وراء كل ذلك... وفي مقدمتهم الشيوعية
والصهيونية ومن لف لفهما ، ودار في أفلاكهما ..

وإذا كانت عمان في القديم قد أخرجت العجم من ديارها ، واجلتهم عن بلادها
ولبذتهم تبذ الثواة ، ورمت بهم في كل ناحية واتجاه .

وإذا كان مالك بن فهم البطل العربي الأزدي العماني ، قد طرد الفرس من
الجزيرة العربية عامة ، ومن عمان بالذات ، وعلى وجه الخصوص ، فان السلطان
قابوس بن سعيد وهو مسليل الأزدي ، وحفيد مالك بن فهم ،
وفخر العرب ، وحامي حمى العروبة ، سيخرج الصهيونية - بشيئة الله -
من العالم كله ، ويتمقب الشيوعية ، ويطاردها في كل مكان ، ويظهر الوطن العربي
والخريطة العربية ، من الوجود الاسرائيلي . وسيشعل بهمه حاة الدم والوجود
من فلساين . والجولان . وطابا . ولبنان . وكل شبر أرض ، أو حبة رمل . عبر

أمة العرب، من الخليج إلى المحيط ، وقد أعد جلالته لذلك عدته ، وضاعف مجهوده وطاقته ، ووظف أمكاناته ، وقدراته ، ورمى بكل أنقاله في الميدان، وحشدو عبأ وجهز وهباً ، وأعد جيشه وجنده ، وأكد عهده ووعده ، لهذا الغرض السامي ، وذلك الهدف النبيل العظيم .

وإن ما يقوم به جلالته على المستوى الدولي العالمي، وحق على صعيد الاجماع العربى - من المؤتمرات ، والاجتماعات ، والندوات ، واللقاءات ، والجولات الميدانية ، والاستعدادات الدبلوماسية ، والعسكرية - ليدل على ذلك دلالة واضحة ، وان من يرصد خطوات جلالته ويمشاه على طريق الحق العربى ، يتأكد له يقيناً أن قضية العرب لن يفك اشتباكها ، ويحل ألغازها ، ويقضى فيها القضاء العادل المنصف - الذى يعيد إلى العروبة أمنها واستقرارها ، ويعمل على تحرير إرادتها، وتقرير مصيرها ومدينتها - إلا البطل المسلم العربى الأزدي العمادى الساطان قابوس بن سعيد ، وإنا لمنتظرون ، والله معه يحفظه ويرعاه .

إن الشيوعية والصهيونية هما المعسكران اللذان فتنا المساميين والعرب ، واغرياً بعضها ببعض ، وحرصاً - أو سلطاً - البعض على البعض لجملة أسباب . . . ومن أهمها :

١ - الحقد على الإسلام والمساميين ، والعرب والعروبة ، فالشيوعية لا دينية ، والصهيونية كافرة .

٢ - إقائة سوق للسلاح ، يتاجر فيه كل من المعسكرين على حساب الامة الاسلامية ، والامة العربية ، فالشيوعية والصهيونية تكسبان المليارات ، والمسلدون والعرب يخسرون ملايين الأرواح ، وملايين المليارات من الاموال .

٣ - التخطيط السافر - أو الملمم المقنع - للاستيلاء على مصادر النفط فى

حقول الاسلام والعروبة، وصراف - أو طرد - المسلمين والعرب عنها.. سواء كانوا إيرانيين أو عراقيين، أو خليجيين، أو عرباً على العموم، أو مسلمين عامة . هل كان يمكن الشيوعية أن تضرب الأفغان وتمتحم عليهم بيوهم لولا العرلة والفرقة ، والغربة التي يعيشها المسلمون ؟

هل كان يمكن للشيوعية أن تقيم القواعد والترسانات في الوطن الإسلامي لتتجمع فيها ، وتضرب منها الاسلام،، لولا تخاذل المسلمين وتفرقهم ؟
لعلكم أيها المسلمون قد أصابكم الترهل والاسترخاء ، حتى طمع فيكم العدو، وكرهكم الصديق ، على الرغم من كثرتكم ، وألف وخمسمائة مليونكم ، وحتى صدقت فيكم نبوءة الرسول ﷺ في قوله :

« يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة على القصاع ، قالوا : أو من قلة فينا يا رسول الله ؟ قال : ولا ، واسكنكم غثاء كثناء السيل ، وليزعن الله مها بستم من قلوب أعدائكم ، من حبكم الدنيا وكرهية الموت والجهاد ،

وأتم أيها العرب في كل مكان :

يا أبناء عمان ويعرب ، يا أبناء ربيعة ومضر ، يا أبناء الخوث بن مالك بن يزيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام .
يا أبناء الازد زينة الدنيا ، وفخر الزمان .

يا أبناء العباقرة العباهلة ، والاقبال الصيد ، والغر لابلها ليل ، والابطال الميامين نظرة متأنية إلى تاريخ أسلافكم وأجدادكم ، ورجعة إلى الماضي لاستيعاب مفاخركم وأجدادكم ، ووقفه مع العمالقة الشوامخ من أمثال مالك بن فهم ، والجاندى بن المستكبر ، والبوسعيديين الأشداء الاقوياء ، الذين نشروا مكارم العرب ، ورفعوا فضائل العروبة عالية خنافة فوق كل الاعلام ، وعلى مر الدهور والاعوام ...

أما العرب ، ماذا عساه يقول عنكم الآباء والأجداد ؟ ما صامهم يقولون عنكم اليوم ؟ وبأى لغة يقولون ؟ وما عساكم تعتذرون إليهم عن تفرقتكم وتزكمتكم وضياعتكم هكذا أوزاعا واتباعا ، وأصفارا وأصفارا ؟ .

وهكذا تداون الذموم العربي ، مع التريص اليهودى والصليبي ، مع ضغائن الدول الكبرى من مثل أمريكا وروسيا ، أو الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . من أجل هذا كله - وحفاظا على العروبة والاسلام - حملت همان فوق كنفها قضية التوم جميعا ، - مسلمين وعرب - وحملتهم على الالتزام بالمحجة ، واحترام أبعاد الجادة ، وحتم من التردى والهاوية ، واجتازت بهم هذا الطريق الجورى الصعب ، والمنعطف التاريخى البادر ، الذى يشد إلى دواماته ، ويتطلع فى لثاته ومناهاته ، من لم يلتزم بقواعد المرور ، ومن لم يخش عاقبة الأمور وذلك بمخالفة الدين ، واتباع الشياطين .

ومن هنا ، فإن عمان لانزل - ولم تزل ، وستظل - تلح على إلهماز ما خطته وانفاذ مارسمة ، واكمال ما بدأتها ، وخططت له ، وذلك عن طريق العقيدة والسلوك المنهجى المتوائم مع المذهب الصحيح ، الذى تترامى بين أبعاده ، وتوضح فى نطقه وآماده ، صور الحياة الاسلامية الكريمة ، التى أدرك بها السابقون الشوط والشأو ، وحقق بها اللاحقون ، الرجاء المنشود ، والامل الخلو ، وأعنى بهذا المذهب ، مذهب الإباضية ، الذين تناولوا به الدين فى سهولة ويسر ، وتعاملوا معه بطول نفس ، ورحابة صدر ، وتعاطوه برنامج عمل يقطعون به مفازات الحياة وصحراءها ، فى حراسة الدين ، ورعاية العقيدة ، وعناية ساهرة يقضى من تعاليم الاسلام ، . فلم يتشددوا ولم يتهصبوا ، ولم يغالوا ، ولم يغرغوا ، وكذلك لم يفرطوا فى معتقدم ، أو يتناولوه بضعف ، أو يتعاطوه بميوعة واسفاف ، وإنما كانوا بين ذلك قواما .

فأقد استنبطوا مذهبهم من القرآن الكريم . واقتبسوه من السنة الماهرة ، وسلكوا فى مسيرتهم إلى عبادة الله نفس الطريق التى ملسكها الصحابة ، وارتضاها

الإجماع ، وحرصوا كل الحرص على أن تكون خطواتهم على ذات الدرب، وفي نفس الطريق ، وفوق دافريز ، الشارع ، ومع السبيل التي قطعها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، في مشواره الطويل ، وشوطه البعيد ، جيئة وذهوبا ، على مدى مسيرته المباركة ، ورسالته الميمونة عبر الثلاثة والعشرين عاما ، ومع تحريم الصدق ، وحتمية الحق ، وبجاهدة النفس ، وريادة المعاناة ، والرياضة والترويض على المشقة والمقاساة ، حتى استبان لهم الأمر ، ووضح أمامهم الطريق ، وتبين للعالم أجمع ، - أو المخلصين المنصفين - أن هؤلاء هم أهل الاستقامة ، وهم في الواقع - وعلى الحقيقة - « الفرقة الناجية » التي أخبر عنها الصادق المعصوم ، والتي أمر الله رسوله أن يختارها ، ويفتجها سبيلا يوصل إلى عبادته ومرضاته في قوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصرية أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين ».

والمذهب الأباضي ، ليس عجيبا في الدنيا ، ولا غريبا عن الحياة ، وإنما هو العملة الصحيحة التي يجب تداولها وتناولها ، والتعامل بها في شتى الانحاء ، وفي جميع المناخات والأجواء ، وهي بعون الله عملة لا يخالها التزييف أو التليس ، ولا يطولها الوضع أو التدليس ، ولا يوجد في منطقتها العمل بين بين ، ولا التنكر في وجهين ، ولا المشي على الحبلين ، فالحق عندها واحد لا يتجزأ ، وكل لا يتوزع .

وحينما أشبل جلالة السلطان قابوس بن سعيد - بعطفه السابغ ، ورعايته اليقظي - على تعاليم هذا المذهب ، وأوصى باستمراريته وحمائته ، كان شأنه في هذا كله ، أن يحيط هذه المؤسسة الشرعية بكل أسباب الرعاية والعناية ، وأن يحرسها بكافة الضمانات والوقايات ، حتى تعشوشب أفرعها ، وتطول أذرعا ، وتمرخ أغصانها ، وتشدت سوقها ، ويتكاثف ظلها ، وتضج خيراتها وعمارها ، فيستظل بها الحران ، ويأكل منها الجوعان ، ويشرب من زلالها وسلسيلها كل عاطش أسوان ، ويخلد إلى تعاليمها ، وأدائها ، ومذهبيتها ، وأستاذيتها ، كل تائه ، أو ضال ، أو حيران ، في يبدأ هذه الحياة ، وفي صحرائها الشاسعة الواسعة ...

وبعد :

فقد قسمت كتابي هذا ، الاباضية مذهب وسلوك ، إلى ثلاثة أبواب ،
ومقدمة ، وخاتمة :

الباب الأول : عمان بين أحضان التاريخ .

الباب الثاني : كيف دخل الإسلام عمان ؟ .

الباب الثالث : الاباضية . . والفرقة الناجية .

وفي هذا المقام يطيب لي أن أخاطب الالف والخمسة مائة مليون مسلم ، والمائة
مليون عربي ، وأن أناشدهم الله والإسلام والعروبة ، وأن أناديهم جميعا ، وأهيب
بهم ، وأصبح عليهم ، وأصرخ فيهم — من تحت الانقاض ، والاطلال ،
والحراب التي خلفها العدو في ديارهم ، وأهتف عليهم : — حتام . وإلام . وعلام . يقولون
هكذا على هذا الوضع الشائن المرزى المخزى !

للمليونين جميعا مة واحدة ، وعلى قلب رجل واحد في تشكيل قوى ، وتكتيل
مؤمن ، حتى تستطيعوا — وأخيرا — أن تكونوا ، الكتلة الثالثة ، أو جبهة
العرب الإسلامية ، التي سيمكنها بمشيئة الله تعالى ، أن تقضى على الشيوعية ،
والصهيونية ، والصليبية ، والامبريالية ، والاستعمار كله بكل أشكاله وألوانه ،
وأن تحفظ توازن العالم ، وأن تعمل على استقرار الدنيا ، وأمن الحياة ؟ .

وذلك هو السؤال الحائر الذي أرجو أن أجيب عليه — بعون من الله —
في كتابي القادم ضمن سلسلة عمان . . والامبراطورية العربية ، والله من وراء
القصد ، وعليه الاعتماد ، ومنه التوفيق ، وهو حسبي ، وهو نعم المولى ونعم
النصير .

المؤلف

السيد عبد الحافظ عبد ربه
من علماء الأزهر

القاهرة في ١٨/١١/١٩٨٥

عنوان المؤلف :

جمهورية مصر العربية

٣٣ شارع دجلة — متفرع من شارع شباب — شقة ١٣ — مدينة المهندسين

الجزيرة — تليفون ٧١٧٦٣٧

الباب الأول

عمان بين أحضان الناريخ

بمشيئة الله وعونه :

لقد أسهمت عمان بكل ثقلها وأدواتها في تحضير الحياة ، وامتناع الإنسان بما قدمت وتقدم عبر التاريخ ، وعلى المدى الحضارى البعيد ، وقد يكون ذلك بفعلها المقصود مع الاصرار والتخليب ، وقد يكون ذلك عنو الخاطر ، نتيجة التفاعلات الطبيعية التي تتميز بها طبيعة عمان وتقتضيه استراتيجيتها الفذة المتميزة بجملة ملامح ، قل أن يجدها الباحث في غير عمان من البلاد العربية وغيرها من سائر بلاد العالم على وجه العموم . . . وعلى الاطلاق . .

سواء من الناحية التاريخية ، أو من الناحية الجغرافية ، أو من الناحية المنهجية في سلوك الإنسان العماني وتكوينه ، فلقد أوغلت عمان في أحشاء الماضى ، واندفلت في أعماق التاريخ ، وضربت بسهم وافر في معطيات الحياة ، وكان لها الأثر الكبير الفعال في النهوض بكثير من الأمم التي زامنتها وعاشت معها على خريطة العالم منذ نعومة أظفاره ، ومنذ أن تفتحت عيناه على هيكل الرسالة التي من أجلها خلقه الله ، والتي من أجلها أيضا استخلف الله الإنسان في الأرض ، وبأهى بذلك الملائكة في قوله تعالى : « إني جاعل في الأرض خليفة » .

وإن المتتبع للرحلة العمانية في مشوارها الطويل عبر آلاف السنين قبل الميلاد وبعده ، بل حتى قبل ترشيد التقويمات الفلكية ، والحسابات الزمنية ، منذ عهد السومريين والعماليق والأشور والتبابعة ، ليرى - من خلال هذا كله - عمان في طبعها الانيقة الوضيئة ، وصورتها الذكية المهيمنة ، وأبرز ما يتجلى هذا في الأسلوب الحضارى المتقدم ، والسلوك الرائد الملتزم ، ولاسيما في هندسة التشييد والعمارة ، وشئون الإدارة والتجارة ، وفنون الفلاحة والزراعة والملاحة . وبالأخص في بناء الانسان ، وحرص الطريق تحت أقدامه ،

وتجميل مساره ومصيره بالمثل، والقيم، والمبادئ والأخلاق، إلى الحد الذي أدهش المراقبين الدوليين، وأذهل أهل الخبرة والدراية والاختصاص .. ولعمان مع التاريخ مواقف مشهودة، وآيات معهودة، ومواثيق قل أن تتسرب إليها الجحالة، أو يعثب بها النسيان، فعمان في الحقيقة كانت هي واجهة الجزيرة العربية كلها، وكانت هي المرأة - أو المرصد - التي نترامى على صنعتها أو يتفاعل في ترمومتره صور الحياة الحقيقية، أو نبض الوجود الصادق، وشوره الحساس، ووجدانه المتدفق الفياض، ومن هنا كانت عمان عطف أنظار العالم، ومرصد مناظيره وتطلعاته، وكانت الرؤية الوردية الجميلة التي يسعد كل متطلع إليها، أو حالم بها، أو مدله فيها، أو عاشق لها .. أو باحث سابع يرجو من بحثه وسبحه الوصول إلى شاطئه الرافع، واقتناص شوارد الفسحر وأوابده ..

عمان والجزيرة العربية :

وإن نظرة واحدة متأنية إلى جغرافية العالم وخريطته ترينا بصدق ووضوح موقع عمان فوق سطح هذه الحياة، ووسط أعماقها وتراكماتها، كما ترينا بالتالي مكانها ومكانتها هنا وهناك ... ولقد أكثر في ذلك المؤرخون والكتاب، وأصحاب السير والمؤلفات من الأنارب والأبعاد، والمستشرقين والمستغربين، قال ياقوت الحموي : . . إن عمان - بضم الأول وتخفيف الثاني وآخره نون قبلها ألف لينة - كانت تشتمل على معظم الجزيرة العربية، وتحوى بلداناً كثيرة، ذات نخيل وزروع، وهي من أخصب أجزاء العالم، وتميز تربتها بالاستجابة الأكيذة للاستزراع والاستنبات، يساعدها على ذلك مناخ طيب وطبيعة ثرة مطاءة، وهي تتمتع المذهب الأباضي، وتعبد الله عليه، وهو المذهب الصحيح الذي وافق سلوك صاحب الدعوة صلوات الله وسلامه عليه، وتابعه فيه أصحابه من الخلفاء الراشدين والتابعين لهم

والمخلصين من أهل الاستقامة الذين باعوا أنفسهم لله ، وتجردوا المناصرة الحق فوق دروب هذه الحياة . . .

وقال ابن الأثير : يطلق اسم عمان في القديم على قطر والبحرين والاحساء والشحر والإمارات ورأس الخيمة والشارقة وأجزاء كثيرة من الحجاز ، ومنها واحات الريمى ، ويمتد على بحر العرب ، وتعمم رأسه بالجبال الشاهقات — رؤوس الجبال . أو رأس أم سندم — وتمكاد تلامس هذه الرأس ساحل إيران عند مضيق هرمز الذى يفصل الخليجين — خليج البصرة وخليج عمان — بعضهما عن بعض ، ويستند برأسه مرة أخرى على ساحلى البحرين اليمنى والهندى وأعلى جباله، الجبل الاخضر الذى يرتفع أكثر من عشرة آلاف متر عن سطح البحر ، ومنطقة هذا الجبل من اخصب مناطق عمان ، وعمان فى مجموعته وجميعه جنة الله فى أرضه ، وآيته بين عبادته وخلقه . . .

وفى القاموس . . . إن بحر عمان يكاد ينفرد وحده — دون بحار العالم — بمناصاة التولذ وكثرة خيراته . واهل ذلك راجع إلى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لاهل عمان حين استدعاه مازن بن غضوبة بعد أن أسلم وقال له : ادع الله يارسول الله لاهل عمان . . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أهدمهم وأنهم ، .. فقال مازن : زدنى يارسول الله ... فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم أرزقهم العفاف والسكفاف ، والرضى بما قدرت لهم ، .

فقال مازن - طامعا أكثر فى عطف الرسول - : يارسول الله ! البحر ينضح بجانينا ، فادع الله فى ميرنا ، وخفنا ، وظلفنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم وسع عليهم فى ميرتهم ، واكثر خيرهم من بحرهم ، فقال مازن : زدنى . . فقال النبي : اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم . . . وقال مازن : قل آمين فإنه يستجاب عندهما الدعاء

آية الله في الأرض :

وقال الزجاج : إن بلاد عمان تشبه اليمن بجوها المتساقط ، وأوديتها انخسبة ، وجبالها من أمر بقاع العالم خصباً وعطاء ، حيث تزرع فيها كل أنواع الزروع والزهور وتهب عليها ألطف الرياح ، وتتغامل معها الامطار في مواسمها بأدب وتلطف ورة ، وفي عمان قنوات كثيرة ، وأفلاج عديدة ، تجرى فيها الينابيع العذبة إلى المدن والقرى ، من عهد نبي الله سليمان عليه السلام ، وأهلها متحضرون ويسكنون العمران ، وعلى سفوح الروابي ، وفي الاودية السهبة المنبسطة ..

ووصف ابن أبي شيبة عمان في كتابه الرسيط ، وتناولها في كتاباته باليسط والتحليل ، حيث يقول .. إن عمان هي المرادة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخوض ، إذ يصف عرضة بقوله .. وعرض الخوض من مقامى هذا إلى عمان .. ويتوغل في أعماقها ويبرزها صورة واضحة أمام الناظرين ، ويرسمها بريشة فنان صادق يستغلب كل جوانبها ، وأهم زواياها ، ويقرر ... إن عمان يطلق على قطر كبير يمتد من الشحر هلى بحر العرب إلى شبه جزيرة قطر في خليج البصرة ، كما يقرر كذلك - في أكثر من موطن - إن بلاد عمان كبلاد اليمن من حيث خصوبة التربة ، وصفاء الجو ، وملاءمة المناخ ، وترتفع جبالها في الداخل وعلى الساحل ، وتوجه إلى الشمال حيث تعلو بقامتها الشاهقة ورأسها الشامخة إلى كبد السماء ، غير أن كثرة المراعى الجيدة في السهول الواقعة وراء الجبال ، جعلت قسماً كبيراً من السكان يفضلون حياة البداوة ، ويتشرون في تلك السهول ، وتشتهر عمان بالهجن المائيات التي تصدر منها لسائر أقطار جزيرة العرب ، ومن أهم مدنها صحار ، ومسقط ، ولوى ، وبركا ، وسمائل ، ومخل ، وشناص ، ومطرح ، والرستاق ، ونزوى ، وصحم ، والسويق ، وصور ،

وقلها، وظفار، وتروى.. والساحل يقع على الخليج أمام سلسلة الجبل الأخضر وأخصب مناطقه سهل الباطنة، وأهم مدن هذا الساحل الشارقة، ودبي، وأبو ظبي، ورأس الخيمة، وعموما فإن مسقط ومطرح هما العينان الباصرتان في الساحل، وأما الجبل الأخضر فهو أعمد بلاد عمان على وجه العموم، وهو عرش عمان، وحصنها الرفيع المنيع . . .

وقال صاحب كتاب معالم الجزيرة، : إن عمان جزء كبير مهم من الجزيرة العربية يقع إلى الجنوب الشرقي منها، وهو في تكوينه يشبه المثلث، رأسه إلى الشمال، وينطج به بلاد فارس، وأما قاعدة هذا المثلث فهي ترتكز على خط وهمي يمتد بين قطر ومسقط، والساحل العماني في تكوين هذا المثلث يشكل شبه جزيرة، وهو يشمل المحميات السبع، وبضعة من مسقط، وأما باقي القطر فيستوعب مسقط، والجبل الأخضر، وعلى قاعدة المثلث من جهة الجنوب تقع واحات البريمي، وتأتي صحراء الربع الخالي من الجهة الرابعة لعمان . . .

وقال المسعودي في المروج: إن عمان إمارة عربية تمتد حدودها من ظفار غربا في حدود حضرموت الشرفية حتى رأس الخيمة، والمشيخات الصغيرة الواقعة جنوب قطر شرقا على الخليج الفارسي، وتمتد جنوبا من البحر العربي حتى الربع الخالي في الشمال، وأهم مدنها مسقط على الساحل، وهي عاصمة آل بوسعيد، ونظام الحكم فيها مدني، أما عاصمة عمان في الداخل فهي نزوى وهي عاصمة إمام عمان، ونظام الحكم فيها ديني . . .

شوط ورحلة :

وفي تحفة الأعيان، قال ابن خلدون— في تعريف عمان—: إن عمان من مالكة جزيرة العرب المشتملة على اليمن . والحجاز، والشحر، وحضرموت، وعمان وهي قائمة على بحر فارس من الغرب، وبحر الهند من الجنوب، ولاد

حضر موت من الشرق ، والبحرين من الشمال ، وهي كثيرة النخل والفواكه ،
وفيها الكثير من المياه والأسواق والهساتين ، وما ولي البحر منها فهو سهول
ورمال ، وما تباعد عنه فهو حزون وجبال . .

وقال الأندلسي في كتابه « زاد المسافر » - يصف أعمال البراكين في تكوين
الجزيرة - : إن البراكين في القديم هي التي كونت الجزيرة ، على هذا الوضع
الحاضر ، وأن الحرارة التي نحسها في جزيرة العرب ، هي من فعل البراكين ، ولا
تزال مخزونة في أحشاء الأرض وأعماقها ، وهي اندفاعات بركانية خلفت لنا
الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة ، فأمسكتها عن التفتت والذوبان ،
ولقد حدثت حركات أرضية عنيفة ، وهزات جيولوجية - فوق هذه
الأدوار القديمة - تسبب عنها تكوين أخاديد البحر الأحمر ، وانقسام
القارة العظيمة إلى قسمين ، قسم غرب البحر الأحمر ، وهو ما يعرف اليوم باسم
القارة الأفريقية ، وقسم آخر شرق هذا البحر ، وهو ما نعرفه باسم بلاد العرب ،
وقد تكونت عمان والجبل الأخضر كذلك بحركات أرضية مماثلة نتيج عنها
ما نلحسه وتتفاوت فيه العين من جبال ووديان ، ومرتفعات وأخاديد ، وسهول
ورمال ، وعيون وأفلاج ، . . . ولعل هذه الحرارة التي نحسها بوضوح في الجزيرة
هي حصاد تلك البراكين أو الغازات ، ولعل عمان بالذات من أكثر بلاد
الجزيرة غازات وبراكين . .

الإنسان والخریطة :

أما المستر « توماس » - المؤرخ البريطاني - فيقول عن عمان :

إن عمان هي رأس شبه الجزيرة العربية في الشرق ، وفي الرأس جميع الحواس ،
وفيها الذاكرة والقرات المنكرة ، وتقع مسقط من هذا الرأس موقع العين اليمنى

أما صور ورأس الحد وما يليهما، فهي المنخفض بين الأذنين إلى أصل العنق، وأما مصيرة والدمع وما يليهما، فهي العين اليسرى اعمان، وأما الشرفية إلى نزوى وعبرى، فمئين الهامة والوريد؛ وأما صحار والشارقة ودبي إلى أبوظبي، فمن العذار الأيمن، وأما الرهل الجنوبي إلى فهود والجبال، وما إليها من منابع البترول الحالية الواقعة في أحواز الدرورح، فمن العذار الأيسر، وأما واحات البريمي، فهي البلعوم الذي يستساغ فيه الطعام والشراب، وقاب هذا الجسم العماني كله هو الجبل الأخضر، فيه يمينا، وبه يقوم ويحتفظ بمقومات الحياة، من عروقه وشرائينه وأوردته، يد عمان بما يمد به القلب دائما سائرا لجسم، ويضخ فيه الدماء ولعله الجبل الذي اعتصم به ابن نوح وآرى إليه في حادث الطوفان حين قال - كما قص القرآن -: «سأرى إلى جبل يعصمني من الماء»، وهذا الجبل هو حصن عمان المنيع، وما يزال - حتى اليوم - يتحصن فيه أهل عمان من الغارات المزعجة المفاجئة، وأما قطر فهي قفص الصدر الأيمن، ورمل الاحقاف هي القفص الصدري الأيسر للكيان العماني المتكامل.

وانطلاقا من هذه الخريطة الاطلسية، فإن عمان من الجانِب الشمالي، سهل مستطيل غير متسع عرضا تسبح فيه العين، وتعموم في محيطه الخواطر، وهو من الجانب الجنوبي، رمل ناعم متكدر متراكم، بعضه فوق بعض خصب معشوشب يذبت الكلا والشجر، وأما القلب فهو حجر خشن صاقل لا تزحزحه الرياح ولا تتال منه الاعاصير، ولا يذوب في حر الشمس، ولا في صهد النار، تحف به الرياض الزهراء، والحدائق الغناء، والغياض الخضراء، والمرامى المتسعة، والأشجار الطيبة المثمرة، والانهار المتدفقة المنهمرة، والمملكة السعودية - وسط هذا كله - أشبه ما تكون بالبطن المفرطح لهذا الجسم القوي السوي، وعموما فإن عمان هي القلعة الشاخنة القائمة بين الهند وإيران والمملكة العربية السعودية،

وهي قلعة عريقة البناء ، متينة الأركان ، عالية الجدران ، محكمة الوضع ، بديعة الشكل والصنع ، وضع أساسها الله ، وأقام بناءها مالك بن قهم ، وأحاط سورها الجندي الأكبر ، وشيد أركانها آل يعرب ، وحافظ على بقائها وبنائها أحمد ابن سعيد ، وأمدها بروح من عنده ، وقوى شبابها بشبابه قابوس بن سعيد .

كرسى الجزيرة :

وفي تحقيق هدهد الجزيرة ، للرحالة فيليبي ، - حين استعرض عمان قديما ، وقارن بينها اليوم - يقول : إن عمان الطبيعية تقوم على رقعة كبيرة جدا من الجزيرة لها أهميتها في الجاهلية والإسلام ، وكان لها أئمة وملوك وسلطين - وما زالت - مله سمع الدنيا وبصر الحياة ، حين لم يكن للسعودية آنذاك ذكر أو خبر ، حيث أسسها مؤخرا سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان العنزي ، الذي زحف من الدرعية مع بعض رجاله في منتصف القرن ثلثاني عشر الهجري ، إلى ماصارت عليه السعودية اليوم ، أما عمان فلقد نبوا عرشها ، وتولى أمرها ، وجلس على دست الحكم فيها أكثر من سبعين ملكا وإماما وملطانا على مدى ثلاثة عشر قرنا حققوا فيها العدل ، وأرسوا قواعد الحرية ، ووطأوا اكناف الحق ، ووضعوا الموازين القسط بين الناس .

وإن عمان باتفاق المؤرخين القدماء كانت تشمل إمارات كثيرة ، منها : أسياف البحرين ، وقطر ، والعمير ، وهجر ، وحضرموت ، وجزائر كوربا موربا ، وجزيرة مصيرة ، وغيرها من معظم بلاد العرب في الجزيرة إلى رأس الرجاء الصالح ، فهي اسم شامل لهذه الامارات كلها ، وتقع واحات البريمي في القلب منها ، ولا علاقة لها بأى قطر من أقطار الجزيرة .

فعمان - كما قيل عنها - كرسى الجزيرة في الشرق ، وهي كثيرة المعادن المتنوعة ، والخيرات الناضرة الراضعة .

هكذا كانت عمان إلى أن تغيرها الواقع وصارت إلى ما هي عليه ، حتى

أن بعض الدول العربية اليوم - والتي كانت بالنسبة لعمان أشبه بحروف الجر في تبعيتها لها ، وتعلقها بها ، ودورانها في فلكها ، والتي كانت في الحقيقة أجزاء متلاحمة منها - أصبحت وباللأسف تستنكف ذلك التاريخ وتعييه وتنكره ..
ولله في أمره شؤون...

جغرافية ومناخ :

ويقول صاحب جغرافية الشرق الأدنى ، - إذ يذكر الشحر - : إن هذه المقاطعة تقع شرق شمال مهرة وهي قطعة من عمان ، كما أن جزر كوريا وجزيرة مصيرة هي كذلك أجزاء عمانية باتفاق جميع المؤرخين ، وإن قطر وأسياف البحرين والعمير وصائر البلاد التي تقع على ساحل الخليج بين البصرة وعمان كانت كلها بلدا واحدا عمانيا في أيام بني العباس ، وقد أجمع كثير من المؤرخين المعروفين كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم ، على أن عمان - بحدوده القديمة التي أسلفت الحديث عنها - كان يساوي الجزيرة العربية كلها ، وكان يعد لها جميعا ، ويتفوق عليها في الحضارة والتقدم ، والسلوك العربي المهنّب الذي استنته الشريعة الإسلامية الغراء .

هذا ، وأما مناخ عمان فهو طيب جدا شتاء وصيفا ، وإن وصفت بالحرق في الصيف ، فقد صح أن غيرها من بلاد العرب أحر منها ، وكذلك سائر الجزيرة ، وإن كان العراق والشام وباقي بلاد العرب من غير الجزيرة لا حرجا .

فعمان طيبة الهواء جدا ، أما الرياح الحارة التي تمب في الصيف فليس لعمان منها أكثر من غيرها ، بل إن هواء عمان دائما مسجج بارد ، أو معتدل ، كذلك البرد لم يكن بها شديدا بالنسبة إلى باقي بلاد العرب ، فالهواء في الطرف الشرقي من جعلان ، إلى أطراف نزوى والظاهرة طلق نظيف لطيف ، وهواء البريمي كذلك ، أما هواء الباطنة ففيه بعض اللزوجة في أوقات غير طويلة المدى ، ثم سرعان

ما تذهب هذه الزوجة ويبقى الهواء بارداً رطباً تعشقه النفوس، وإذا تبرم منه أهل عمان فغناه أنهم لم يتودوا على هواء البلاد الأخرى ، فالرياح لا تكون زرعاً إلا نادراً ولا تنف أيضاً بحيث يسبب توقفها نقلاً على النفوس كبيراً .

وأما هواء الجبل الأخضر فهو في الصيف رخم طيب ، يلى النفس ويعش القلب وينشط الدم ، وأما في الشتاء فهو بارد جداً بحيث تؤذى برودته غير المتعد عليها ، فإنه يقدر ارتفاع الجبل بأكثر من عشرة آلاف متر عن سطح الأرض بحيث لا يحس الماشى ببحر الشمس إذا مشى فيه وقت الحر ، وفي الشتاء إذا وقعت الأمطار وهبت الريح يتجمد الماء .

معها في أعلا القمم :

وأهم جبال عمان، الجبل الأخضر وهو الجبل الخاص ببني ريام عند الإطلاق ، ثم جبل الكور الخاص ببني هناة ، ثم قنة وادى السحتن وهو الخاص بآل عبدة ابن زهران ، ثم تبقى قطع من الجبال بعمان لها حكم الجبل الأخضر في بعض الأحوال ؛ كجبل صيا في حضاط ، وهو جناح مستطيل بوادى الطائين ، وقطعة منه بجعلان تدعى جبل قهوان ، ثم جناح يمتد من جبل بني ريام غرباً ، حتى يعانق جبال الحدان بن شمس ، فيستمر سائراً في الغرب حتى يشرف على سفح البريمي ، ثم تمتد جبال ليس لها من صفات الجبل الأخضر شيء أبداً ، لا اسما ولا معنى ، وبعض هذه الجبال التي ذكرناها ليس لها حكم الجبل الأخضر إلا في اللون أو في العلو أو في البرودة فقط ، أما جبل بني ريام فهو روضة عمان وجنتها ، وأما جبل الكور ففيه بعض من نوع ما في جبل بني ريام ، وأما قنة وادى السحتن فهي قطعة من الجبل فيها بعض الصفات الملحقة لها بحكم جبل بني ريام ، ثم بقيت جبال في عمان فخمة ضخمة في ذاتها، لكنها تخاف ما ذكرنا في صفاتها ، والجبل الأخضر على الإجمال حصن عمان من العدو الغازي ، وحوض عمان لحفظ مياهها ، ومركز

الامن في غالب الاحوال، ومستشفى المرضى من امراض عديدة لا علاج لها إلا في استئثاق هوائه وأكل ثماره ، إذ هو روض من الرياض في فواكه وزهره واطيف نسيمه وحسن رياه .

عمارات النجوم :

ولقد أخذت عمان حظها من الرمال المتناثرة والمتكدسة، القارة والمتملة، ففي الباطنة رمال مفروشة عليها جئات معروشة وغير معروشة ، هادئة قارة ، لها عمقها في الأرض ، صالحة للغراس على اختلاف أنواعه بإجماع أهل الفلاحة ، ولذلك صار إقليم الباطنة عامراً ما هو لا يملوكا على طول الساحل . . . إلى حيث ينتهي . . . وفي عمان الداخلية رمال متنوعة منها الهادىء والمتنقل والمترام وغيره من جعلان والدقم ومحوت ، إلى ظفار في الجنوب وإلى الاحقاف في الغرب ، وإلى قطار ، وبادية الظفرة إلى أبو ظبي ودبي في الجانب الشمالى .

وبحر عمان هو بحر الخيرات ، ومخزن الارزاق لانه كثير الاسماك الطيبة . وفيه مفاص اللؤلؤ الذى هو أكبر الذخائر في العالم ، ولا يوجد في غير بحر عمان من ذلك شيء ، وإن وجد فهو شئ غير كبير الأهمية ، وما زال بحر عمان هادئاً مطمئناً قليل الأخطار ، كثير الخيرات ، عظيم البركات ، وعند أهل عمان يرجع ذلك لدعائه عليه الصلاة والسلام حين استدعاه الصحابي الكريم مازن بن غضوبة السعدي السمائي رحمه الله ورضي عنه .

مشوار مع الوديان:

ولقد ذكرنا بعضاً من أودية عمان ونذكر هنا بعضاً آخر منها . . . وأهمها في الداخلة وادى القريات ، وهو واد كثير المزارع طويل المدى ، فيه قرى متعددة وأفلاج مبعثرة ومزارع متناثرة على طول خطه .

وقريب منه وادى عندام المنحدر من رؤوس العق والجرداء ، ويمر الى أن ينتهي في الرمل الجنوبي من عمان، وهو مأهول، مسكونة قراه وفلواته.. إذ هو كنه الفلوات واسع الغابات ذو ريف جميل لا يخفى على من مشى فيه .

ووادى حافين ينحدر من الجبل الأخضر من عند سفحه الشرقي ويمتد إلى الرمل الجنوبي ويسقط في الرمل.. وهو كثير البلدان والسكان .

ووادى سائل، النازلة من الجبل الأخضر بهض شعابه الغربية، ثم تلتقى بشعاب أخرى عديدة وأيضاً هو كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف من الرجال وذلك غير النساء والولدان، ولا يزال خصبه مستوراً إلى أن ينزل في رمال الباطنة بالسيب، ويحتوى على أمهات القرى في عمان.

ووادى بنى خالد في الجاهل الشرقي وهو واد مقسح، مأهول كثير السكان والبلدان، وهو واقع في شرق عمان، ومن أكبر الأودية العمانية التي لها أهميتها. ووادى الطائيين وهو واد عظيم له شعاب واسعة، وبه قرى وبلدان متعددة القبائل كثيرة العدد.

ووادى دما هو يشتمل على قرى بنى شميم وغيرهم من سائر القبائل، وبه بلدان واسعة بالنسبة إلى تلك القرى الجبلية .

ووادى المعاول المشتمل على تلك الديار الفيحاء ذات الحدائق الجميلة، وفي رأسه نخل، وهي من أمهات القرى في هذا الوادى المنحدر من سفوح الجبل الأخضر المعروف أعلاه بوادى مستل، وهذا الوادى من أكبر الأودية وأكثرها عمراً.

ووادى الأبيض المعروف من أعلاه بوادى بنى خروص لاشتتاله على بلدان بنى خروص، وفي آخره قرية الأبيض المأهولة ببنى صبح .

ووادى الرستاق عمر الأودية العمانية وأكثرها أرواقاً على الإطلاق، لأن

أعلاه فرى بنى عوف، وفي وسطه إلى آخره قرى الرستاق المتعددة، ذات الحدائق الغناء، والبساتين الزهراء، والنبياض الخضراء وهو على الإطلاق وادى الخيرات، ووادى الارزاق وهو كثير القبائل واسع الفضائل .

ووادى بنى غافر من الاودية المتسعة التي لها اهميتها في عمان وهو ما هول
بقبائل عديدة تحت اسم بنى غافر في بلدان رائقة حسنة يتهج بها القلب .

ووادى الجهور كذلك من الاودية المأهولة العامرة بقبائله العريقة .

ووادى بنى عمر من الاودية الهامة المعروفة المتعددة البلدان والقرى
والمزارع، والذي لا يزال عامراً كسائر اودية عمان وهو ذو أهمية قبائلية وأمته
التي توطنه تعيش فيه عيشة الاحرار .

ووادى الجزى المنحدر من جبال واحسة البرى المنصب في النواحي
الصحارية ، وهو عامر بسكانه المتعددين من كدود ومقبايل وغيرهم من القبائل ،
ويشتمل على بلدان معروفة لا تخفى على أحد، لانه طريق البرى إلى صحار إلى
الشميلية في المغرب، وإلى مسقط في الشرق .

ووادى القور وهو آخر الاودية في الجهة الشمالية ، وهو معروف عند الجميع .
مواطنين وأجانب ، وسكانه كذلك لا يخفى مقامهم، وبلدانه، معروفة لا تحتاج إلى ذكر،
وعلى كل حال فإن هذه الاودية التي ذكرناها هي من أمهات الاودية و عمان ، وإلا
فقد بقيت اودية كثيرة مأهولة عامرة لم أذكرها لصغر بلدانها وقلة قضائها، ولكن
بمجموعها يسد فراغاً هاماً في عمان الداخلية ، ولا يخفى أننا لم نذكر البلدان الواقعة
في هذه الاودية بأسمائها فضلاً عن أممها وقبائلها، فذلك شيء يطول شرحه وربما كان
ذلك عسيراً، فإن مساحة عمان تقدر على الأقل بمساحة بريطانيا، وكلها مأهولة مسكونة
بقبائل متعددة .

سنام البعير وغاربه :

ولا يخفى أن الوضع العماني ينقسم إلى قسمين ، والقاسم له هو الجبل الاخضر ، فانه صار سنام البعير وغاربه ، أما الجانب الشمالى منه من جوزة رأس الحد فى الشرق إلى رأس أم سندم فى الغرب ، فهو منخفض جدا نهايته البحر ، إذ أنه يسير فى الانحدار بحيث يناب على القياس حتى يتصل بالبحر انحداراً ملبوساً ، فترى أمطاره تنفض إلى البحر انفضاضاً باهراً بحيث يحسبها الرائي انفجاراً براكين هائلة لاصادها ولا راد .

أما القسم الجنوبي بخلاف هذا الذى بينت ، فانه يتنازل تدريجياً إلى أن ينتهى فى الرمل كما قلنا ، ثم إن اتته جلت قدرته جعل قيعان الأردية المنصبة إلى الشمال كلها صخرًا يمنع بقاء الماء فى قيعانها ، بل سرعان ما يسيل إلى البحر ، وبالعكس ترى الأردية الأخرى ، ثم إن الجبال الواقعة فى الوسط العماني هى الكفيلة بتقسيم مياه الأقطار على هذا الوضع الذى ذكرناه ، مع ملاحظة إن المنحدر الجنوبي أوسع مدى وأكثر مرعى ، وأهله أعرق فى البدانة ، وأبعد عن ذراع الحكومات ، فإن وهيبة والجنبة والدروع والغفار والحريت لا سيطرة عليها لاحد ، أيا كان ذلك الاحد .

بالها من آية :

هذا ، ويلاحظ أن عمان تشتمل على أكثر من أربعين ولاية فى الوقت الحالى ، والمراد بالولاية هنا منقطة يحكمها والى وقاضى ، أو أحدهما ، وينفذان فيها حكمهما بشرع الله ، ويحكان على القوى والضعيف ، ويستمدان قوتها من الحاكم الأعلى وهو الامام أو السلطان ، ولهما جنود مدنيون يقومون بتنفيذ الأوامر ، وأرزاقهم جميعاً إما من السلطة العليا ، أو من خراج الولاية ، وصاحب السلطة ملكاً كان أو سلطاناً أو إماماً هو القائم على تنفيذ القوانين الإسلامية عن السلف الصالح وكما هو معروف عندهم ، فهو أشبه بالخلفاء الراشدين .

أما عواصم عمان الساحلية فهي :

أولها مسقط - قال الحموي : إن مسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها بما يلي اليمن على ساحل البحر ، فهي على ساحل البحر مما يقابل فارس أو على الأقل بما يلي مكران ، وهي عاصمة عمان من البحر في الجانب الشرقى الشمالى ، وهي مدينة من أهم المدن على البحر العربى الفارسى وقد علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادى عشر للهجرة ، حين حمل بها البرتغاليون وبنوها حصنا لهم وسوروها من الجبال بأسرار مكينة حين صار ملك عمان بأيدى الطغاة من آل نهبان ، واستمر بها الحال أيام اليعاربة الأجلاء الذين يفتخرونهم الدين وتبتهج بهم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة .
وهكذا تطور وقتها حتى الآن ، والله فى أرضه وبلاده نظرات وآيات .

والثانية : مطرح - وهي العاصمة الراقية وهي لا تبعد عن مسقط كثيراً وهي مدينة تجارية أقام صرحها الخالى البترول وأنعش روحها السلطان قابوس ابن سعيد ، فهي مصب التجارة العمانية على اختلاف أنواعها وهي الثغر البامم فى وجه القادم إلى مسقط ، وهي عاصمة بهجبال منيعة كسقط وبها الرصيف الذى أقامه السلطان قابوس .

والثالثة : صور - وهي العاصمة الثالثة ، ولها المقام المرموق فى العواصم الساحلية العمانية من نواح عديدة ، فهي بالجنتبة عزيزة منيعة ، وهي بعمان قلعة رفيعة تمون عمان الشرقية وترمى بأبطالها فى المغامرات فى وجه الطليعة ، فى أفق مكشوف وفضاء معروف ، لها منظر بديع فى البلاد العمانية ، لا تباريها فيه بلدة من البلاد العمانية الساحلية مهما كانت ، إلا أن أهلها قد أمسكوا زمام الحضارة ولهم فى سبر البحر زائد المهارة ، وبها فى الأعلى منها حدائق غناء ناشئة على مياه عذبة لا يتصل بها البحر ، وبها مزارع للخضرراوات ولا تزال وافية بحاجياتها ومتطلباتها .

دهليز الشرق :

ثم تأتي في الجانِب الغربي : صحار — العاصمة الرابعة ، قال ياقوت الحموي في الجزء الثالث : وصحار نَصبة عمان بما يلي الجبل ، وتوام قصبها بما يلي الساحل ، وتوام اسم للبريمي ، والبريمي في عتق عمان ، وهي إحدى عواصم عمان . وأكبر مقاطعاتها في انداخل ، قال الحموي : وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والقواكه مبذية بالأجر والساج ، وذلك لكون الحجر بعيداً منها في الجبال العالية . والمرنفعات الثمانية ، قال الحموي : وهي كبيرة أي صحار . مدينة كبيرة . قال : ليس في تلك التواحي مثلها ، سميت بصحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو رباب وطسم وجديس . قال اللخويون : إنها تلي الجبل ، ثم قال البشاري : صحار نَصبة همان ليس على بحر الصين بلد أجمل منه عامر أهل حسن طيب نزه ذويسار وتجارة وفواكه ، وأسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، قال والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ، قال : وللصحاريين آبار عذبة وقناة حلوة إى فليح بحسب العرف العماني قال : وهم في سعة من كل شيء . قال : وصحار دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغونة اليمن ، قال : والمصلى وسط النخيل ، ومسجد صحار على نصف فرسخ أي في وسط البلاد والمسافة لمتنى صحار نصف فرسخ من الشرق إلى الغرب أو من الجبل إلى البحر ، وجميع ذلك غير بعيد من الحق ، فإن صحار كما وصفها الحموي دهليز الشرق ، وإن أهلها في سعة من كل شيء . وهذا ما ليس عليه من مزيد ، وأما أنها خزانة الشرق فذلك كناية عن كثرة الأموال والأرزاق بها ، إذ كانت تصب إليها أموال عظيمة ، قال الحموي وهو يذكّر مسجدها :

وهناك بركت ناقة رسول الله ﷺ قلت : لم تعرف هذه الناقة متى بركت هناك ، ولعلها في عهد عمرو بن العاص أيام جاء لإسلام أهل عمان ، وكان الركوب

على النوق وإن مركوبته هي نافذة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أى إحدى نوقه صلى الله عليه وسلم ، قال ومحراب الجامع مكوكب مدور ، فتسارة تراه أصفر ونارة أحمر وأخرى أخضر ، وهكذا . وإن المحاريب في المساجد أول من أحدثها عمر بن عبدالعزيز الاموى أيام تولى أمر المدينة قبل خلافته تعيينا لموضع الإمام من الجماعة في الصلاة ، قال الحموى : ولا أدرى كيف كان بروك النافذة وكأنه أخذ ذلك نقلا عن غيره ، ولعل حقيقة ما ذكرت لك قال : وفتحها المسلمون في أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه في سنة اثنتى عشرة صاجاً .

ومن المعروف أن العواصم الساحلية هي المنظور إليها من الوجهة الاستراتيجية ، فإنها هي ثغور القطر وهي أبوابه .
والثغور هي أسوار البلاد وهي حصون الأقطار وهذا ما لا يمتري فيه أحد أبدا .

أما العواصم الداخلية ، فهي عبارة عن مواطن الحكام الذين يمكنون البلاد ، وأهم العواصم الداخلية : نزوى — إذ هي مقر الإمامة وعرش العدالة وكرسى الشريعة منذ عهد غير يسير ، وأهل عمان بطبيعة مذهبهم غير وادعين إلى الزخرفة العصرية ، ولا قاصدين إليها لأسباب أبقتهم على هذه الحال وهي لا تخفى على عباقرة الرجال .
أما العواصم الأخرى الداخلية فنسبها إلى نزوى نسبة بقية العواصم الساحلية إلى مسقط وصحار ، وقلبات وصور ، فرأس الخيمة والشارفة ودبي وأبو ظبي بالنسبة إلى مسقط وصحار نسبة التابع للتبوع ، والمرءوس للرئيس ، كما أن بهلى وأزكى وسمانل وسعد الشان وعبرى وينقل ومقنيات كذلك ، وقد قلنا إن مسقط ونزوى عاصمتا ملك أو إمام في هذه العهود الأخيرة ، وأما مطرح ودبي فماصمتا تجارة في هذه الآونة ، وأما الرستاق فناصمة زعامة ، وإماسمانل لخلقوم عمان الداخلية ، وأما صحار فسيدة الشمالية من قديم ومرجع المشيخات الساحلية في سائر الأيام ، وأما رأس الخيمة التي قامت عن جلفار القديمة فهي

من الثغور العمانية الهامة ، ولذلك اتخذها الزراعة قاعدة يزلونها فيتميان
 منها لزراعة عمان ولتكون لهم مرجعا إذا انزهوا ، وقد اشتهرت بذلك ، وهى فى
 الحقيقة بحكم موقعها الطبيعى لها تأييد من الناحية الجبلية واتساع من الوجهة
 الساحلية ، وهذا الحال ليس لغيرها من بلاد الساحل ، إذ هى فضاء واسع
 لا يزال يمتدأ إلى الجبال المحيطة بها من جانب الداخل ، وعمان وبذلك هدفاً بيناً
 بين أعين الطامعين والمعادين وسبحان الله الذى تفضل على عمان بهذا الفضل
 الكبير .

في طبيعتها الحديثة :

تلك هى جغرافية عمان قديماً . أما عمان حديثاً وحتى عام ١٩٨٤ فى كالاتى :

١ - المعالم الجغرافية :

تشغل سلطنة عمان الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، ولها
 ساحل يمتد مسافة تبلغ ١٧٠٠ كيلو متراً تقريباً ، من مضيق هرمز فى الشمال حتى
 الحدود المتاخمة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، ويفصل أرض السلطنة عن
 رأس مسندم فى أقصى الطرف الشمالى من عمان جزء من أرض الإمارات العربية
 المتحدة .

وتقع عمان على خط عرض ١٦ ٤٠ و ٢٠ ٢٦ شمالاً وخط طول ٥٠ ٥١

و ٤٠ ٥٩ شرقاً .

المساحة الأرضية	كيلو متر مربع
المجموع	٣٠٠٠٠٠
منها المناطق الآتية :	
منطقة طفسار	١٠٠٠٠٠
منطقة مسندم	٢٠٠٠
المناطق الأخرى	١٩٨٠٠٠
نوع التضاريس الأرضية :	
المناطق الجبلية ٤٥٠ م ، فأكثر	٤٥٠٠٠
السهول الساحلية المأهولة	٩٠٠٠
أودية وصحارى أقل من ٤٥٠ م	٢٤٦٠٠٠

٢ - السكان :

لم تهر عملية إحصاء حتى الآن سكان البلاد ، ولاغراض التخطيط فدر عدد سكان السلطنة ١٥٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٤ .

٣ - المناطق الجغرافية :

تنقسم عمان جغرافيا إلى عدد من المناطق المتميزة هي :

منطقة العاصمة :

تعتبر منطقة العاصمة أهم وأكثر مدن عمان كلها وتشمل المناطق التالية :
(١) منطقة مسقط : وتشمل كلبوه ، ويام ، الدوحة ، سداب ، البستان ، قنّب ، يقي ، الخيران .

(ب) منطقة مطرح : وتشمل مطرح الكبرى، وروى ، الوطية ، وادى عدى ، العامرات ، البحرية ، الأخضر الحج ، البيرين ، الحاجر ، المنظرية ، ججولوت ، وادى الميخ ، الرجوع .

(ج) منطقة بوشر : وتشمل القرم ، الصاروج ، الحوير ، مدينة قابوس ، ، العذبية ، الغبرة ، غلا ، فلج الشام ، صغب ، الحمام ، المسناة .

(و) منطقة السيب : وتشمل الموالح ، الحبل ، الخريس ، الغشب ، المعبيلة ، عرق الحديد .

منطقة الباطنة :

يمتد سهل الباطنة من منطقة حدود عمان مع الإمارات العربية المتحدة لمسافة تصل إلى ٢٧٠ كيلو مترا إلى الجنوب الشرقي حتى مدينة مسقط تقريبا ، ويقع بين الساحل والحجر الغربي ، ويفراوح عرضه من ١٠ إلى ٣٠ كيلو مترا ، وتتحصر الزراعة

في شق ساحلي ضيق ، لا يكاد يزيد عرضه على ٣ كيلو مترات ، ومحاذاً للبحر ، ويعتبر سهل الباطنة من أكثف مناطق عمان سكاناً ، وأهم مدنه :

وكاه المصنعة ، السوق الحمايرة ، صحم ، صحار ، لوى ، شناص .

منطقة الحجر الغربي :

وهي على غرار سهل الباطنة ، وتمتد سلاسل الجبال على امتداد الساحل من الحدود المتاخمة للإمارات العربية في الشمال ، حتى وادي سمايل في الجنوب ، وأعلى قمة في هذه السلاسل تقع في الجنوب الشرقي على الجبل الأخضر ، حيث يبلغ علو بعض القمم ٣٠٠٠ متر ، وهناك مجموعات من مناطق الاستيطان الكبيرة على جانبي الحجر الغربي أما الجزء الواقع على الجهة الجنوبية فيعرف باسم داخلية عمان ، أو قلب عمان ، بينما المدن الواقعة على الناحية الجنوبية من سلسلة الجبال هي الرستاق ، والعوابي ، ونخل .

منطقة الحجر الشرقي :

ويعد الحجر الشرقي امتداداً للتجمعات الجبلية لعمان من وادي سمايل حتى جبل نخيس شرقاً ، وهي مسافة تزيد قليلاً عن ٢٠٠ كيلو متراً ، أما على الشمال فتمتد الجبال حتى الساحل ، بينما تحدها من الجنوب منطقة الشرقية وجعلان ، وأعلى قمة في السلسلة الشرقية هي ٢١٠٠ متراً ، ومدن هذه المنطقة الهامة هي صور ، طيوى وقربات الواقعة على الساحل .

منطقة الظاهرة :

هذا الجزء سهل شبه صحراوي ، ينحدر من الأجنحة الجنوبية للحجر الغربي في اتجاه الربع الخالي ، ويحده من الشمال ينقل ، وجو ، والبريمي ، أما من الجنوب فيفصاه عن عمان الأم جبل الكور ، ديار الدروع ، ومن الشرق ديار بني هناه ، وثمة

مستوطنات كبيرة تقع على الوديين الرئيسيين، وادى ضنك، ووادى العين، وفيها مدن ضنك، وعبرى، وينقل .

منطقة الجور والبريمى :

إن الإمتداد الشمالى لسهل الظاهرة يسمى الجور . ففي هذه المساحة الصغيرة الواقعة بين منطقة الحدود مع الامارات العربية المتحدة والحجر الغربى ، يتركز السكان فى المناطق المزروعة بالنخيل على واحة البريمى .
منطقة داخلية عمان ، الجوف ، :

هى هضبة وسطى تنحدر من سفوح الجبل الاخضر من الشمال فى اتجاه "صحراء جو باء" ويحدها من الغرب الظاهرة، ومن الشرق الشرقية، وهناك أربعة وديان رئيسية هى: وادى البطحاء ، ووادى حلفين، ووادى هلا، ووادى سمايل ، ويشكل وادى حلفين ووادى سمايل معا فبورة طبيعية فى سلسلة جبال الحجر الغربى، وهو طريق تقليدى يربط بين مسقط والمنطقة، وهى أكثر مناطق عمان كثافة بالسكان وأهم مدنها: اذكى ، هلا ، نزوى ، منح ، آدم ، سمايل ، بدبد .

منطقة الشرقية :

الشرقية سهل رملى تتخلله الأودية ، يقع على الجانب الداخلى من الحجر الشرقى ويحدها من الجنوب الشرقى منطقة جعلان ، ومن الجنوب رمال وهيبة ، وأهم مدنها هى :

ابراه مضيبي ، سناو ، سعد ، بديه ، القابل .

منطقة جعلان :

جعلان سهل ساحلى يشكل الامتداد الجنوبى للمنطقة الشرقية ، ويمتد حتى بحر العرب ويحده من الشمال الحجر الشرقى ، ومن الناحية الجنوبية رمال وهيبة ، وتسكنها

قبائل جامعة، كبنى بوعلى ، وبنى يوحسن، وبنى راسب، والهشم، والجنبه وغيرها، ومدنها الريدية هى : بلاد بنى يوحسن ، والوافى، والكامل .

منطقة مصيرة وكوريا موريا :

تقع جزيرة مصيرة التى يبلغ طولها حوالى ٦٠ كيلو مترا، على بحر العرب، أما الجزر الهامة الأخرى على ساحل بحر العرب فى مجموعة جزر كوريا موريا، فأكبرها هى جزيرة الحلانية .

المنطقة الجنوبية و ظفار ، :

تشمل المنطقة الجنوبية اعمان حوالى ثلث بحل مساحة البلاد ، وتتكون من مدينتين مناخيتين هما: الساحلى، ويمتد من ريسوت فى الغرب متجاوزا صلالة، ولا يزيد عرضه فى أى جزء منه عن ٨ كيلو مترات، غير أن الأربة الطموية الخصبية تحصل على كمية كافية من الرى من الأمطار الموسمية ما بين يونيو وسبتمبر، وتصل الأمطار إلى الللال المشجرة التى تمتد مسافة ١٥٠٠ مترا فى ارتفاعها وراء السهل الساحلى، وإلى الشمال من الجبال إمتداد حدود المنطقة مع المملكة العربية السعودية فى الربع الخالى، وأمطار هذا الجزء من المنطقة قليلة، وليس فيها سوى النباتات الصحراوية. وأهم مدن وقرى هذه المنطقة: صلالة ، مرباط ، ثمريت، وخيوت، مغشن، ضلكوت.

منطقة مسندم و محافظة ، :

هى الجزء الشمالى من السلطنة، وتتألف من جبال وعرة ترتفع إلى ١٨٠٠ متر من ساحل ترصعه سلسلة من سلاسل الصخور ، أما المدن الرئيسية فهى: خصب ، دبا ، مدحا ، بخا ، وتسكنها قبائل الشحوح، وهم من نسل لقيط بن الحسارث بن مالك ابن فهم .

٤ - الولايات :

تنقسم مطنة عمان إلى إحدى وأربعين ولاية يدير كلا منها والى ،بالإضافة إلى
العاصمة ، مسقط ، ويديرها محافظ العاصمة بمساعدة والى فى السيب ، ونائب فى
بوشر ، وهذه الولايات هى كما بلى :

مستدم	١	خصب
	٢	دبا
	٣	مدحا
	٤	بخا
الباطنة	٥	بركاء
	٦	المصنعة
	٧	السويق
	٨	الخابورة
	٩	صحم
	١٠	صحار
	١١	لوى
	١٢	شناصر
الحجر الغربى	١٣	نخل، وادى المعاول
	١٤	الرسناق
	١٥	العوايبى
الحجر الشرقى	١٦	وادى بنى خالد
	١٧	قريات
	١٨	وادى دماء ، والطائين
الظاهرة	١٩	ضنك
	٢٠	عبرى
	٢١	ينقل

الجوار، والبريمي	البريمي	٢٢	
	محنة	٢٣	
داخلية عمان	الحمره	٢٤	
	جلاه	٢٥	
	زوى	٢٦	
	منح	٢٧	
	أزكى	٢٨	
	آدم	٢٩	
	سمائل	٣٠	
	هدبد	٣١	
	الشرقية	المضيبي	٣٢
		ابراه	٣٣
القبائل		٣٤	
بديه		٣٥	
جمالان، وصور	بلاد بنى بو حسن	٣٦	
	بلاد بنى بو على	٣٧	
	الكامل، والوان	٣٨	
	صور	٣٩	
	مصبرة	٤٠	
	ظفار	٤١	

نمضة ووثية:

تلك هي عمان في منظور الماضي ، وفي أحضان التاريخ القديم ، أما عمان الجديدة ، أما عمان قابوس في نمضتها الراجعة ، فحسبى أن القى بعض الأضواء على بعض معالمها الحديثة .

وتكفي الإشارة عن الاستصاء، واللحمة عن الاسترسال والاحصاء، ويكفيني في هذا المقام ، ويكفيك معي أيها القارىء، أن نسير معا جنبا إلى جنب وسط هذه الروائع من الانجازات العمانية الحديثة .

والإشارة تغني عن العبارة ، واليك الحديث في اشارات عارة ، مع رهوس مسائل وبعض من الفصول القصار .

الفصل الأول : معلومات عامة وذلك عن :

— المعالم الجغرافية .

— السكان .

— المناطق الجغرافية .

— المناطق الإدارية والولايات .

الفصل الثاني : الاحصاءات الجوية وذلك عن :

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، سقوط الأمطار والرطوبة العظمى

والصغرى في مطار السيب الدولي .

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، سقوط الأمطار، والرطوبة العظمى

والصغرى في مطار صلالة الدولي .

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، والرطوبة وسقوط الأمطار في مصيرة .

وصور ، صحار ، ثمريت ، بريمي لعام ١٩٨٣ .

- المتوسط الشهري والسنوي لدرجات الحرارة العظمى والصغرى ، وباستيفراد، حسب المناطق للفترات المبيئة أمام كل منها .

الفصل الثالث : التربية والتعليم وذلك عن :

- المدارس الحكومية ، الطلبة والمدرسين .

- توزيع المدارس الحكومية حسب المناطق التعليمية المختلفة خلال السنة الدراسية

١٩٨٤/٨٣ .

- توزيع الطلبة في المدارس الحكومية حسب المناطق التعليمية المختلفة، والجنس

- توزيع الطلبة في المدارس الحكومية حسب المراحل الدراسية، الصف، والجنس

- طلبة المدارس الابتدائية الحكومية حسب، الصف، والعمر، والجنس في العام

الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

- طلبة المدارس الإعدادية والثانوية الحكومية حسب الصف، والعمر، والجنس

في العام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

- توزيع طلاب المعاهد الفنية الثانوية والإعدادية النوزجية حسب الصف

والعمر والفصول الدراسية للعام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

- الطلبة العمانيون في الكليات والجامعات الأجنبية حسب بلد الدراسة والجنس

والتخصص للعام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

- توزيع هيئات التدريس في المدارس الحكومية حسب الجنس والجغرافية

- طلبة مراكز محو الأمية حسب المناطق التعليمية والجنس والصف .

- المراكز الحكومية لمحو الأمية ، وأعضاء الهيئة التدريسية والفصول حسب

المناطق التعليمية والجنس .

— الدارسين في المراكز الحكومية لتعليم الكبار حسب المناطق التعليمية والجلس
— مراكز تعليم الكبار والفصول ، والدارسين حسب المناطق التعليمية، والمرحلة
والجنس للعام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

— عدد المدارس الخاصة المسجلة لدى وزارة التربية والتعليم .
— طلاب المهدى الثانوى الإسلامى مصنفين حسب العمر، والصف، والمرحلة، وعدد
الفصول .

— طلاب وطالبات معهدى المعلمين والمعلمات الحكومى مصنفين حسب الجنس
والعمر والصف للعام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ .

— طلبة مركز التدريب المهني التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل
مصنفين حسب العمر والصف .

الفصل الرابع : الصحة وذلك عن :

— الوحدات العلاجية، ووحدات الصحة العامة لوزارة الصحة. وعدد الاسرة
— الوحدات الصحية العلاجية والوقائية المدنية، وأسرتها، موزعة حسب المناطق

خلال عام ١٩٨٣

— توزيع الاسرة على التخصصات المختلفة لعام ١٩٨٣ .
— العاملين بوزارة الصحة .
— خريجي مدرسة الرحمة للتمريض خلال الاعوام ١٩٧٢/١٩٨٣ .

الفصل الخامس : الشؤون الاجتماعية والعمالية وذلك عن :

— الأندية الرياضية للشباب ... موقعها وعضويتها .
— الاستخدام المدني في الحكومة ، عمانيون وغير عمانيين ، .

- موظفي الخدمة المدنية، موزعين حسب الوزارة، والهيئات العامة، المجلس،
والجفنية في ٣١ ديسمبر ١٩٨٣
- موظفي الخدمة المدنية موزعين حسب الوزارات والهيئات العامة
والحلقات الوظيفية، المجلس، الجفنية و عماني/غير عماني، حتى ١٩٨٣/١٢/٣١
- بطاقات العمل التي منحها المديرية العامة لشؤون العمل للمشتغلين خلال
السنوات ٨١، ٨٢، ١٩٨٣ للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص مصنفة
حسب المهنة ومترموطات الأجور الشهرية
- بطاقات العمل المنوحة للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص خلال عام
١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية والجفنيات
- بطاقات العمل التي منحها المديرية العامة لشؤون العمل للمشتغلين غير العمانيين
في القطاع الخاص خلال عام ١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية
والنشاط الاقتصادي
- بطاقات العمل التي منحها المديرية العامة لشؤون العمل خلال عام ١٩٨٣
للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية
وموقع العمل
- بطاقات العمل التي منحها المديرية العامة لشؤون العمل للمشتغلين غير العمانيين
في القطاع الخاص خلال ١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية و فئات
الراتب الأساسية .
- بطاقات العمل المنوحة من قبل المديرية العامة لشؤون العمل للمشتغلين غير
العمانيين في القطاع الخاص موزعة حسب الحنسية في الفترة من ١٩٧٨ إلى
١٩٨٣

— عدد بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشؤون العمل للشغائين غير
العمانيين في القطاع الخاص، مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية في الفترة
من ١٩٨١ إلى ١٩٨٣

— عدد بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشؤون العمل للشغائين غير
العمانيين في القطاع الخاص مصنفة حسب النشاط الاقتصادي في خلال الفترة من
١٩٨١ إلى ١٩٨٣

الفصل السادس : البريد والهاتف وذلك عن :

— المكاتب البريدية ، فروع المكاتب البريدية . صناديق الرسائل ، صناديق
المكاتب البريدية

— الحركة البريدية

— عدد الخطوط الهاتفية المزودة من سنة ١٩٧٠ إلى ١٩٨٣

— عدد الخطوط الهاتفية المزودة ، حسب المحولات ،

— حركة البرق والهاتف والتللكسن .

الفصل السابع : الطاقة الكهربائية وتجهيزات المياه وذلك عن :

— القوة الإنتاجية المركبة لدى المحطات في السلطنة

— الطاقة الكهربائية المنتجة والموزعة

— الإنتاج الإجمالي الشهري لوحدات الكهرباء المولدة في منطقة العاصمة

والمنطقة الجنوبية

— طاقة الكهرباء المنتجة والموزعة شهريا في منطقة العاصمة والمنطقة الجنوبية

— الكهرباء المنتجة في محطات الطاقة بالسلطنة ، وتوزعها بالإضافة إلى محطات العاصمة .

— إحصائيات المياه المتعاقبة بمنطقة العاصمة وصلالة ، وإنتاج وتوزيع المحطات الحكومية .

— إنتاج واستهلاك المياه في منطقة العاصمة .

الفصل الثامن : النقل وذلك عن :

— حركة الطيران والنقل ، مطار السيب الدولي .

— حركة البضائع في الموانئ ، ميناء قابوس ، ميناء ريسوت ، ميناء الفحل .

— حركة البضائع السلعية بالتفصيل في ميناء قابوس .

— حركة البضائع المفرغة بميناء ريسوت .

— الكميات المستوردة شهريا من البضائع في ميناء قابوس وميناء ريسوت .

— السفن الداخلة في ميناء قابوس ، حسب الجنسيات المختلفة خلال السنوات

١٩٧٧ - ١٩٨٣ .

— ملخص أطرال الطرق .

— الطرق المرصوفة بالأسفلت

— العربات المسجلة .

— رخص قيادة السيارات وحوادث الطرق .

الفصل التاسع : الإسكان وذلك عن :

— عدد ابحاث البناء المستخرجة للمباني المزمع تشييدها حسب نوع الاستعمال

ومساحة القطعة ، لمنطقة العاصمة من ١٩٠٥ إلى ١٩٨٣ .

— المساكن الشعبية التي تم بناؤها .

الفصل العاشر : الأسعار وذلك عن :

— الأرقام القياسية للسلع الاستهلاكية في منطقة العاصمة للمواد الغذائية والمشروبات والتبغ ، سعر الأساس = متوسط الأسعار للفترة « يوليو - ديسمبر ١٩٧٨ » ،

— الأرقام القياسية لتكاليف مواد البناء للمقاولين في قطاع البناء والتشييد

الفصل الحادى عشر : الزراعة والمواشى وذلك عن :

— المساحة المزروعة حسب المناطق

— إجمالى المساحة المزروعة بأشجار المحاصيل الدائمة من الفواكه حسب عدد

الأشجار ونوعها

— إجمالى المساحة المزروعة بالخضروات والمحاصيل الحقلية حسب المناطق

— المزارع الإنتاجية ، محطات البحوث ، والمرافق الإرشادية لعام ١٩٨٣

— إنتاج المزارع الإنتاجية ، وعطوات البحوث التجريبية من الفواكه

والخضروات خلال عام ١٩٨٣

— التمور الحام المستخدمة فى الإنتاج والإنتاج التماثى

— عدد شتلات الفاكهة والزينة الموزعة على المزارعين

— كميات الأسمدة الموزعة على المزارعين

— كميات البذور والتقاوى الموزعة على المزارعين من طريق المراكز الإرشادية

— المساحات المعالجة من مختلف المحاصيل الحقلية والخضروات والفواكه

— المساحات التى تم علاجها ضد حشرة دوباس النخيل

— مكائن الرش الموزعة على المزارعين

— خدمات الحراثة المتاحة للزارعين

— بيان الحيوانات التى تم علاجها

- الجيوانات التي تم تخصيصها بأنواع الأمراض
- تقديرات أعداد الجيوانات المختلفة موزعة حسب المناطق
الفصل الثاني عشر : التجارة والصناعة وذلك عن :
- الشركات والمؤسسات المسجلة في سلطنة عمان مصنفة حسب النشاط
الاقتصادي ورأس المال
- الشركات والمؤسسات المسجلة في سلطنة عمان موزعة حسب النشاط
الاقتصادي وفترة رأس المال للأعوام ١٩٨١ - ١٩٨٣
- عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان مصنفة حسب الشكل
القانوني وفترة رأس المال حتى نهاية ١٩٨٣
- عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان مصنفة حسب فئات
وملكية رأس المال حتى نهاية عام ١٩٨٣
- عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان حسب المناطق ورأس المال
الفصل الثالث عشر : البترول وذلك عن :
- إنتاج النفط الخام وعدد الآبار المنتجة
- الأسعار المعانة لصادرات النفط الخام من ١/٨/١٩٦٧ إلى ١/١٢/١٩٨٣
- الأقطار المصدر إليها النفط
- مبيعات المنتجات البترولية من قبل شركة شل للتسويق وشركة النفط
البريطانية
الفصل الرابع عشر : التجارة الخارجية وذلك عن :
- ملخص الصادرات والواردات المسجلة
- الصادرات غير النفطية حسب التصنيف الدولي المعدل رقم ٣، للأعوام من
١٩٨١ إلى ١٩٨٣
- السلع المصدرة والمعاد تصديرها مصنفة حسب فصول وتقسيمات التصنيف
الدولي المعدل ٣،

- الواردات المسجلة مصنفة حسب التقسيمات والفصول الدولية للتصنيف الدولي المعدل ٢٠٠٤ .
- الواردات المسجلة مصنفة حسب تقسيمات التصنيف الدولي المعدل ٢٠٠٤ .
- التصنيف الاقليمي للاقطار الوارد ذكرها في الجدول .
- الواردات المسجلة خلال الأعوام من ٧٦ إلى ١٩٨٣ مصنفة حسب التصنيف الدولي وبمجموعات الأقطار المصدر وأهميتها النسبية ٠,٥٪ .
- الواردات المسجلة خلال الأعوام من ١٩٨١ إلى ١٩٨٣ مصنفة حسب الأقسام الرئيسية للتصنيف الدولي وبمجموعات الأقطار المصدرة والمعاد تصديرها .
- الواردات المسجلة خلال عام ١٩٨٣ مصنفة حسب التصنيف الدولي المعدل رقم ٢٠٠٤ وبمجموعات الأقطار المصدرة .
- الواردات المسجلة مصنفة حسب القطاع الصناعي المنتج لها والقطاع المستخدم خلال عام ١٩٨٣ .
- قيمة الواردات المسجلة لبعض السلع المختارة من مواد البناء ١٩٨٠ - ١٩٨٣
- ميزان المدفوعات ١٩٧٩ - ١٩٨٣ .
- الفصل الخامس عشر : البنوك وذلك عن :
 - التقدير المصدر والمتداول .
 - عرض النقد .
 - العوامل المؤثرة على كمية وسائل الدفع .
 - البنك المركزي العماني ، المطلوبات - الموجودات ، .
 - الميزانية الموحدة للبنوك التجارية .

- توزيع الائتمان المصرفي على القطاعات الاقتصادية .
- البنوك العاملة في السلطنة حتى ١٩٨٣/١٢/٢١ .
- قروض ومساهمات بنك تنمية عمان خلال عام ١٩٨٣/٨٢ مصنفة حسب القطاعات الاقتصادية .
- الفصل السادس عشر : المالية وذلك عن :
 - مالية الحكومة .
 - الإيرادات غير النفطية .
 - نصيب كل قطاع من الاستثمارات الحكومية وامتهامات القطاع الخاص المنفذة في الأعوام ١٩٨٣/٨٢ .
 - المصروفات الائتمانية موزعة حسب الواردات والدوائر الحكومية .
 - المصروفات المدنية المتكررة موزعة حسب الوزارات .
 - المصروفات المتكررة للوزارات المدنية حسب بنود الاتفاق .
- الفصل السابع عشر : الدخل القومي وذلك عن :
 - الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادي .
 - الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادي ، معدلات النمو النسبية ، % .
 - الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادي الأهمية النسبية ، % .
 - الاتفاق على الناتج المحلي الإجمالي بقيمة المشتري بالأسعار الجارية .
 - الاتفاق على الناتج المحلي الإجمالي بقيمة المشتري بالأسعار الجارية ، معدلات النمو السنوية ، % .

— الاتفاق على الناتج المحلي الإجمالي بقيمة المشتري بالأسعار الجارية الأهمية،
النسبة (%) .

— المدخرات المحلية والقومية .

— صافي عوائد الدخل من العالم الخارجي .

— التكوين الرأسمالي الثابت حسب نوع النشاط الاقتصادي .

توزيع التكوين الرأسمالي الثابت حسب نوع النشاط الإقتصادي والقطاع
المستثمر عام/خاص .

— توزيع التكوين الرأسمالي الثابت حسب نوع النشاط الاقتصادي والقطاع
المستثمر عام/خاص ، الأهمية النسبية % ، .

أما الحديث عن عمان في نوبها القشيب ، في نهضتها الجادة ، في حضارتها
الرائدة العريقة ، في عروبها الأصيلة الشائخة ، في إيمانها العميق الواعي ، في كل هذا
وأكثر من هذا ، فلنا معها حديث آخر ، ووقفه طويلة متأنية في الجزء الثاني من
سلسلة عمان .. والامبراطورية العربية ، بمشيئة الله تعالى .

ومن هنا كان الطمع :

إن طمع كثير من الأمم في عمان كان قديماً ، وقديماً جداً ، بل حتى قبل التاريخ ،
أعني قبل أن يتأهل التاريخ بمعداته وأدواته وآلاته وتكنولوجياه التي نراها عليها
اليوم ، في منظور المصطلح التاريخي الحديث ، وفي لغة المؤرخين .

ومن المعروف بداهة ، والمعلوم بالضرورة ، والمتفق عليه بين ساسة العالم ،
أنه العملة الرائجة المتداولة في الأروقة السياسية ، والحارات الدبلوماسية ، والأزقة

والغاية. أن الذي يدعو أمة إلى افتتاص أمة ، أو يغريها بالتصص عليها ، أو التسلل إليها ، أو غزوها واغتصابها - كما هو الشأن في الأفراد والجماعات كذلك - هو أن الأمة المقصودة ، أو الدولة المطموح فيها ، تتميز بما لم يكن عند غيرها من الأمم والدول ، وتحظى بأوفر نصيب من المواهب والمنح الطبيعية والخيرات ، وتتمتع بما يثير الطمع ، ويغري بالجشع في نفوس الحماقدين ، الحاسدين ، الذين تحلب أفواههم شرها في الاغتصاب والاستلاب.

وكذلك كان الشأن مع عمان والإمام التي سكنتها أو غزتها حقياً متفاوتة من الدهر ، أو تداولت عليها بقصد الانتجاع والاسترواح ، نظراً لمناخها الجميل ، وجوها البديع ، وموقعها المتميز ، وأستراتيجيتها البكر ، وخصوبتها العذراء ، وخبراتها التي فانت الوصف ، وكبرت على اللغة ، وراثتها الغنذ. المتروحد ، الذي استل على التطلع وفان التصور والخيال ، حتى ليقرر الرحالة البرتغالي وبرتون سبيك ، في كتابه - أيام في عمان - : إن عمان هي الرثة الصحيحة التي تنفص الجزيرة من خلالها ، وهي الذراع الطويلة القوية التي تلاحق المعتصب على مدى الخريطة العربية ، وتطول كل أبعادها وجيوبها ، وهي إلى جانب ذلك كله ، الدماغ الواعية الذكية التي تستشار دائماً في الملسات والمدلهات ، ولها رأيها الصائب ، وحكمها الصادق الناصح في حل المشكلات ، وفض الألفاظ ، وفك الرصد ، وإلقاء الأضواء على الغلام والمعميات .

هذا إضافة إلى أن عمان هي المدخل الفريد الوحيد للتعرف على الإنسان العربي الأصيل ، في عروبه وشمائله ، في صفاته ، وسلوكه ، في أخلاقه ، وطبائمه التي لا توجد إلا فيه وحده دون خلق الله على امتداد الحياة والأحياء ، فعمان أشبه بالكتاب الذي أتراه على صفحاته ، وتتضح بين سطوره وكلماته قصة الإنسانية كلها من بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، بما فيها من معادلات صعبة أو سهلة ، تجمع بين الجبل والسمل ، والخصوبة والمحل ، والرقعة والوعورة .

حتى الأجانب :

وقد اهتم كل من القس ، بادجر ، - الباحث الفرنسي ، والمستشرق الهولندي
• مايلز لاير ، في كتابهما رحلة مع التاريخ ، - بالبحث الاكاديمي ، والدراسة الذاتية
لشخصية عمان ، همان القطاع الواسع الممتد ، عمان المنطقة المشخصة ، عمان
الامارة ، والمملكة .. ثم السلطنة الناهضة المتوثبة :

ما هي عمان ؟ وكيف تكونت ؟ وما هي القطاعات التي كانت تشملها ؟ وما هي
المناطق التي كانت تحدها وتحيط بها ؟ وما هي إيجابياتها وفالياتها في إعرار العرب
وإثراء العروبة ؟ ولم سميت بهذا الاسم ؟ وما هي أهم الامم التي دخلتها ؟ وكيف
أعزها الله بالإسلام ؟ وكيف باركها الرسول وأصحابه بالثناء والدعاء ؟ وما هو
دورها الفعال على صعيد الدعوة الإسلامية ؟ وكيف أنها لم تمذهب إلا بالمذهب
الاباضي ، مذهب الفرقة الناجية ، وأهل الاستقامة ؟

في شكلها الحقيقي :

لقد طرح الكاتبان كل هذه الاسئلة في مؤلفهما ، احتفاء بعمان ، وتأكيذا لشخصيتهم
الاصيلة . وملاعها المتميزة في منظور التاريخ ، وتحت تلسكوبه ، ليرى فيها الرأي
العام العالمي رؤيته الموعودة ، ويجد فيها الرأي المنصف ما لم يجده عند غيرها من
الامم السابقة واللاحقة .

ولعل الرحالة المساري • ط.ف. مايلز ، قد أجاب عن كل هذه الاستفسارات
والتساؤلات بما ضمنه كتابه ، بلادها تاريخ ، حيث استرسل في شرح عوامل الجذب
والطرد التي تعترى - أو تتخلى بها - بعض الامم والشعوب ، نظرا لاستراتيجية
عمان وما حبتها بها الطبيعة ، والتكوين الجيولوجي ، الذي يتلام في
بنيتها ، والذي يتفاعل أو يتعادل مع مكوناتها الشخصية التي لا تتخطاها

أو تتعدها أبدا ، والتي تشير إليها بما خلفته عليها من بصمات ودلالات ، وما تركته فيها من سمات وعلامات .

وكان فيما قاله : إن تاريخ عمان القديم يعكس على صفحاته وفي مقولات رسومه اليانية أحاسيس ومشاعر هذه الأمم العديدة المتابعة التي هبت في زخوف هوجاء عبر عشرات الآلاف من السنين على الخريطة العمانية في شكلها الحقيقي . وفي واقعها التي عايشت به الحياة ، ورافقت من خلاله كل الأحداث والحوادث فإن عمان وما حبتها بها الطبيعة ، وما أضنت عليها من ظلال وأطياف ، وما حظيت به من التلون الجمالي ، والإبداع الفني ، والتخطيط الذي لا يتكرر نسخه ، ولا تعدد طبعائه... كل ذلك كان من المقومات الذاتية في بناء الهيكل العماني الشامخ الذي جذب إلى ساحته ، وضاعف في مساحته ، ووسع مداه ، إلى الحد الذي يفوق طاقة التسجيل والحساب ، ويتجاوز استطاعة العادين والكتاب ، بما أحصى واستقصى ، وساق وقدم ، ودلل ، وبرهن على مصاحبة الحق والخير والجمال ، وتعامله الشريف النظيف مع أوليات الحب وأبجديات الجمال ...

ومر ذلك كله إلى هذه الهبات الإلهية التي فاضت على عمان تجسيدا ومبنى وتجاوزتها إلى أبنائها روحا ومعنى ، أقول : كان ذلك كله من مقتضيات هذا الطوفان الهائل من الزخوفات المتواليّة ، والهجمات المسعورة المتتالية على عمان في مداها الطويل ، ومن خلال مشوارها الذي بدأته مع رحلة الحياة ...

إذ بما لاشك فيه ان الحضارة العمانية من أقدم الحضارات العريقة ، ويرجع ازدهار هذه الحضارة إلى موقع عمان المتميز في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية ، حيث ملتقى الطرق البحرية بين الشرق والغرب ، وما كان لهذا من أثر في تبادل التأثير والتفاعل مع الحضارات الأخرى التي شهدها العالم في مراحلها التاريخية المتعاقبة ...

لم يجهلونها ؟

ومع هذا فلا يزال كثير من أبناء الأمة العربية يجهلون هذا الجانب المشرق من تاريخ عمان ، وغيره من تواريخ العرب ، وذلك لندرة ما كتب في هذا الباب ، وقد ظل تاريخ عمان بالذات محفوظا في صدور الرواة ، أو مسطورا في بطون الكتب ، أو مبثغرا على السنة تقصاص ، في حين أنه يجب أن يكون هذا التاريخ العماني قرآنا يتلى ، وانجيلا يردد ، وتوراة تقرأ ، وفخرا اكيدا فريدا يتوارثه الأبناء عن الآباء ، والاحفاد عن الأجداد ، لأنه يمثل العروبة في أعلا أنماطها ، ويبرز العربي في أبهه صورته ، وأجل أشكاله ، ويجلي بطولته ورجوته ، ويريه للناس أنه رجل الدنيا وواحدنا .

كما يكشف الستار ، ويلقي الأضواء ، ويبين للعالم أجمع ما كان لعمان والعمايين من مساهمات فعالة ، وإيجابيات بناءة في تشييد الحضارة الإسلامية . وفي الأخذ بناصر العروبة والعرب ، وكيف شادت عمان قبل الإسلام وبعده حضارات عربية شامخة ، وانجازات عربية إسلامية ، لا تزال حديث السمار ، ولا تزال آثارها باقية شاهدة على عظمة الإنسان العماني المبدع معمر الدهور وكر العصور .

ومع ملاحظة أن تاريخ عمان سلسلة من الحوادث والأحداث ، كما كان امتداد سواحل عمان على بحرها الكبير ، وعلى الخليج العربي الطويل سببا في انطلاق الشعب العماني حتى إلى ما وراء البحار ، وفي أن يكون لعمان نشاطات ملاحية ، وسفن تجارية ، وأساطيل حربية ، وحصون متينة ، وفلاح شامخة ، وأبراج مشيدة شاهقة

وتأسيسا على هذا كله . أو انطلاقا من بعض زواياه وجوانبه ، فإنه يمكننا القول بأمانة وصدق ، وواقعية وحق ، إن عمان — موضوع هذه

الدراسة - قد أدت دورا كبيرا فعلا على مسرح هذه الحياة، مع كثير من الأمم والشعوب التي تعاملت معها، أو تعاطت سلوكها، منهاجراً وأولاً، أو فعلاً وعملاً، وإن هذا الأمر يقتضينا الغوص في أعماق التاريخ، والبحث في بطون الكتب، وقطع الشوط الطويل الأمل في رحلات متتابعة راكضة، إبان تداول هؤلاء المغامرين على كرسى الجزيرة - وأعني به عمان - لاسيما وإن الكتابة عن عمان والبحث، أو التأليف فيها قد لشط أخيراً على يد بعض الكتاب والمؤلفين العرب والأجانب، مع اختلاف وجهات النظر أو تقاربها بين هؤلاء فيما يكتبون ويؤلفون، ضرورة أن كل كاتب أو مؤلف يترك بصماته الذاتية، وأحاسيسه الشخصية على كتاباته، ومن هنا، كان السر في تغاير أحاسيس بعض الكتاب، وتباين مشاعر بعض المؤلفين حيال هذه القضية... ولو بعض الشيء...

والكتابة عموماً عن عمان تعتبر مراداً للحركة الفكرية، والموارث العربية التي تضفي للناس عامة، وللعلمانيين - بالذات - طريق حياتهم، وأسلوب تعاليمهم، واستمراريتهم في هذه الدنيا على هدى وبصيرة، من ماضى الآباء والاجداد...
التاريخ والواقع:

وحسبنا في هذا المقام بعض المصادر التاريخية المتاحة لتصور لنا بعض أوجه الوجود العربي، وغير العربي على أرض عمان، ولنتمكن - بالتالي - من ضبط التاريخ ووضع النقط فوق الحروف، لاسيما في الأحداث الكبيرة المهمة التي أفزعت الحياة، وأبقت فيها الأحاسيس والمشاعر.

ولنسر مع التاريخ في خطواته المتتدة، أو الراكضة، وفي مشواره المريب الوقور، باحثين ومفتشين، عن هؤلاء الأرقام الذين تتابعوا - أو تزامنوا - في السخول على عمان، واقتمادها، وهي كرسى الجزيرة، كما أسلفنا البحث والحديث... لقد أكدت كتب التاريخ، وشيوخ المؤرخين: أن أول من سكن قطر عمان في القديم فرع من العرب البائدة، هم البعالمقة، وهم بنو عملاق بن لاوذ بن سام

ابن نوح عليه السلام ، قال السويدي في كتابه — رعاية الأحساب وأصول
الأنساب — العملاقة قوم عظام الاجسام طوال القامات ، يضرب بهم المشل في
القوة والطول ، تفرقوا في البلاد ، فكان منهم أهل المشرق ، وأهل عمان ،
والبحرين ، والحجاز ، وكان منهم ملوك العراق ، وجابرة الشام ، والجزيرة ،
وفراعنة مصر ، ومنهم قبيلة جاشم ، وهم بنو جاشم بن عملاق ، وكانت
ساكنهم يثرب والبحرين وعمان .

ويقال : إن من أهم الأمم التي سكنت عمان مع غبش التاريخ وضبشه —
هم السومريون ، الذين استنبطوا منها النحاس ، وشكلوه في مصنوعات لافنة
مبهرة ، وهذا هو رأى المؤرخ البريضي « توماس » في كتابه — يوميات سائح —
الذي يقرر فيه أيضاً : إن ذلك كان قبل الميلاد بأكثر من خمسة آلاف سنة ،
وأهم توطنوا عمان ، وأسماوها « بلاد ماجان » .. وتمسكوا — كذلك — من
إدارتها ، وتوجيه العمل فيها حقبة من الزمن ، ثم جاء من بعدهم « الكلدانيون ،
وسيطروا على عمان ، وأطلقوا عليها اسم « إلبيتا » ، وخلفوا فيها بعض الآثار ،
وتركوا بصماتهم على كثير من المرافق والمؤسسات هناك ، وعاشوا هناك زمناً غير
يسير ، إلى أن أجلهم عنها — ثم سكنوها من بعدهم — قوم عاد الذين ورد
ذكرهم في القرآن الكريم حيث أفاضوا على الجزيرة ، وتوافدوا عليها ، وتوالت
هجراتهم إليها ، في موجات متتابعة ، وهجرات حاشدة مزدهجة من الأحقاف ،
التي كانت مركز زعامتهم ، ومحل العتاة الجبارة منهم ، حتى إذا بغوا وطغوا
وعاثوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، سلط الله عليهم « الفيتقيين » فطردوهم
من عمان شر طردة ، وراحوا يحلون محلهم ، ويسيطرون على شؤون البلاد ،
وأمر الحكم فيها ، واتخذوا « صور » العمانية عاصمتهم ، ومركز نقلهم ، حتى
إذا أذن الله لهم بالخروج منها ، ارتحلوا عنها — جلاء — إلى الشام ، وهناك
اقتنوا فيها مدينتهم المعروفة إلى اليوم « صور » بدلا من صور عمان .

تدقيق وتحقق :

ويذكر باقوت الحموي : أن الذي حارب قوم عاد في عمان وأخرجهم منها ، إنما هو عمان بن سيات الفنجديسي - أحد الملوك الأشداء آنذاك - فتولى عمان ، وطرده منها بقايا قوم عاد ، وعاش فيها هو وأرماطه ردحا من الزمن ، ثم غلبهم عليها - ودخلها من بعدهم - عمان بن قحطان ، نائباً عن أخيه الملك يعرب بن قحطان وهم أول بذرة من بذور العروبة تواضع في أرض عمان . . إلا أن العويبي - المؤرخ الكبير - ذكر في الانساب عن الكلبي : أن الذي حارب الفيتقيين في عمان وأخرجهم منها هم المعينيون ، - لأنوم عاد - وهم من عمالقة العراق ، وقيل : هم من الآراميين ، ثم جاء بعدهم - في حكم عمان - د الحورابيون ، ثم السبيون ، - من آل سبأ بن حير القحطاني - فكونوا دولة د الحميريين ، الذين امتد عهدهم في عمان إلى أكثر من ألفي سنة . وفي مروج الذهب ، للسعودي أن الذي أخرج الفيتقيين من عمان هم د الحميريون ، بعد حروب طاحنة بين الفريقين ، بدءاً من مالك بن حير ، ثم ابنة قضاة ، ثم ابنة الحاف ، ثم ابنة مالك ثم السكسك الحميري ..

وجاء في نقول وتحفة الأعيان ، أن الذين تولوا حكم عمان - بعد الحميريين - هم د الأشوريون ، في عهد ملكهم د نقلت فلاس الأشور ، ثم حل محلهم في حكم البلاد العمانية د البابليون ، وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد . ولم يكذب البابليون يستترون في عمان ببض الشيء حتى اجتاحتهم جيوش كورش ، أحد ملوك الفرس الأشداء . . وتلك هي المهجعة الفارسية الأولى على عمان . ويقال أن د السبأين ، - وهم آل سبأ بن يفتاز بن إبراهيم عليه السلام - هم الذين أجعلوا القحطانيين من عمان ، وحكوها بعدهم ، إلى أن طردهم منها د الطسميون ، -

آل طسم - ثم ، الجديسون ، - آل جديس - ... وهم من العرب البائدة ، وفي هذا خلاف كبير جداً بين المؤرخين .

من أممات الدهور :

وعموماً ، ولقد أجمعت جمهرة المؤرخين على أن المدة التي قضتها الفرس الأولى في عمان لا تقل أبداً عن سبعة قرون ، وأن الذي أخرجهم منها ، وحاربهم عليها ، وزاحمهم فيها ، هم قوم عاد - الذين اسلفت الحديث عنهم قبلاً - وأن الذي أخرج عاداً من عمان ، وتغلبهم فيها - بعد حرب ضارية - هو عمان بن سباق الفنجديبي ، ثم جاء بعده - على حكم عمان - عمان بن قحطان - واليا من قبل أخيه يعرب بن قحطان - ولعل هذا العهد القحطاني هو أول إرخاص عربي في أرض عمان .

وهنا تتضارب الروايات التاريخية حول قوم عاد - هؤلاء - هل حاربوا الفينقيين في عمان ؟ أم حاربوا الفرس الأولى ؟ أم حاربوهما معا ؟

وإن كان المؤرخون قد اتفقوا فيما بينهم - إلى ما يشبه الإجماع - على أن الذي حارب عاداً في عمان وأخرجهم منها ، إنما هو عمان بن سباق الفنجديبي الذي عاش في عمان ردحاً من الزمن ، ثم غلبه عليها عمان بن قحطان من قبل أخيه يعرب بن قحطان .

ويقرر الأمير شكيب أرسلان في كتابه ، حاضر العالم الإسلامي ، : أن السبائيين - من أولاد سبأ بن يثشان بن ابراهيم عليه السلام - هم الذين أجعلوا القحطانيين عن عمان ، ثم جاء الطسميون ثم الجديسون - وهم من العرب البائدة - فغلبوا السبائيين عليها ، وما زالوا بها ، حتى جاء الازديون الأول فاستولوا على عمان ، وطرادوا منها كل غازيها ، أو دخيل عليها .

هم عمالة التاريخ :

والأزدديون هؤلاء نسبة إلى أزد . وازد هذا ، هو أبو الهرب جميعا كما يجمع على ذلك جميع المؤرخين في نسبه .

فهو : الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام .

ومن الأزد المذكور ، تناسل ولده نصر ، ثم تناسل من نصر هذا ، مالك بن نصر ، ومن مالك بن نصر تفرقت القبائل الأزدية في كل أنحاء الجزيرة ، وتفرعت إلى البطون والأفخاذ .

وكان من تلك القبائل قبيلة أزد شنوة بنى عثمان ، وهو عثمان ، بن زهران بن كعب ، بن الحارث بن كعب بن عبد الله ، بن الحارث ، بن مالك بن نصر ابن الأزد أبي العرب على الإطلاق .

وتؤكد جماعة من المؤرخين - ومنهم السمعاني ، في كتابه - الانساب - وده السيوطي ، في - بغية الرعاة - وده الفرناطي المخمي ، في موسوعته - الجزيرة هنا وهناك - والمستشرق الألماني ، هانز باولي ، في - رحلة على بساط الريح - والمستكشف البرتغالي ، مايرجو سكل ، في - أعاجيب الدنيا - : أن الأزد الأول - وهم أقوام عمر بن عمرو الأزدى - ما كانوا يحطون رحالهم في أرض عمان ، ويلتقطون أنفاسهم بعصر الشواء ، ويستروحون نسائم الراحة الآتية إليهم من خلال الجبال ، وثنايا الهضاب ، وعبر أنابيب البحار والأفلاج ، ومن فوق أو من بين المروج الخضراء ، والحدائق الممرعة الغناء ، وما كادوا كذلك يذوقون فيها طعم الراحة ، حتى ينقض عليهم الفارسيون بقيادة ملكهم كورش ، في هجمتهم الثانية .

وتمر الأحداث متتابعة ، وتشترك الممارك ، وتتعاقد السيوف ، وتصافح
الرماح محضوضبة من دماء الأرقام المتعاركين على أرض عمان . . حقبة طويلة
واسعة عريضة عميقة من الزمن .

بين النص والاجتهاد :

ويختلف التاريخ في رواياته ، ويختلف — بالتالي — كل مؤرخ مع مروياته
ويحل الاجتهاد والتخمين ، محل الاعتقاد واليقين ، وتترامى الأحداث في فسر
المراقب المطمع كما يتصور ويتخيل ، أو كما يشتهي وبأمل . . وذلك نظراً
للأمية المتفشية في العرب آنذاك ، بل وفي العالم كله والتي ذكرها القرآن الكريم
في أكثر من موضع . ومن هنا كان يصعب تماماً على الكتاب والمؤرخين —
والمستغلين عموماً بشؤون الفلك والحساب ، أو المتعاملين مع وقائع الضبط والتسجيل ،
أو الاستنباط والتعليل — أن يقيسوا الأمرين جميع زواياه وأبعاده ، أو يزرعوه
في شتى مساحاته وأماده ، أو يدركوه على الوجه الصحيح ، الذي توصل وصيائه
إلى غايته ، وتضع نتيجه من خلال مقدمته ، وعبر الطريقة المجرية التي يمارسها
أوفياء العلم والبحث وأمناء التاريخ والدرس ..

وعلى هذا ، وانطلاقاً من ما تيات الماضي ، وتطلعات الآتي ، يمكننا أن نقيس
الجهول المحجوب ، على المأهـد المرئي ، في منظور الواقع ، ومرصد الممارسة الحقيقية
مع ذاتية الدنيا ، وأكاديمية الحياة . .

والأمر كله لا يعدو المعاناة والمقاساة والمشقة الباحثة الدارسة التي توصل
في النهاية إلى ما يصبو إليه الإنسان من الإمساك . - ولو بطرف الخيط — كي يصل
من وراء ذلك إلى إدراك اليقين ، ومعايشة الصواب .

ويجيء الإسلام ، وتشرق ومضائه على العالم كله ، ومع مجيئه واشراقاته ،
يجيء الإسلام ويشرق بالتالي على عمان مع الرجل الطيب الصالح مازن بن عضوبة ،
ويتمزق ملك كسرى أخيراً من عمان وتندحر الجيوش الفارسية في مواجهة هؤلاء

الاشاوس العرب من الازد المغاور ، الذين حاربوهم اضرى حرب واشرسها بقيادة مالك بن فهم - كما سنفصل ذلك في مكانه - حتى اخرجوهم منها إلى غير رجعة ...

الحجبة والوند:

وبدأت العروبة من ذلك التاريخ تحط رحالها ، وتندق أوتادها ، وتنتشر أطباها وتقيم سرادقها ، وتزرع خيامها في تلك المنطفة العزيزة الكريمة - عمان - ، التي أحسب الله أرضها ، وطيب مناخها ، ونشر الأريج في آفاقها ، وأعقب جوها. وزرع الأمن في ربوعها ، وفضل بحرهما على سائر البحار بما اختصه من مصادد السمك ومناصاة التؤؤ ، ورجل أهلها خير أناس الأرض ، أخلاقا وسلوكا ، وعقيدة وإيماناً .

ولقد نزه بذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه في أحاديثه الغراء . وشهد به الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه . وأكد به بلغاء العرب على ومؤرخوهم اختلاف مذاهبهم وشاربهم

قال صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه ابن عمر - : إني لأعلم أرضاً من أرض العرب يقال لها عمان . على شاطئ البحر . الحجبة منها خير من حجتين من غيرها ، ...

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضاً : رحم الله أهل التغييراء - عمان - آمنوا

بي ولم يروني ، ...

تلك هي بعض الرؤى والمطلعات التي رآها كل من حاول دخول عمان أو

الاقامة فيها ...

هذا إلى جانب ما تتمتع به طبيعة هذا البلد من مناخ طيب . وهواء رقيق . وجبال وأفلاج . وحيوانات ومراعي ، ورمال وأودية ، وبحر منفرد ؛ ن أبحر العالم جميعاً بمناصاة التؤؤ والأحجار الكريمة . بما يلفت الأنظار . ويسترعى الحواسر والأبصار .

وهكذا... وبعد هذه الانتصارات العظيمة . بدأت عمان — في ثوبها الأنيق ، وفي حجمها الطبيعي الصحيح . وفي رونقها الشيق . وفي شكلها الشمولي الوضئ المضيئ — تمارس عملها المنوط بها وتؤدي رسالتها في خدمة الإسلام والعروبة على أرضها الثابتة . وفي أجوائها وآفاقها . بما وهبها الله من قوة . وبما شد به عزمها ، وقوى عزيمتها . وهياها لتحمل الأمانة . والقيام بأمر الدين . وإفساح الطريق أمام فنوائه وأنايبه ، وجسوره كي يصل نوره إلى كل مكان فوق جغرافيه هذه الحياة ...

ووجد العمانيون أن دورهم لم — ولن — يقف عند حدود الجزيرة ، بل يجب أن يتعداها ويتخطاها إلى خارج الدائرة ، وإلى أبعد من الاصطلاحات الجغرافية ، والحدود المتعارف عليها . من خلال الرسوم البيانية التي يصنعها مهندسون والمساحات والحدود . والتي يجدها ويدعو إليها المستعدرون والمغتصبون والدخلاء ...

عمان في شرق أفريقيا .

إن عمان تميزت عن غيرها من حواضر العالم العربي ، بأن لها اليد الطولى . والباع القوية ، في انتزاع أسباب الحضارة والتقاط خيوط الكشف ، والفتوحات وللمتسار بما بين أصابعها . وشدها أو جذبها إلى مغناطيسها ، وفي أذرعها ومجالها . وما عجزت أبداع أن تطول السماء . أو تصرت دون أن تجدل من نجومها وكواكبها أكاليل غار . أو تنظم من تاريخها وأمجادها قصائد مدح وآيات فخار ...

ومن هنا كانت عمان — بأهلها وأناسها — تشرق وتغرب وتشمئ وتجنب منذ فجر التاريخ وحدائته . في بقاء العالم . وفوق خريبطه ، باجئة مفبشة . تجري وراة كل ما يفيد الإنسانية ويمتبع العماني هنا وهناك . ذلك لأن عمان تعتقد تماما أنها جزء .

وجزه فعال جدا في تركيبة الحياة ، وأن عليها دوراً هاماً لا بد أن تمارسه وتتعاطاه ، ثم تتعامل معه ، بما يدفع بالنوع البشرى نحو تحقيق الهدف الذى من أجله خلقه الله .

وما خلفت عمان ، ولا كان لها هذا الوضع الاستراتيجى المتميز وامانها الله مانح ، ولا أفاض عليها بما أفاض ، ولا اختصها وحدها بهذه الجغرافية الارضية والسماوية ، وما سرب إليها هذا المناخ البكر ، ولا جاملها بهذه التسميات الفواحة العذراء ، أقول : ما جعل الله عمان هكذا لتتعلق على نفسها ، أو تستأثر وحدها بغيرها ، أو تنضف أنصرف عن حاجات غيرها ، دون مشاركة الجار ، أو النظر إليه بعين الجدبة والاعتبار ، مستشهرة في هذا كله قولنا: انقائل - وهو يدعو إلى الإثارية ، وفناء الفرد في المجموع - :

فلا هضمت على ولا بأرضو - سحائب ليس تفتظم البلاددا .

هذا إلى جانب الطموحات الشريفة الواعية التى يتسم بها العماني عموماً ، والمشاركة المجردة المنزهة التى يحث عليها الإسلام والسلوك الإنسانى الحريص الذى يتراعى دائماً أمام - وفى خيال - أهل عمان جميعاً من ملاحظة حتمية الاقتداء بهم ، وسلوك نهجهم ، والغزل على منوالهم ، فكانوا لذلك - ومن أجل ذلك - أسوة وقدرة ، وائمة هداة فى الدنيا والدين ، ولقد كان لهم فضل السبق فى نشر العروبة ، وفى تسليط الأضواء الإسلامية على الدنيا ، ما وسعهم النشر والتسليط فى أى زمان ، وفى أى مكان ، لا سيما فى القارة السوداء ، وفى شرق أفريقيا بالذات ، فإن ما يحفظه التاريخ وتعيه ذاكرته إن العوامل الجغرافية وأثرية ، قد صنعت من عمان - قديماً وحديثاً - بلداً ذات قيمة استراتيجية وحضارية - كما سبق القول - حتى منذ أقدم العصور ، فالبحر يحيط بها من أجزائها الثلاثة ، ورمال الربع الخالى الناعمة تلفها ، وتلتف بجزئها الرابع الذى يفصلها عن بقية شبه الجزيرة العربية ، ويقوم التركيب السكانى فيها على أساس قبلى صرف ، منذ أن بدأت هجرة القبائل العربية إلى عمان فى فترة مبكرة حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد امتدّت هذه الهجرات -

ومن أمم مختلفة - في التدفق الزاحف على إمتداد العشرة قرون التالية أو أكثر منها بعد ذلك .

كانتا واحدة:

حتى ليذكر خبراء الجيولوجيا ، وعلماء الأرض ، والمتخصصون في طبيعتها وطبقاتها: أن شرق أفريقيا والجزيرة كانتا أرضا واحدة متصلة ، وقد انفصلتا في العصور السحيقة العميقة بفعل الزلازل والبراكين والهزات إلى ما نراها عليه اليوم وأن هذا كان شأن زنجبار أيضا هو الآخر .. أو شأن العرب الضاربين في أعماق الصحراء معها ، وذلك كنتيجة للغضبات الطبيعية ، والحوادث أو الثورات المناخية المتفائلة من الهزات الأرضية ، والتشققات العنيدة المتعددة في جسم البيئته ، كما يقرر ذلك علماء الإجتماع ، وكلما يقررون ويؤكدون - في أكثر من بحث أو مقولة - بأن الصحراء تعتبر من البيئات الطارئة ، التي يهاجر سكانها إلى أحولها من الأقاليم ذات الخضرة والماء ، والحصب والنماء ، ومن هنا - وكلما حلت وعلقت سابقا من الايثارية العميقة ، والاستعجال الخير في غرس بذور العروبة ، وباسقات الاسلام وتعميق الاصلة العربية فوق خريطة العالم وفي حقول وعقول أبنائه - كانت هجرة العمانيين إلى شرق أفريقيا ، واستيطانهم لعدد من الجهات والجهات الداخلية ، والجيوب العميقة البعيدة في القارة الأفريقية .

ولقد احتوى القصة العربي ، والأساطير النادرة صورا عديدة ، وألوانا شتى من نشاط العرب في هذه القارة السمراء ، وبالأخص أهل عمان ومغربيها من الرواد والملاح والبحارة والمكتشفين حول النيل ، ومنابعه وتوابعه ، وبحوره ومجاريه ، وهضاب أفريقيا ونضاريسها ، والأدغال والاحراش والغابات التي تحتوى الكثير من الخيرات ، والتي هي في حاجة إلى من ينض بكارتها ، ويقف على أسرارها وأخبارها .

هم لاغيرهم :

هذا، إلى جانب المعارف والفنون والتوادرات التي اختص الله بها أبناء عمان من هندسة البناء وزخرفة الهياكل ، والتشييد والعمارة ، والتفنن في الزراعة والملاحة إلى غير ذلك من العبريات التي إختبأت بذورها وجزورها جنيئة سوية في رحم البنية العمانية ، والتي لم تكده تستكمل مدة الحمل ، حتى يجيشها المخاض دائماً في شكل توعية حضارية يوزعها العمانيون بين ربوع هذه القارة الحبيبة ، فهم أساتذة ومعلمون ، فوق أهم منتجعون ومهاجرون طلباً للرزق ، وارتداداً لمصارح الحضوبة والخيروالراحة .

وقبل ذلك أو بعده - وفي ظل الإسلام - فإن الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان على العراق وعمان ، لما ضاق ذرعاً بابني عبد بن الجندى سعيد وسليمان اللذين هزماه في أكثر من معركة ، أخرجهما جيشاً جراراً كان قوامه أكثر من أربعين ألفاً بقيادة جماعة بن شعوة المزي ، مما اضطرهما إلى أن يحملا درابهم ما ومن لحقهما من الانباج والأشباع - وقد آثرا السلامة - أن يخرجوا في رحلة مهاجرة إلى شرق أفريقيا ، وفي زنجبار بالذات . . . وقد تخطيا الأراضي العربية والبحار الواسعة ، والكاداء الشاقة التمرسة والمغازات الشاسعة الرهيبة ..

أحراش وأذغال :

وقد ذكر العلامة الأسباني ، هنري كراي ، في كتابه «أذغال وأحراش» - الذي ألفه في العقد الأول من القرن العشرين - قصة هجرة العمانيين إلى الشرق الأفريقي ، وقصدهم إلى زنجبار ، وأكد أن ذلك تم في القرن الأول من الميلاد ، وأنه لم يكن من فراغ ، أو ينشأ من لا شيء ، ثم ألقى بعض الظلال ، وساق بعض الاضواء والمعارف التاريخية التي

استفادها عن سبقه من المشتغلين بأمر التأليف في التاريخ من الأوربيين وغيرهم ، ولا يضير المؤرخ أن يعتمد بعض الشيء أو كل الشيء على السابقين له في الدرب ، بقطع النظر عن منتهى ذمهم ، ضرورة إن الانسان — أيا كان ذلك الانسان — والكون ، والحياة التي يعيشها بأحداثها ، وموقعه منها ... تاريخ واحد متصل الحلقات ، متسلسل الربط ، لا يعنيه أن يحكم على الأشياء في منابتها الأولى ، أو بعيدا عنها بعدا لا يقطع علاقته بها ، أو ينسب تدوينها وتسجيلها في إطار الواقع والصدق . والحيدة والحق .. بيد أن المطلع على الكتابات التي تناولت تاريخ عمان يجدها في مجموعها أو في جميعها قد تناولت الأرضية الطبيعية ، والمنظقات التي إبتدأ منها المشوار العماني شوطه ورحلته إلى القارة الأفريقية . وإن ذلك كان فعلا — كما تشير المراجع والمخطوطات — قبل الميلاد ، وبذلك تتضح الرؤية التي نحن بصدها في ربط العلاقة بين عمان وأفريقيا ، وأن ذلك كانت له خلفية عريضة متينة ... وإن ظل تاريخ زنجبار والوجود العماني بها ، وفي شرق أفريقيا ، غير واضح المعالم ، بحيث لا يجسد المفكر العربي فيه زادا متكامل الفيتامينات والعناصر ، مما يقع الآلة ، ويقطع غائلة الجوع ، ويريح الستار عن ما انبهم عليه ، أو استنلق دونه ، إلا أن ذلك حسينا ويكفينا . . إذ لم يكن من هم العرب العمانيين الذين هاجروا إلى هذه البلاد أن يدونوا تواريخهم . أو يسجلوا أعمالهم ونشاطاتهم . أو يقيموا الاحتفالات والاحتفاسات حول اكتشافاتهم وفترحاتهم ، ولم يكن في استطاعتهم — كذلك — أن يخلفوا لأبنائهم ولن جاء بعدهم إلا الأفاصيص والحكايات ، والا الصفحات المسطورة اقليلة ، التي عادة ما يتوارثها الخلف عن السلف ، والتي تتعرض لما يتعرض له في الغالب كل مناع موروث من سلب ونهب ، وفساد وضياع . .

دين وعروبة :

وهو ما فاقد أراح شكيب أرسلان — المؤرخ العربي — في كتابه « حاضر

العالم الاسلامى ، الغدوض عن كثير من التساؤلات والاستفسارات التى تعترض طريق البحث فى هذا الموضوع ، حيث قرر فى أكثر من موضع : إن قيام العلاقات بين عمان وأفريقيا ، واتصالها المباشر بهما ببعض ، كان من أجل التجارة - التى فاق فيها العمانيون غيرهم - أولاً ، ومن أجل التبشير بالدعوة الاسلامية - فيما بعد - ثانياً ، ثم إظهار الابداع الفنى والتراث العربى - الذى يجيده العمانيون - ثالثاً وأخيراً ، على مسرح الفنون والمعارف الانسانية ، وانثقافة التى أهلت افارة لمفاخرة ومطاوله أعرق القارات حضارة ورقياً فوق خريطة الدنيا وهم مسرح الحياة . . . وقد ذكر ابن بطوطة - فى رحلاته - أن الذى اكتشف بلاد السودان ، ونهر النيجر ، ومنابع النيل ، وهضاب السنغال ، وسواحل شرق أفريقيا ، وأعماق زنجبار ، وتحسن أحشاء القارة السوداء عن آخرها ، إنما هى القبائل العمانية التى سبقت اليه هناك فى عجرات واستيطان ، وشيدوا الكثير من مراكز التجارة ، وبنوا المستوطنات ، واتخذوا مقار الدعوة الاسلامية ، وشقوا الترع ، وأقاموا المساجد ونشروا ساطاتهم ووعيمهم من فوق منابر الرأى ، وفى عاقل الفكر والذن ، وكانت لهم الأذرع الطويلة التى تمس المستوطنات الدرية ، وتقول مؤسساتها فى الكونوز ، وكينيا ، وتجانينا ، والصومال ، وموزنبيق ، والجزيرة الخضراء ، وزنجبار ومدغشقر والسودان ، وغير ذلك من هذه القارة السوداء العذراء .

وقد لمتزج العرب العمانيون بسكان هذه البلاد ، وانعقدت بينهم وبين السلاطين والمنوك الأفاقة صلات مودة ، وحسن جوار ، حتى لقد أبقى العمانيون لهؤلاء الملوك السلاطين نوزم وسلطانهم على رعاياهم ومواطنيهم فى حدود الشرع والتقاليد والعادات المؤدبة المهذبة ، إذ أن المذهب الإباضى الذى يتمذهب به أهل عمان ، والروح العمانية على وجه الاطلاق ، لا تعرف تفاضلا لجفس أو للرن ، وإنما التفاضل بالتقوى والعمل الصالح . كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « إن اكرمكم عند الله أتقاكم » ، ولعل أبرز مثل لذلك هو السلطان

• منى مكوا ، - وهو من السلاطين الوطنيين الذين حكموا زنجبار ، وسادوا أهلها قبل الوجود العماني هناك - فقد ناصفه السيد سعيد بن سلطان الحكيم في زنجبار ، وأنصفه فيها ، فكان حاكماً يسود رعاياه ، وله قدرته بينهم ، وسلطانه عليهم ، وإلى جانب هذا ، فلم يتعرض العمانيون أبداً لأهالي البلاد بشئ من الأذى أو القهر ، ولم يفرضوا عليهم ذلاً أو إمتحاناً ، أو إستعباداً أو استرقاقاً ، بل إنهم عملوا جاهدين على تخليصهم من ربة العبودية التي ربطها بأعتاقهم أبناء جنسهم ، واسترقوهم لنزواتهم ، وصيروهم كالانعام أو اضلسيلا ، ولم نكتف الإنسانية العمانية بمعاملة هؤلاء الخلق من الآدميين هكذا فقط ، بل راح العمانيون يعلمونهم الحرف والصناعات ، والفلاحة والزراعة ، وأضفوا عليهم بما أفاضه الله الشيء الكثير ، وأشركوهم معهم في شؤون العيش ، وأعطوهم الاملاك والمزارع يتبايعونها ويتراثرونها في حرية تامة ، وتملك صحيح ، وليس هذا فحسب ، بل عملوا على فك رقاب هؤلاء الزنوج ، وتحرير أعتاقهم من أسباب الرق ، ودواعي العبودية ، وحببوا لهم الإقامة بين ظهرانيم والعيش معهم ، وعلوهم آداب الإسلام ، وثقفوهم بتعاليمه ، وحرروهم من شوائب الكفر ، وأدران الشرك ، وأوزار الوثنية ، والوقوف على أقدام السادة والضواغيت ، وعرفوهم طريق الله الحق ، وأفهموهم أن ليس لهم رباً سواه ، وأحسنوا معاملتهم معهم ، وتزوجوا منهم ، فصارت بعض نساءهم أمهات السادة النبلاء ، والعناء الأفاضل الأجلاء .

• إنان في مسيرة :

وهكذا أصبح الزنجي الإفريقي شريكاً لعمانى العربى في كل شئ حتى في التناكح والتوارث ، والعقيدة ، والدين ، كما أصبح - كذلك - هذا الزنجى قدوة وإماماً في أمور الدنيا وشؤون الحياة ، بعد أن صيره الله إلى قوم آمنوا بربه ، وعبدوه على شريعة نبيهم ، وتذهبوا في سلوكهم بمذهب ابن أباض .. - وأعنى هؤلاء القوم أهل عمان الأوفياء الأماناء - ولما توفي السيد سعيد بن سلطان

سنة ١٨٥١ ميلادية، دخل كل من شرق إفريقيا وزنجبار في عصر جديد ، فقد انفصلت زنجبار عن مسقط أيام حكم السيد ماجد أكبر أبناء السيد سعيد ، وتوانى على حكم زنجبار السيد يرغش بن سعيد سنة ١٢٨٧ هجرية ، ثم السيد خليفة بن سعيد سنة ١٣٠٥ هـ ، ثم السيد علي بن سعيد سنة ١٣٠٧ هـ ، ثم السيد حمد بن تويني بن سعيد سنة ١٣١٠ هـ ، ثم السيد حمودة بن محمد بن سعيد سنة ١٣١٤ هـ ، ثم السيد علي بن حمودة سنة ١٣٢٠ هـ ، ثم كان عهد دولة السلطان خليفة بن جارب ابن تويني بن سعيد سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ - الذي تعتبر أيام حكمه هي العصر الذهبي، والتاج المرصع فوق مفرق زنجبار ، ثم السيد عبد الله بن خليفة سنة ١٩٦٠ م وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٦٣ م أعلن استقلال زنجبار ، والمحسر الحكيم العماني عنها ، وعن شرق أفريقيا بهد أن خلف وراه آ ثاره الوضاعة في زنجبار خاصة وفي شرق أفريقيا على وجه العموم ..

وما تركت عمان بصماتها وتأثيرها على الشعوب والأمم التي نزحت إليها ودخلتها قبل الميلاد بعشرات الآلاف من السنين ، تركت كذلك عمان بصماتها وملاعها الشخصية مع الميلاد أو قبله بقليل على الشعوب والأمم التي عاشرتنا وامتزجت بها ، وهاجرت إليها ، وأعنى بها أمم وشعوب القارة الأفريقية ، وزنجبار ، وبماسة بالذات ..

وهكذا كانت عمان - وما زالت ، ولم تنزل ، وإن توالى - مصدراً ثراً ، ومعيناً فياضاً ، ومنبعاً لسلسلا صافياً ، - قبلاً وبعداً - للحضارة الإنسانية ، والمسات العبقرية ، والمعارف الفنية ، والإبداعات الجمالية ، والإنجازات الشامخة لعلافة ، التي زرعتها يد القدرة ، واستقبلتها مشيئة الله وعنايته في حقول عمان ، وفي عقول الثمانينين جميعاً ، والتي وسعت السكون ودفعت به خطوات واسعة وأثبة نحو التقدم والحضارة ، وإلى الرقي والامام ...

رواد وأساتذة :

ويقرر العلامة الفيروزآبادى فى « القاموس المحيط » والمقرىزى فى « امتاع الاسماع » : ان العمانيين هم أول من اكتشفوا وسط أفريقيا ، وقد توغلوا فى أحزاشها وأدغالها . وكان لهم الفضل الأكبر فى نشر الدين الإسلامى هناك . وقد رادوها منذ القرن الأول للمسيح عليه السلام . وكان اتصالهم بها عن طريق التجارة ، وانهم أول من عمروها بالقرنفل . والنارجيل والبرتقال . وزرعوا فيها شجرة « الدوريات » .

ويؤكد ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » : ان أهل عمان هم أول من نقلوا خبراتهم الزراعية إلى أفريقيا الشرقية كما نقلوا إليها فن العمارة والهندسة . وبنوا فيها القصور البيضاء الناصعة التى لا تزال شاهدة على الحضارة العمانية حتى اليوم .

وإن المؤرخين والكتاب ليشدون أذهان العالم . ويفتحون عيونهم ويفنونهم إلى ما خلفه العمانيون فى أفريقيا من حضارات وإنجازات . وفى ذلك يقول المؤرخ الفهرستى « بايرليوتيه » :

لقد امتد الوجود العربى العمانى فى داخل القارة الأفريقية ، حتى وصل إلى بلاد الجابون ، على المحيط الأطلسى واستقر العمانيون فى أنحاء كثيرة متفرقة من القارة السمراء . وكانت لهم فيها نشاطات تجارية ومعمارية . ولهم أيضاً صلوات وطيدة بالسلطين الوطنيين وقد أفاد العمانيون والسياح الأجانب فى هذه القارة بمعلوماتهم القيمة وخبراتهم الواسعة . وقدموا لهم الكثير من المساعدات والمعونات التى ساعدتهم على إنجاز أعمالهم السكيفية والسياحية . وكانت لهم المراكز الثقافية والتجارية عبر القارة كلها . وبأنات لهم — بالذات — قوات ، وسلطات متصلة من الصومال إلى مدغشقر منذ مطلع النجر الميلادى ، بل أن بعض المؤرخين العرب من أمثال ابن بطوطة قد

زار سواحل أفريقيا، وتوغل في بطونها، ودخل جيوبها وأحشائها ووصف
بدقة المصور الفوتوغرافي ما رآه هناك من الآثار العمانية القديمة المندثرة، من
المساجد والمعابد، والقصور والقبور، والامسات الحضارية الرائعة، وكعب
يقول: إن عرب عمان هم في الحقيقة قد أحرزوا الجزر والواحد والاعماق
من شرق أفريقيا، وجاء البرتغاليون - كعادة الدخلاء دائماً - فانتزعوها
منهم عام ١٥٠٣ ميلادية، ثم سرعان ما استردها العمانيون ثانية بقوة السياسة
والسيف في عهد الإمام سيف بن سلطان العربي سنة ١٦٩٤ ميلادية، وما كاد
القرن السابع عشر ينتهي حتى تمكن الإمام العمانى سلطان بن سيف من طرد
البرتغاليين جميعاً، من كل أنحاء أفريقيا، وبالخاص من زنجبار، ومن
مباسة، ومن بمبار، ومن كاوة، ومن كل مطرح أو مكان رموا أنقالمهم فيه.

الأسطورة والبطل:

إن عمان بلد عربي مسلم، له أصالته العربية، وتراثه الضخم، وأجياده
القديمة الضاربة في أعماق الحياة، وضمير الانسانية، وجدان العروبة، وهو
يعبر في مجموعه عن صفحات مشرفات في تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام
وفي ظله...

وإذا كان التاريخ العمانى قد تعرض في بعض الاحايين، لبعض الإهمال أو
النسيان فإيما كان مرد ذلك كله إلى بعض المؤرخين من غير ابناء البلاد وكتاباتهم
المجنحة المغرزة، والذين سلطوا فيها الأضواء على بعض الدول الإسلامية فقط،
وعلى بعض التيارات السياسية بالذات دون تعميم التاريخ وتشميله لسلك الدول
في كل المواقف والأحداث.

ويلاحظ تماماً - كما يقرر ذلك ابن الجاور الشيباني في كتابه تاريخ

المستبصر ، والبرادى فى « الجوهرة المنتقاة » — مدى اعتزاز أهل عمان بجنودهم الحضارية القديمة ، وتاريخهم المجيد العربى ، واصالتهم الراسخة المتينة ، على مدى آلاف القرون ، ومن خلال الحوادث الضخمة ، وعبر المواقف العملاقة التى مارستها وتعاملت معها عمان ، حيث يحرصون على الإشادة أو الإشارة — مثلا — إلى الأيام العشرة التى أقامها نبي الله داود عليه السلام بين ظهرانيهم وفى عمانهم ، وأنه حفر هناك أكثر من خمسة عشر ألف نهر أو فلاج ، هذا . . إلى جانب اعتزازهم بالقائد البطل الأزدى القومى مالك بن فهم ، فهو عند العمانيين أشبه بالأبطال الأسطوريين الذين يعترفهم كثير من الأمم والشعوب ، ويعتبرونهم المؤسسين الأوائل لهذه الأمة ، أو ذلك الشعب ، ضرورة إن مالك ابن فهم هو البطل العربى الذى طرد الفرس من عمان ، وبالتالى فإنه المؤسس الأول لأمة عمان ، وشعبها العربى الأصيل ، وسيرته — عند أهل عمان — تتصف بكل ما تتصف به سير الأبطال فى الملاحم الشعبية ، من مثالية ، وسمو ، وإيجابية ، وكرم ، وبطولة ، وإنسانية ، فهو القائد الشجاع الذى لا يلين أو يضعف أمام العدو ، وهو المحارب الباسل الذى يتقدم الصفوف ، ويقود الزحف دفاعا عن الأرض والعرض ، وهو الفارس الذى يتحلى بشمائل الفروسية العربية مروءة وشهامة ونجدة .

. . وإن الحقائق التاريخية تؤكد — فى بسط واطناب — فضائل

العرب ، والعمانيين منهم على وجه الخصوص ، كما تسلط الأنواء الباهرة على مواقفهم الشجاعة النبيلة فى تمسكهم بما اشتر به أهل البادية من غيرة على الشرف واحترام لأعراض الناس ، وأسراع إلى نجدة الملهوف ، ويبدو هذا واضحا جليا فى خروج سليمة بن مالك بن فهم إلى بلاد الفرس ، وكيف ساعدهم على الخلاص من ملكهم الماجن الفاسق دارا ، الذى دأب على انتهاك أعراضهم والعبث بشرفهم .

مجاوبة ومواجهة :

ويدور جيدا - في هذا المجال - أن المواجهة التي تمت بين العرب . والعجم على جانبي الخليج بفعل الأنداد والمصادفات ، جعلت عرب عمان بالذات - دون عرب الجزيرة كلها - أكثر اعتدادا بعروبهم ، وتهصبا لها . .

ومن هنا تحملوا - وحدهم - العبء الثقيل الجسيم الضخم الملقى على عاتق العروبة ، والذي كان يجب على العرب - كل العرب - أن يتحملوه أو يشاركوا في حمله ، وكان العمانيين - وما زالوا وسيظلون كذلك - أكثر العرب تمسكا بفضائل العروبة ، وروح الشهامة والمروءة ، والذب عن الشرف والعرض ، والدفاع عن القوم والأرض . .

وهذه - ولا شك - هي الصورة الأخاذة التي تبدو على طرفي تقيض مع ما كان عليه المجتمع الفارسي - آنذاك وهو يقيم على الجانب الآخر للخليج - والتي نفشت فيه المثالب والمسالب ، واللامبالاة والنواقص ، والتسيبات والانحرافات ، والفوضى والديماغوجية ، التي خرفت مستنقعاتها الفرس - غارقين - إلى الأذقان . . . أما متى ؟ وكيف دخل هذا البطل الأزدى العربي أرض عمان ؟ وما مدى اقتراب ذلك أو بعده من عهد المسيح عليه السلام ؟ وما هي المسالك والدروب التي سلكها ومشى فيها مالك بن فهم للوصول إلى غايته ، وتطهير عمان من هؤلاء الأنجاس الأرجاس عبدة الكواكب والنار من المجوس الفرس ، والكفار ، فهذا ما سيحدثنا عنه التاريخ ، وتتناقل أخباره القصص والسمار .

مع مالك بن فهم :

إن دخول مالك بن فهم عمان كان قبل الإسلام بألفى عام . . وذلك

يقضى سبقه على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقرون ، وإذا كان هذا قبل الإسلام بألفي عام ، وقد علمنا أن عمران بن عامر نزل عمان قبل مالك ابن فهم بمدة طويلة ، وكان قد سبقه إليهما أيضاً عمان بن قحطان ، فكان بين عمان ابن قحطان وعمران بن عامر قرون متطاولة ، وبين عمران بن عامر ومالك بن فهم أيضاً كذلك ، فغير مستنكر إذا قيل: كان بين ذلك وبين الإسلام ألفا عام ، فيكون القحطانيون قد تولوا عمان ثلاث مرات ، وهذا قريب من الصحة بحسب استقراء التاريخ ، ولما قضى الله على مأرب بالحرب ، وقضى على أهلها بالانتقال والذهاب ، وأن يتفرقوا في فواحي الأرض لحكمة أرادها الله عز وجل وقضى بها في حكم الكتاب ، أرسل الله على مأرب سيل العرم ، فاجتاح السد الذي بناه سبأ بن يثجب بن يعرب بن قحطان ، فهلكت البلاد وفرقت العباد ، وخرجت الرواد ترتاد لهم الخصب ، فكان بعضهم قد خرج إلى مكة ، وبعضهم إلى المدينة ، وبعضهم إلى الشام ، وبعضهم إلى السراة ، ثم إلى عمان .

وهكذا كان مالك بن فهم - على ما يظهر - آخر من خرج منهم إلى عمان ، لأن قرناهه الأجلاء - الذين سبق لهم العلم الأكيد بحراب السد ، ورأوا الآيات الدالة على ذلك ، كما أشتهر من أمر كاهنتهم وطريفة ، - قد خرجوا إلى البلاد ، وتوطنوا فيها آهلين ، وعاشوا عهداً طويلاً ، ولعل مالسا كان يفضل المقام ببلاده مهما كان الحال ، حتى إذا تحقق الأمر ، ورأى ضرورة الخروج خرج ، ولا بد أن يكون له سابق علم بعمان ، من حيث إن أقبال الأزد وعباهلتها الذين قطنوا عمان في تلك العهود المشار إليها ، هم من قومه ، وفي جلدته ، فلذلك - على ما يظهر - أختار مالك عمان ، لا سيما أن عمران وآله حلوا بالشام .

تفرقت بهم الطاريق :

قال في المنتخب - إذ يذكّر تفرق الأزد - ومنهم من سار إلى السراة ، ومنهم من سرا

إلى مضر ، ومنهم من سار إلى العراق ، ومنهم من سار إلى عمان ، قال : فأما من سكن عمان من الأزد فيحمد ، والحدان ، ومالك ، - يعنى بن فهم - قال : ومن الأزد الحجر ، ولهب ، ونارة ، وعائذ ، وبارق ، وسوام ، وحرثة ، وسنجان ، وعلى ، وعمان ، إلى آخره ، فدل ذلك على أن قبيلة من الأزد تدعى «عمان» قد سكنت عمان في جملة من سكنها من الأزد ، فلعل اسمها أطلق على عمان ، فشاع ذلك على القطر كله ساحلياً وداخلياً ، أما محمد فهو بن حمى بن الأزد ، وأما الحدان ، فهو ابن شمس فرع أزدى ، وأما مالك ، فهو معروف ، وأما الحجر ، فليس من الأزد ، وأما لهب ونسارة وعائذ وبارق ، فلم يبق منهم أحد بعمان - فيما علمنا - ولعلمهم دخولوا في القبائل الأخرى ، وكذلك سوام ، وحرثة لم تعرف عنهم شيئاً ، وكذلك سنجان .

وجاء في تحفة الأعيان : أن سنجان نسبة عمان ، والمراد بها صحار ، والله أعلم بماقاله صاحب المنتخب . وكذلك على وعمان ، أما إن كان أراد بهم بنى على ، فهم موجودون بعمان ، أما بنو عمان فلا .

قال الإمام السامى - نقلًا عن المروج للمسعودى - : إن مالكا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمر بن عامر مزيقيا ، فسار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق كما سبق . وبقى عند المضريين بالعراق ملكا مكرماً محترماً معظمًا . إلا أنه كان ملكا ولم يكن ملكا . كما هي العادة عند الملوك ، واستمر به الحال عهداً غير يسير .

وقال أبو حاتم السجستاني - عن أبي عبيدة عن أنى الأيقظان - : أن سبب خروج مالك بن فهم عن قومه بعد تفرقهم في البلاد حين أخرجهم سبيل الحرم من جنق مارب ، ونزلوا بالسرارة ، أن راعياً للمالك بن فهم خرج بغنم - وكان في طريقهم كلبه - وفي رواية ثانية ، ففينا كلب عقور للغلام من دوس ، فشد

الكلب على راعي مالك ، فرماه الراعى بسهم فقتله ، فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك ، فخرج مالك من السراة هو ومن أطاعه من قومه ، وذلك لأن دوسا من أعياص مالك الأقربين إليه ، فخشى الفتنة بينهم ، وخرج مالك يريد عمان فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد ، ومن أطاعه واتبعه من أحياء قضاة ، وسار متوجها إلى عمان ، وقد اعتزل عنهم من قبل ذلك ولده جذيمة الأبرش بن صحبه إلى العراق من سائر أبطال الأزد .
حنين وشوق :

قال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب السكبي : أخبرني ابن انقضاى ، قال : لما خرج مالك بن فهم من السراة يريد عمان ونوسط الطريق ، حنت لإبله إلى مراعيها ، وأقبلت تلتفت نحو السراة وتردد الحنين ، والإبل دأبها ذلك . لأنها تألف المواطن ، وتستوطن الأماكن دون سائر الحيوان ، وعند ذلك أهاجت حنيظة مالك فأثمد شعراً من الزجدان ، ويميج الحواطر . وقال التاريخ : لقد سار مالك من فوره يريد عمان ، فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من قبائل اليمن ، إلا سالموه ، ووادعوه لمنعته وكثرة عشيرته .

ودل ذلك على أن المسير كان على الإبل عن طريق البر . وانظر من أين يدخل مالك عمان ؟ قال التاريخ : ثم سار مالك في مسيره ذلك حتى نزل على بروهت وهو واد بخصر موت . فلبث فيه ريثما يستريح فوجه قصده إلى عمان ، فبلغه أن بعمان جماعة الفرس . وهم أهلها . وساكنتها . ولا بد أن تقع بينهم . وبينهم منافرات . ومنازعات . فاستعرض رجاله . فاذا هم زهاء الستة آلاف فارس وراجل . فرأى أنهم يملكون كنانة تفتى عند الحاجة عن كثير من الجيوش لاسباب لا تخفى على الفطن فأقبل بهم يريد عمان على الرضى . والسخط . وقد جعل على مقدمته هناة بن مالك ، وفراديد بن مالك - أى ولديه - وكان هذان الإبنان التجيبان

عنده من أنجب أولاده . فجعل ما في ألبي فارس من صناديد الأزدي وفرسانها . ثم سار
يؤم عمان . حتى أنصب إلى الشحر . فتخلفت عنه هناك جماعات مبرة بن حيدان
ابن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حير .

وفي رواية :

قال السكبي : كان أول من خرج من العرب من تهامة ، مالك بن فهم الأزدي ، وعمرو
وابنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن الحاف بن قضاة
ابن مالك بن حير ، فنزلت الشحر ، وتقدم مالك بن فهم في قبائل الأزدي ومن معه
من أحياء قضاة إلى أرض عمان ، فوجد بعمان أقوام الفرس من جهة الملك ودارا
ابن دارا بن يمين بن اسفنديار ، وهم يومئذ أهلها وسكانها ، وكان المتقدم عليهم
المرزبان عامل ملك فارس آنذاك ، فعند ذلك أنزل مالك بن فهم من كان معه من
الأولاد والنساء والأعمال إلى جانب تلهات استعدادا لمعركة ستقوم حتما بينه وبين
هؤلاء الفرس ..

ويؤكد اتجاهات مالك في مسيرته - وتخطيطاته التي تفرعت عن هذه المسيرة -
المسعودي أبو الحسن في كتابه ، التنبيه والإشراف ، إذ يقول .

ثم إن مالك لما تحقق من قيام الفرس عليه وأنهم غير تاركيه وتحقق ذلك يقينا
بعد ما كان يظنه ، أثبت دعائم استقراره ، وقرر في نفسه عدم الخروج منها كانت الحال
ولا بد من الصراع بينه وبين القوم ، ومن هنا رتب أعماله ونظم رجاله ، ولم ينظر إلى
الفرس إلا نظرة أنهم للآكل ، وقرر أن يحثهم لإحتساء السم ، فاما شفاء وإما
قضاء ، وعلى العزيميا العربي أو يموت ، وكان معسكر مالك بن فهم وقومه بواحة
منح في قلب عمان - وهو الذي حفر بها الفايح المعروف بفايح مالك - والفرس

إذ ذاك بالساحل من عمان ومعسكرهم بصحار - عاصمة عمان وخزانه الشرق ولمارأت الفرس أن لا بد لها من حرب مالك بن فهم ، قامت في عدها وعديدها ، نفخت في أبواقها ، ونادت لحشدها ، وضر بتطوؤها - وجاء جيشها الضخم الكامل في تعبيته ، الشديد الشكيمة في صراته - حنقاً على العربي الرابض في قلب عمان ويقصدون به مالك بن فهم ، وصال المرزبان وجال ، وأمر أن ينفخ في البوق الذي يؤذن فيه للحرب ، وركب هو في جنوده وعساكره ، وخرج من صحار في عسكر ضخم حتى ليقال: إن عسكره كان سبعين ألفاً ، وقيل تسعين ألفاً ، وأخرج معه الفيلة ، وكان الفيل الواحد في الحرب يعدل ألف معارب ، وتوجه المرزبان لإخراج مالك من عمان ، وكان مالك بن فهم في جوف عمان اسماً ومعنى ، فخرج المرزبان إليه وعسكر بصحراء صلوت - بالقرب من الجبل الأخضر - ، وبلغ ذلك مالك ابن فهم فركب ومن معه وكانوا في زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، وعلى مقدمته البطل هنامه بن مالك في ألفي فارس من صناديد الأزد وفرسانها ، وأقبل في تلك الهيئة حتى أتى صحراء صلوت وعسكر بإزاء عسكر المرزبان فمكثوا يومهم ذلك والروع ملء القلوب ، والشنشة التعصية تشد بين الفريقين وانصر من الله ، ولم يقع بينهم ذلك اليوم حرب ، ثم بات الفريقان يعبتان قومهما ويظلمان جندهما ، وإذا بجند مالك بن فهم بالنسبة إلى جيش عدوه قليل العدد إلا أنه قوى العزيمة فكتبوا كتابيهم وجزوا جهاز الحرب .

وأوقف مالك بن فهم رجاله في مواقيهم ، وعهد إليهم بأوامره ، وكان هنامه ابن مالك على الميمنة وفراheid بن مالك على الميسرة .

وبات المرزبان أيضاً يعي جيشه ويرتبه على نظام الفرس في ذلك الوقت . ولما أصبحوا في اليوم الثاني واستعدوا للقتال ، وتأهب كل واحد من الفريقين لقتال عدوه ، قام مالك بن فهم ، فظاهر بين درعين ، ولبس عليهما غلالة حراء ، ولبس على رأسه قطعة حديد تكون وقاية من ضرب السيوف وطعن السهام والرماح ،

وغطى عليها بعماء صفراء ، وركب جوادا له أبلق ، ثم ركب معه أولاده على تلك النعجة ، وقد تغفوا بالدروع والجواشن ، وكذلك فعل أبطال الأزد الذين معه ، والبيض على رهوسهم ، فلا يرى الناظر إلا حديق العيون تلمع كالنجوم .

فلما توافقوا للحرب خطب مالك بن فهم في رجاله خطبة الحرب ودعاهم دعوة القتال وحرصهم تحريض المستميت وجعل يطوف عليهم راية راية وكتيبة كتيبة وهو يقول في خطبته : يا معشر الأزد يا أهل النجدة والحفاظ اذفوا عن أصحابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم وقاتلوا عدوكم وناصرحوا ملككم وسلطانكم فإنكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتم العجم في كافة جنودكم فاخطفوكم بين كل حجر ومدبر وباد عنكم ملككم وزال عزكم وسلطانكم فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والجلد فإن هذا اليوم له ما بعده .

وهاجت المعركة :

ويستعرض المؤرخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح هذه الواقعة بدقة المصور الفوتوغرافي المستوعب الحريص فيقول :

ولما رأى المرزبان الهيئة العربية حوله مستعدة لقتاله زحف بعسكره وجميع قواده وجعل الفيلة أمامه ، وأقبل نحو مالك بن فهم وأصحابه ، ومالك يحرض جنوده ويقول لهم : يا معشر فرسان الأزد ، احملا معي - فداكم أبو وأمي - على هذه الفيلة فاكثفوها بأسنكم ونسبوا فكم فإنها قوتهم القوية التي يعولون عليها وجنتهم التي يتسترون بها ، ثم حمل مالك بن فهم - وحملت أبطاله معه - حملة عربية مملوءة حماسا وشدة ، ورموا الفيلة بالراح والسهام ، ثم أردفوها بالسيوف ، فولت الفيلة راجعة قافلة على عسكر المرزبان ، فوطئت منهم خلقاً كثيراً .

ثم حمل مالك في كافة رجاله الصناديد وأصحابه الأبطال على المرزبان وأصحابه فاتقضت نعبة المرزبان وجالها جولة ، ثم بانث العجم ورجعت إلى بعضها

البعض ، وأقبلت في حدها وحديدها ، وصاح المرزبان في أصحابه وكافة جنوده وأمرهم بالحلقة ، واتفق الجميع ، واختلط الضرب ، واشتد القتال ، وهاجت المعركة فلا يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف ، وافتتلوا يومهم ذلك أشد ما يكون القتال ، وثبت بعضهم لبعض إلى أن حال بينهم ظلام الليل فأنصرفوا ثم أعادوا الحرب في اليوم الثاني على ذلك النظام ، فمكث في الفرس القتل ، وقويت جرأة العرب على القتال ، وما زالوا كذلك حتى حجز الليل بينهم مرة أخرى ، وفي اليوم الثالث زامت المعركة وتلذت أكثر من ذي قبل ، فكان القتل آخذاً مأخذه من الرجال والسيوف يضحك في اكف الأبطال والأسنة لها الصغعات النحلاء في تغور الأفيال ، والحرب نار تلتهم كل ما تلحق بغير جدال .

بطل وايم الله :

فلما أصبحت الحالة على هذا الأمر خرج أربعة رجال من المرازبة والاصاورة عن كان يعد الواحد منهم بألف رجل حتى دنوا من مالك بن فهم سيد الأزدي ، وزعيم هذه الحرب ، فقالوا له : هلم إلينا أيها العربي لتصفك من أنفسنا ، ويادرك منا رجل برجل ، فلم ير مالك إلا إجابتهم ، ولم يظن بنفسه رهبة منهم ، إذ كان جأشه ثابتة ، ونفسه أبية ، وقد تجرد لهذا الأمر ، ووقع فيه ، فلا مناص ولا خلاص منه ، إلا بأحد الوجوهين ، فتقدم سيد الأزدي وقلبه جنته ، وخرج له واحد من أولئك الأربعة الأعاجم ، وتطاردا وتماورت في أيديهما السيوف ، فسامى إلا دقائق حتى اختطفه مالك بالسيوف ، فأرداه قتيلاً ..

ثم خرج له الثاني فعطف عليه مالك ومعه نجدة الملوك وحية العرب ، فلم يتمالك أن قضى عليه بطعنة ... طعنه إياها - خر بها صريعاً على الأرض .

ثم خرج له الثالث فكان مالك بن فهم أسداً فاغراً فاه ليلتهم ما يلاقى ، وكان

الفارس الثاني قد ضرب مالكا على رأسه فلم تصنع ضربته شيئا ، كما يضرب اليائس رأسه في الجبل .

ثم لما ضرب مالك الفارس الثالث ، ضربة فقلت البيضة وإنهت إلى رأسه ثم رمت به في الأرض قطعتين نظر الفارسي الرابع أفعال مالك بأصحابه فاندش وما له الأمر وأحجم عن ملاقة مالك بن فهم ، وعلم أنه إن خرج فهو لا محالة مقتول .

فخافت نفسه القتال ، وولى راجعا إلى أصحابه ، ودخل فيهم جبانا يرتعد . ثم انصرف مالك إلى هوقه ونفسه في نشاط بالظفر ، وفي قوة بالنواز والنصر .

وذكرت الانتصارات :

وفرحت الأزد بذلك الانتصار وأحسن كل عربي ، بشوة هذا النصر وأنهم منتصرون دائما على العجم ، وإن المنتصر لا يزال يأمل في النصر فيزيد في نشاطه ويعظم من إغتيابه ، ويتفاعل الرحالة الانجليزي الموزخ جيمس هنري ، مع هذه المعركة العربية الفارسية فيصفها وكأنه ينقل في ذلك عن آلة فوتوغرافية تجيد التصوير والمقتضات حين يقول :

فلما رأى المرزبان ما صنع مالك في قواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب ، وخرج من بين أصحابه نائرا وقال : لا خير في الحياة بعدهم ، ثم نادى مالكا قائلا له : أيها العربي ، أخرج إلى إن كنت تحاول ملكا ، فأينا ظفر بصاحبة كان له ما يحاول ولا نعرض أصحابنا للهلاك ، وكأنه أنصف مالكا فيما دعاه له ، وفضل الفارسي العاق الموت على الحياة في سبيل العز والشرف ، ولعله يرى من نفسه سطوة على مالك لم يبتد لها أولئك ، وإذا بالك ذلك البطل المقدم يزحف إلى قرينه المرزبان الفارسي الغضبان على قتل من قتل في ذلك الميدان ، فخرج إليه مالك برباطة

جأش وشدة قلب ، فنجاولا ملياً - والناس تنظر إليهما حيث هما زعيما
تلك الحرب وقائدأ رحاما - ، وقد قبض الجمعان أئنة خيلهما ينتظرون ماذا
يفعل الزعيان .

وصال المرزبان على مالك صولة الأسد الياسل ، إلا أن البطل الماهر المخنك
بليان الحرب راغ ووغان الثعلب ، ثم عطف عليه عطفة فارس جبار فلق بهم رأس
المرزبان من مفرقه بضربة قطعت البيضة ، وأبانت الرأس ، فخر هذا الطاغية
الاعجمى ميتاً على الارض .

وحملت الازد على افرس حملة أدارت رحى الحرب وأداحت رهوسم من
جديد ، وأخرجوا آخر ماتبقى في كنائهم من أسلحة لملاقة مالك وأصحابه .
واقستل الفريقان قتالا شديداً من ظهر النهار إلى عصره ، وأكل السيف فرسان
الفرس وتغذى على جسومهم وأجسادهم وصدقتهم الازد ضرباً ، وطعنا ، فولوا
منزيمين حتى انتهوا إلى معسكرهم ، وقد قتل منهم خلق كثير إلى حد ألقى معه
التاريخ آله الحاسبة ، وجعل يتعجب لما جرى ، وما يجرى من أفعال هذا البطل
العربي الازدي .

أما المستشرق الهولندي ، أرنسر جفرى ، فيقول - في بسط واطناب
اللمركة - :

بعد هذه الحرب امتشعرت الفرس العجز عن حرب مالك بن فوم ورأوا طالع
نحسهم يظهر في السماء كل أن ، وإقبال الازد في استقبال ، وأيقنوا بالهزيمة وما
ينتظرهم غداً ، فقلع رجال مالك تقضى عليهم نهائياً ، فعند ذلك أرسلوا إلى
مالك يطلبون منه أن يمن عليهم بأرواحهم ويجيبهم إلى الهدنة والصلح ، وأن يكف
 عنهم الحرب ويؤجلهم سنة كاملة ليستظروا على حمل أهلهم من عمان ، وأن
يخرجوا منها بغير حرب ولاقتال ، وأعطوا على ذلك العهد والجزية

فأجابهم مالك على ماغلبوه منه ووافقهم على مأسألوه، فتحملوا من سلوت إلى صحار
مقر زعامتهم وراحولها من البان المنتشرين فيها، ومكثوا في تلك الاطراف الساحلية
على المهادنة بينهم، وأعطاهم مالك عهداً على ذلك وميثاقاً أنه لا يمدارضهم بشيء إلا أن
يبدأه بمحرب وقتال، فكف مالك عنهم الحرب وأفرهم في عمان على مأسألوه،
وظلوا في حان أمن مسالمين للعرب ملازمين "لساحل". وأصبحت الأزد ملوكاً في
عمان، سهولها وجبالها، والليم أزرعامتها، وقد اندقت عصا الفرس وإنهار
صرحهم.

بالهامن بطولات:

ويقول العلامة عمر رضا كحالة في كتابه - معجم قبائل العرب - :
وبعد إتهام حرب الفرس زحف مالك بن فهم إلى قنات ليؤيد زعامته فيها، وهى
السكرية المنيعه والفرضه الرفيعة، التي لها الشأن إذ ذاك في ساحل عمان، لالتقائها
بالوارد من الهند إلى عمان، والوافد من بحر العرب إلى الخليج العماني قبل صحار
وأغلب عطات التجارة الثمانية من هذه الوجهة هنا، وربما كانت أقرب لاستطلاع
الأحوال الفارسية، فانتقل إليها مالك ريثما يتمهد أمره وتستقر دعائمه ويتوطد
ملكه، ولم يدخل بذراعيه إلى داخلية عمان لعلمه أن العدو لا بد أن يرى منه
ما يسكره، ويقصد العدو بيضة القوم فتكون الذراري في مأمن من الحوادث
المتفرقة، وهذا من يديع سياسته، ولما رأى أن الدائرة تدور على الفرس.
حيث خرجوا من قلب عمان مدحورين، هب إلى قنات والملوك سياسات بقدر
ما هم فيه.

وقد تمس مالك بقتال العجم، وشاع أمره في أحياء العرب، فزاد ذلك من
إكباره، وإجلاله في القلوب، وعلت هيئته الهامات، وصار لا ينتظر إلا حرباً
ولا يموى إلا لطفان وضرباً، وفي أثناء مهادنة مالك بن فهم للعجم كانوا يطلمسون

الانهار الكبيرة ، لانهم يعلمون أنهم لافرار لهم بعمان إلا ريشما يرتحلون منها في تلك المدة المحددة .

وقد أشعر الفرس ملكهم بما وقع عليهم من مالك بن فهم ، وذكروا له من قتل منهم من أبطالهم ومراتبهم وأساورتهم ، وما حل بهم من الهوان ، وأن مالك ابن فهم حكم عليهم بالجلاء من عمان ، فهم في هدنة منه ليرتحلوا من البلاد لا ليقروا فيها .

مهسلا على رسلك :

وهنا أخذت الملك الأعجمي الحميرة لمن قتل من أصحابه وقواده ، فعند ذلك دعا بقاؤه من المرازبة العظام عنده ، وأمره بالمسير إلى عمان وعقد له على سبعة آلاف من رجاله الشجعان المجربين ، وقدمه على المرازبة والأساورة ، وسيره مدداً لأصحابه المذكورين هناك بعمان الذين نكبيهم مالك بن فهم ، وعهد إليهم حرب العرب وإخراجهم من عمان إن استطاعوا ، فتحملوا إلى البحرين ونزلوا بها واصلوا سيرهم حتى أتوا إلى عمان ، فلما وصلوا صحار ، واجتمعوا بأصحابهم ، أخذوا يتشاورون فيما بينهم ، ويتأهبون للحرب ، حتى انقضى أجل الهدنة ، فبلغ مالك بن فهم خبرهم واهتم لهم اهتماماً كبيراً وجعل يستطلع الاخبار عنهم ويرسل عيونهم حولهم ومعهم وأحس بقبضهم وضخات الدماء في عروقهم واقسم بعرويته وأزديته على تأديبهم ، وأخرجهم تماماً من أرض العرب .

ولكن هيات :

ويتلقف طرف الخيط في هذا العرض اتاريخي الشيق المؤرخ العربي والزيوري بكار ، ويعرض أمر المعركة في أسلوبه الذي يكاد يتفرد به فيقول :

ولما تمحق مالك من نزول المدد الفارسي المذكور ، ووصوله إلى صحار ، وأنهم

فامدروا لعمالة إلى حربه ، كان من مقتضى سياسته أن يظهر التجلد ويبتهج بالفناء حتى لا يرى الفرس منه وهنا أضعفا أو استكانة ، فلذلك كتب إليهم يهددهم قائلاً : إنى ونبت لسبكم بما يبنى وبينكم من العهد ، وتأكيد الأجل ، وأنتم بعدد مقيمون بعمان ، وبلغنى أنه أنا كم مدد من قبل الملك ، وأنكم تستعدون للحربى وقتالى ، وآآن إما أن تخرجوا من عمان طوعاً ، وإلا زحمت عليكم بجيلى ورجلى ووطأت ساحتكم وقتات مقاتلتكم ، وصبيت الذرارى وغنمت الاموال .

ولما وصلهم رسول مالك هالهم أمره ، وعظم فى أعينهم خطره ، وضاق عدت ما هم فيه ، وأكبروا الأمر إذ جربوه بالأمس ، وأنه لا يقبل إلا ويفعل وينفذ ما قاله ، مع قلة عسكره ، وكثرتهم بالنسبة إليه ، وقوتهم المتخلخلة بعمان وبذلك — وبما صار عليهم منه سابقاً من القتل — تحمسا وتجدوا لقتاله لاسياً وقد هبوا لذلك ، ولم يسعهم إلا مصادمته ، فردوا عليه أفسح رد وأغلظوا له فى القتال ، فلما رأى منهم ذلك الحمال زحبت عليهم وخرج إليهم بجيلى ورجله ، وقامت الفرس للقاء البطل العربى والملك الأزدى الذى عرفته بالأمس وعرفها ، فجاءوا بالفيلة أمامهم وبدأت المعركة .

ولما تقارب الزحمان وتلافى العسكران ، قام مالك بن فهم يتفقد أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويحرضهم ويلقى إليهم تعاليمه كما هى عادته فى حروبه وتركهم يتشوقون للقاء العدو الذى جاءوا له ، وكان هناك على اليمين ، وفراheid على اليسرة ، وهما الجناسحان وهما يتاير الجيش وهما قوته القوية وأركانه الحربية ، ونزل الشيخ القائد فى القلب مع الأبطال المجربين ، والتقوا هم والفرس لقاء رائماً ، فانتلوا قتالا شديداً ، ودارت رحى الحرب كأشد ما تكون جزءاً من النهار ثم انكشفت العجم وزالت عن مواضعها ، وذهبت إلى غير رجعة .

والطاحونة تدور :

ولما رأت الفرس في هذه المعركة لوائح التقهقر ، وأن مالكا لا بد أن يأخذهم وينفذ فيهم ما صرح به لهم ، من أنه يقتل المقاتلة ، ويسبي الذرية ، أعلنوا لرجالهم الهجوم على مالك بنير مبالاة ، وأن يصبروا لحره صبرالمستमित المقاتل ، ورأوا أن يحملوا على الأزدهمة رجل واحد ، بحيث لا يبقى منهم أحد في موقعه ، فإما النصر على مالك وإما الهزيمة الكبرى ... وزحفوا عليهم بغير مبالاة وجالت الأزدهمة جولتها ، ونادت في رجالها البواسل ، وناداهما مالك الهمام قائلا : يا معشر الأزدهمة افسدوا إلى لوائهم فأكشفوه ، فإن لهذا اليوم ما بعده ، وتهاورا عليهم من كل وجه .

وحل الشيخ البطل حملته المعهودة فهوى على العجم كالجم الثاقب المنقض ، وسرعان ما انكشف لواء القوم ، واختلط الطعن والضرب والتحم القتال ، وعظم النزال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج . حتى حجب عين الشمس ، فلا تسمع إلا وقع السيوف ، وصليل الحديد ، وغمغمة الأبطال ، الذين تراموا بالسهام وتجاهلوا بالسيوف فتكسرت ، وتطاعنوا بالرمح فتحطمت ، وصبروا صبرا جميلا ، وكثر الجراح والقتل في الفريقين ، وبدرت بوادر الهزيمة للفرس ، ولم يروا لهم قوة يقاوتون بها العرب غداً إذا زحفوا عليهم ، وهنا فكروا في المصير ، ورأوا الهزيمة أو الموت المحقق ، وهما أمران أحلاهما مر ، ففضلوا الهزيمة وولوا هاربين على وجوههم ، فأتبعهم فرسان الأزدهمة الأبطال المنتصرون بنشوة النصر يقتلون ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا كذلك ، والنصر معهم والغلبة تمشى في ركابهم ، وعلى طول الخط .

إلى غير رجعة :

هذا ، ويحدثنا التاريخ عن هؤلاء وهؤلاء فيقول .

ثم سارت فرسان الازد في أثر العجم يطاردونهم ، وظلوا يقتلونهم ويأسرون منهم طيلة يومهم ذلك ، حتى حال بينهم الليل فحجزهم بعضهم عن بعضهم ولم يترك من الفرس إلا من ستره الليل . وتحمل من بقى منهم من تحت ليله . هارباً مستخياً يتدارك النجاة ، ويستبقى الحياة ، حيث لم تنفخ الحرب وما كانت يوماً في صالح الفرس طوال تلك المعارك ، مع هؤلاء العرب الصناديد . وركب الفرس السنن وعبروا إلى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ومن معه على سوادهم ، واستباحهم وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقاً كثيراً ، فسكروا في أسجون زمناً ثم أطلقهم ومن عليهم بأرواحهم ، وكساهم وأوصاهم وزودهم وحامهم في السنن إلى أرض فارس - وتلك شيمة العرب - وهكذا استولى مالك بن فهم على عمان كلها ، وماسكها وما يديها من أعمالها على الخليج العماني ، وسار فيها سيرة جميلة ، وبذلك انتهى جلاء الفرس من عمان .

أحداث السمار :

وبالتالي فقد انتشرت أخبار مالك في أحياء العرب ، وأصبحت أحاديثه الهوجة السامرين وأحدثة المؤرخين ، فتنادت العرب بينها ونزارها للحاق بالملك الفاتح المنتصر ، وإن بعمان الخيرات المتنوعة والحياة العربية العزيزة ، فامضى وقت طويل إلا ورايات العرب تتوالى على عمان ، ولم يكن ليهدأ روع مالك بن فهم خوفاً من العجم ، وقد علم ما وقع بينه وإياهم ، ولم يزل مالك بن فهم يلاحظ الحسركة الفارسية بدقة ، وما زان مستعداً للقاء القوم غير مطمئن إلى جانبهم لما سبق بينه وإياهم وهم من عرف ، وقد خرجوا من عمان مابين أسير ، وجريح ، والذي يظهر

من استقرء التواريخ أن العجم لم يعودوا للحرب مالك بن فهم ، ولعل ذلك
لامور داخلية عندهم ، فكان دارا بن دارا ، قد مات في تلك الاثناء وتولى الملك
بعده واه ، الذى لم يتحرك بعد ذلك للحرب عمان ، فإنه كان جبارا ظالماً عاتياً
بالغاً في العتو أقصى المبالغ ، ثم كان قتله على يدى سليمة بن مالك بن فهم
في خبر عجيب ذكره المؤرخون .

من آل فهم إلى آل الجلندى :

ثم لم يزل الملك في أولاد مالك بن فهم ، ولم يرجع أحد من الفرس إلى
عمان حتى انتهى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عمان إلى آل الجلندى
ابن المستكبر الأزدي ، وهو من معولة بن شمس ، ثم صار ملك فارس كذلك
إلى آل ساسان . رهم رهمط الأ كاسرة ؛ فتهاذنوا هم وآل الجلندى بعمان على أن
يجعلوا فيها أربعة آلاف من الاساورة والمرابذة مع عامل يكون لهم هناك عند ملوك
الأزد ، فكانت الفرس في السواحل وشواطئ البحر ، والأزد ملوك في سائر
البلاد والامور كلها منوطة بهم ، فكان الساحل للفرس والداخل للعرب ،
وكان أمر العرب هو الناقد في البلاد ، وإن الخراج إذ ذاك في الساحل لا في الداخل ،
وإنما المنعة في البلاد لأهل الداخل ، وكان الفرس يفضلون الوجود بالساحل وذلك
لإمكان اتصالهم بقومهم ، فإن بين الساحل وبلاد فارس ذلك القرب المعروف ،
إذ أن نيران ساحل مكران تترأى من الساحل العماني ، فبقى الفرس هكذا في عمان
حتى جاء الإسلام فأجلاهم ملوك بني الجلندى من عمان إذ لم يقبلوا الدخول
في الإسلام ، وحينئذ رحلوا كلياً من عمان .

وكان مالك بن فهم ملكاً عظيماً ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم
عددوهم يهابونه ويخافون بأسه فيفتخرون به ويعتزون بمنعته ، وكانت له

جراً وإقدام ما ليس لغيره من الملوك ، ولم لاتهابه قبائل اليمن وغيرهم وقد علت ما صار بينه وبين الفرس من التعارك في عمان حتى أجلاهم منها راغمين مدحورين بعد قتال عنيف ، ومالك لا يزال وسط المعصية وتتساقط القتلى حوله وبين يديه ؟ ولم لا يخافون بأسه وهذا حاله وقد عرفت جرأته وإقدامه ؟ ثم أن نزوله ما بين عمان واليمن كان للاستتلاء على أحوال البلاد لما تحقق انكسار العصا الفارسية ، ولعله أيضاً وافق حسن الحظ بموت الملك دارا بن دارا كما أشرنا إليه سابقاً ، فكان مالك بن فهم يتجول في النواحي العمانية ، ويتفقد أحوال الوطن .

قال التاريخ : وكان أكثر نزول مالك بشاطيء قنات من شط عمان ، ويفتقل منها إلى غيرها .

وقال أيضاً : وكان في ناحية من نواحي بلاد عمان قد نزل ملك من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير — من ولد عبد الله بن الأزد — ولكنه لم يحقق الناحية التي نزلها . ولا بمن هو من قبائل الأزد ؟ ولا على أي كيفية كان نزوله ؟ وكاذ يكون مثل مالك بن فهم من العزة والمنعة والقدرة ، فخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد أو تحاقد ، وأن يطمع أحدهما في ملك الآخر فتقع بينهما الحرب — وهما عربيان — وهذا يدل على أنه كان للمالك بن زهير قسم من ملك عمان ، ولكنه لم يسبق له ذكر في حروب الفرس ، ولعله كان قد نزل على بعض العواصم العمانية ، فرأى مالك بن فهم أنه من الحكمة والكياسة الأعضاء والتناقل عنه ، ليسكون له عوناً وعضداً إذا تحركت الفرس عليه مرة أخرى فإنه ما يزال في قلق من القوم ، ولذلك لم يعارضه ، وكان من التضمير بـ كان ، فوسع المجال للمالك بن زهير .

ومن هذا الباب خطب مالك بن فهم والحزام بنت مالك بن زهير قطعاً للداب

التحامد والتباغض بينهما وتأكيدها للدودة والصلوات ، وتقوية لظهوره كعادة العرب في مثل هذه الامور .

يأخذ كل سفينة غصبا :

ولما رأى مالك بن فهم انهيار صرح العجم في عمان ، وانكسار شوكتهم رجوع إلى شؤونه الداخلية ليؤيدها بسياسة الحكيمية ، وآرائه السديدة ، وألقى نظراته إلى ما حول عمان من الممالك وما يتبعها من البلدان ، وظل يتردد على الأطراف لأنها الأبواب ، وكان ينزل في النواحي المختصة ، ويقوم في الامسكة المنظور إليها ، وهو الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً ، فكان مسلماً عظيماً في العرب .

وكان ينزل قلهات من شط عمان ، وينتقل من هناك إلى أي ناحية أخرى ، وكانت تلك عادته ، وقد علمت أمر قلهات في عمان إذ ذاك . . . وفتح بذلك للعرب دار الهجرة إلى عمان ليطلعهم بهم وتقوى شوكتهم بتوهمه ، وسرعان ما هاجرت العرب إلى عمان زرافات ووحداً ، يمانية ونزارية ، حتى ملأوا عمان فامتد سلطان مالك في عمان وضم إليها البحرين وأطراف العراق . فكان الملك الكبير العظيم السلطان . بين ملوك الجزيرة العربية كلها .

وكان ينتقل في النواحي العمانية متنقداً شؤونها ومتطلعاً أحوالها ، ومراقباً سير الأعمال في الجزيرة . ولم يكن له معارض أو مزاحم ، ولم يذكر التاريخ عن مالك بن زهير شيئاً من الأعمال في عمان . بل كان السلطان الوحيد والأمر الناقد للمالك بن فهم . وقد طال عمر مالك بن فهم في الملك . فقد ملك عمان وما حولها حوالي سبعين سنة . ولم ينازعه في ملكه من العرب أو من العجم ، وملك على مضر عشرين سنة ، وعاش مائة وعشرين .

أما كيف قتل مالك ؟

وكانت وفاة مالك بن فهم نتيجة الكيد الاخوى الاشبه بكيد إخوة يوسف وهى كما يريها البندادى السويدي فى كتابه « قبائل العرب » حيث يقول :

وذلك أن مالك بن فهم تزوج الحزام، بنت مالك بن زهير كما قدمنا، الذى اشترط على مالك بن فهم أن يكون الملك فى ذريتها فوافقه مالك بن فهم ؛ ولا بد أن يكون ذلك مؤثراً فى قلوب اولاد مالك بن فهم خصوصاً إذا جاءت برجال يتولون الملك بالوراثة عن بقية إخوتهم ، فسكان من القضاء وانقدر أن جاءت الحزام، بولد سموه سليمة مبالغة له فى السلامة ، وكان ولدا تلوح عليه مخائل النجابة ، وأحبة مالك بن فهم حباً بالناً ، فقال إخوته: هذا ما كنا نتوقعه ، وإن سليمة لاشك أنه سيكون الملك علينا تبعاً للشرط الذى شرط والداه مالك بن زهير ، فتآمروا عليه وأن يكيدوه بمكيده تسقطه من كرسى محبة الوالد الذى له السنفقة التامة به.. ، والعطف البالغ له حد الغاية، وكان مالك بن فهم قد وضع الحرس الداخلى الذى يسميه المصريون اليوم حرس الشرف على كواهل اولاده إذ لا يطامئن لغيرهم مهما كانوا ، وكان لسكل واحد منهم نوبة، فقالوا لوالدهم: أيها الملك إن ابنك سليمة لا يقوم بواجبه فى الحرس ، وإنه ينام فنخشى عليك من قبل نوبة سليمة ، وكان القصد من ذلك أن ينضب الملك على سليمة فيطرده أو يرفضه ولا يقبل منه فى الأعمال الخاصة شيئاً فينتج عن ذلك سقوط سليمة من عرش الملك، وكان قد بلغ من حب مالك لولده سليمة أنه كان يعلمه الرمي بالسهم إلى أن أتقته ، وكان ذلك هو القوة فى الحرب فى ذلك العهد ، وكان سليمة يحرس أباه كماخوته فغضب إليه إخوته ضعف الهمة، وأنه إذا جن الليل يعتزل فرسان قومه ويتشاغل

بالنوم والغفلة عما يلزمه ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه وينسيونه إلى العجز والتقصير ، فقال لهم مالك : إنكم كذلك وما أحد منكم إلا وهو ملتزم بما وجب عليه ، وأما قولكم في اني وأخيكم سليمة فليس هو كذلك وإن ظني فيه كعلمي به ، قال : ولم تزل الإخوة يحسد بعضهم بعضاً لإيثار الآباء بعضاً دون بعض ، فانصرفوا من عنده أجمعين راجعين بتخير ما كانوا يأملون .

خسارة لينها ما كانت :

ثم إن مالك دخله شك وهو في الحقيقة لم يكن شكاً ولكنه كان حرصاً ورعاية وهذا شيء من واجب كل أمير أو مالك حتى لا يكون متهماً بالتقصير أو الإهمال الذي لا ينبغي ، فأسر مالك كلام أولاده في نفسه إلى أن كانت الليلة أتت فيها نوبة سليمة ولده ، فخرج سليمة في فرسان قومه للحرس كعادتهم ، ثم اعتزل عنهم سليمة في المكان الذي يكمن فيه ، وما كان لسليمة علم بذلك الذي تأمر به الإخوة شأنه ، ولم يكن منه قصور ولا تقصير فيما وكل إليه . فكمن سليمة في مكمنه المعتاد بالقرب من دار أبيه ، فبيتا هو كذلك إذا أقبل مالك من قصره في جوف الظلام تخفياً من حيث لا يعلم به أحد ليحتمق مقال أبنائه في أخيم . فتوجه فاصداً الموضوع الذي فيه سايمة ليرى ما هو عليه من الحال ، فكان من قدر الله الذي لا يحال عنه أن لحقت سليمة صوته من النوم في تلك اللحظة التي ساق الله فيها مالكاً لتكون سبباً في حتمته . فأغفا سليمة على ظهر فرسه وهذا طبعاً يعترى الإنسان . وكان سليمة قد تنكب كنياته وفي يده نومه وهو على ذلك الحال . فأحست الفرس بشخص . مالك وقد ألهم الله الخيل من الحس وجعل لها من البصر ما لم يمنه لغيرها . وكان مالك بعيداً فصهلت الفرس عند ذلك لتعطي راكبها إنذاراً بما أحست به . فانتبه سليمة ذلك البطل الشاب الحديد في حركاته كلها . القوي على أداء أعماله كما يلزم مذعورا من صهيل الفرس . إذ من عادة الخيل ألا تصهل إلا لأمر تراه . فنظر سليمة إلى فرسه وهي ناصبة أذنيها إلى الشخص الذي أحسته . وكان ذلك إخباراً

منها لصاحبها . ففرق سليمة سهمه في كبد قومه ويمه نحو الشخص الذي تشير إليه الفرس ولا علم له أنه أبوه . وأطلق سهمه فسمع مالك صوت السهم حين جذبته سليمة فوجهها له نحو أبيه الملك . فصاح به مالك : ولا ترم أنا أبوك ، فبينما هو يقول أنا أبوك . كان السهم قد انطلق مخلقا في طيرانه نحو الشخص المرمى فقال سليمة عند ذلك بصوت المنلوم على مافرط : د السهم ملك قصده ، أى لاحتلة لى على رده . فأصاب السهم مالكا في قلبه فخر صريعا . وأرسلها سليمة مثلا . وعند ذلك أشتد مالك تلك القصيدة التي جعلها تاريخا لحياتموعر فيها عن مهام أعماله . وفيها يقول عن سليمة أبنه :

جزاه الله من ولد جزاه سليمة مأبر وما جزاني

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

ترخاني بسهم شك لبي دقيق قد برته راحتان

فأهوى سهمه كالبرق حتى أصاب به الفؤاد وما عداني

ألا شلت يمينك حين ترمي وطارت منك حامله البنان

والمعنى أنني علمته الرماية ليرمي عنى الإعداد . فلما اشتد وقوى كان راميا إياي . وفيه تأنيب لسليمة وأهلها يظنه أنه قد عرف الشخص حين رماه فلم يكن منه إلا الرمي . ومن أين لسليمة العلم أنه أبوه ؟ ولما سمع نداء مالك لم يكن للسهم أن تدب مالك . والقدر حاكم على الإنسان ولا بد من وقوعه . وللكل شو . غاية ينتمى إليها . وليست الجريمة على سليمة فإن ذلك واجبه . ولكنها نتيجة الكيد الأحمق كما قلنا . وحب الرئاسة والتنافس فيها يقتضيان مثل هذه الأحوال . ولكن لم نعلم وقوع هذا الحادث في أى موضع من عمان . لأن التاريخ العماني قد ضاع بعدم النثر وتناول الأيام عليه . .

وهل بقي شيء في الأعماق ؟ :

ولاشك أن خبر مقتل مالك كبير له أهميته الكبرى ولا بد أن يكون له ذكر في السير ، إلا أن السير العمانية ذهبت كغيرها في أحشاء النسيان وطوى الأهمال والسكتان .

وسياتي — وقد اتى فعلا — ذلك اليوم الذي يريح التاريخ فيه أو ضار تلك التسيبات . وأو زار هذه الانحرافات — أو السكتابات الغير أمينة — عن باد له مكانته الشاعرة ، وقاعدته الأصيلة الراسخة . مثل عمان . ذلك البلد الذي اعتدت به التقاليد العربية . وفاخرت بسلوكه ومنهجته كل من البداوة في أعلا أناطها ، والحضارة الحديثة في أرق صورها ؛ وأرقى طبعتها .

ولقد رصدت سلطنة عمان اليوم ذلك الكم الهائل من الاستعداد الضخم . والتميز الراسد الرائب ، لتسخير الطاقات والقدرات . وتوظيف الأدمة وشتى الامكانيات في استئناف العمل بجدية وصدق ، وأمانة وحق . . على خريطة التاريخ العماني الشاسع الواسع . وفي أعماقه وجيوبه . وبين أبعاده . وأماده . تعريضا عن ماضى . واحتفاما بما هو آت .

إن عمان — بما خبأت في أعماقها . وما أجننت في بطنها ورحمها . ، ما يضيف الإنسانية . ويثرى النوع البشرى . ويضيف إلى الحياة جديدا ، وأى جديد — لها المترتبة في الحقيقة والواقع على عرش الثقافات والحضارات . والايهامات والمعطيات الرائدة الواعدة .

وهي التي يجب أن تحتل بؤرة الشعور . ومكن الحس في وجدان العالم وضميره . نظرا لما ستقوم به من دور إيجابي فعال . وما تنطلع به . وتممه

فوق عانتها من مسؤوليات ضخام وتبعات هائلة جسم . بدها من المد المادى .
ومرورا بالتراث العلمى الاكاديمى . ووقفاً مع هذه النهضة الروحانية الرائعة
التي استقطبت كل عناصر التقدم والوعى . واستوعبت في شمولها . وبين أطراف
عبائها أسباب التمكين في الأرض . والصعود إلى السماء .

وذلك كله إنطلاقاً من ذلك الوعد الكريم الذى وعد به جلالة السلطان
المعظم وقابوس بن سعيد ، العالم كله . مع إطلالة صباح الثالث والعشرين من
يوليو عام ١٩٧٠ . مكن الله له وأسعد به الحياة ...

وبما لاشك فيه ، أن الحضارة الانسانية — التي تعمل عمان دائماً على إنمائها
وإثرائها — إنما هي مجموعة المعارف والذكريات والمساهمات — التي اضطلعت
بأعبائها ، ووظفت نفسها لأدائها ، وأخلصت في الاستجابة لسكل متطلباتها
وحاجاتها ووزارة التراث القومى والثقافة ، بسلطنة عمان — والتي تجمعت وتراكت
على مر الاجيال والنسور ، والحقب والأحداث ، وهى أيضاً الموروثات التي
تركها الآباء والأجداد ، عبر المساهمات والاجتهادات ، والتفاعل الصادق
مع الحياة .. وإن الإلتزام الحقيقى إلى هذه الحضارة ، والإسهام فيها ، والمشاركة
في تطويرها ، لا يكون إلا بالتفاعل بها ، والتجاوب معها ، والتزود بما تطوى
عليه تلك الحضارة من أفكار السلف ، وإيجابيات تجاربهم مع المواقف ، واقتحامهم
لها ، وإن السهيل الوحيد إلى ذلك الإلتزام ، وذلك الإسهام ، وهذا التفاعل والتجاوب
إنما هو في تدوين الكتب ، وطبع المخطوطات ، ومطالعتها ، والاستئناس بها ،
ونشرها واداعتها ، وانشاح الطريق أمام مسيرتها ، والحفاظ على الخلفات
والسلفيات والآثريات ، التي تكشف الغموض ، وتزيل الاجهام عن تاريخ البشريّة
عموماً ، وعن الدور الفعال العظيم الذى قامت به عمان في خدمة العروبة والاسلام
على وجه الخصوص ، وهذا ما فعلته عمان ، وتقوم به وزارة التراث القومى

والثقافة مع سائر الاجهزة وشتى المرافق والمؤسسات في السلطنة العمانية . ولقد
أشهى جلاله السلطان قابوس .. المعظم ، طريق النهضة الحديثة في أسلوبها المتميز
وصيغتها المشرفة ، وعلى المستوى الحضارى العريق ، عبر سلطنة عمان ، بما يهتق
لها « أستاذية » العالم ، ويدفع بها إلى « إمامية » الدنيا ، في محراب البحث والدرس
وفي مصلى العلم والمعرفة ، وفي « المعمل الأكاديمي » العام ، الذى يصنع الأداة
والأصناع ، ويعد الأوليات والأولويات في المنهج المبرمج السائد وفق منطق
الواقع ، ومع منطلقات الحياة ، وذلك من خلال «وزارة التراث القومى والثقافة»
التي أكدت — وتؤكد دائماً — حتمية ربط الماضى البعيد ، بالحاضر المجيد ، بالغد
المأمول السعيد ، بما تقوم به من توظيف الطاقات البشرية ، وتوصيف الامكانات
والقدرات ، وتكليف العلماء والباحثين — على مستوى عمان ، وغيرها من بلاد
المسلمين والعرب — بالتنقيب والتفتيش ، والغوص في أعماق المقتنيات والآثار ،
والركض وراء المخلفات والخامات ، وتبنيح حصاد الوعى الانسانى ، وتجميع
متاثرات وماثورات الفكر العماني ، وابداعاته الفقهية ، والتشريعية ، والقانونية ،
والفنية ، والتاريخية ، والعلمية ، و«التكنولوجية» ، عموماً .. مما سيكون له
الآثر الكبير ، والدور الفعال الخطير ، في إثراء الحياة ، وترقية الانسان ،
وتصحيح معتقده وسلوكه ، حتى يتمكن في النهاية من اقتعاد المنابر الشامخة العالية ،
ويصبح أهلاً — وفعلاً .. لأن يتعامل حقيقة مع ايجابيات ، وواجبات « أهل
الاستقامة » ، و« الفرقة الناجية » ..

الباب الثاني

كيف دخل الإسلام عمان؟

وأشرق النور :

إن التاريخ الصادق يؤكد في سجلاته ومخطوطاته، ويحفظ في رواياته ومقولاته لدى الرأي العام العالمي ، أن عمان كانت أسبق الأمم إلى إعتناق الإسلام منذ ظهوره على خريطة العالم ، وذلك على يد رجل أزدى من طى ، اسمه « مازن بن عضوبة ، ابن شامة بن حيان بن مر ، بن أبي بشر بن خطامة بن سعد بن نهبان ، بن عمرو ابن الغوث بن طى الأزدى ، وكان من أهل سمايل ، وهي مدينة تقع على الجانب الايمن والايسر من وادى سمايل بسلطنة عمان ، وأهم معالمها التاريخية حصنها الذى يقع على شاطئ الوادى ، ويبلغ طولها نحو سبعة أميال تقريباً .

ومن خبر إسلام هذا الرجل أنه كان يعبد صنما فى الجاهلية يقال له « ناجر ، ويقوم على خدمته ، وتعظمه بنو خطامة كلها ، وبنو الصامت من طى .

قال مازن: فعنزت عنده ذات يوم عنيزة – اى ذبحت له عنيزة – فسمعت صوتا جائيا من الصنم يقول : يا مازن : أقبل إلى أقبل ، تسمع ما تجهل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي تعدل . وأتق حر نار تشعل . وقودها الناس والجندل .

قال مازن : ففرغت من ذلك فرعا أربعين .

وقلت : إن هذا لعجب . ثم عنزت أخرى فسمعت صوتا من الصنم أيضاً

يقول : يا مازن لسمع تسرو ظهر خير و بطن شر ، بعث نبي من مضر ، يدين بدين الله الأكبر ، فدرج نحييتا من حجر ، تسلم من حر سقر ، وإياك إياك أن تتأخر .

قال مازن : فقلت إن هذا هو العجب ، وأنه لخير يراد بي ، قال : وبينما أنا كذلك
تفاني الحيرة ، ويفشأ القلق ، وتمتد في المواجس ، وتعصف بي الاظانين . .
إذ ورد رجل من أهل الحجاز يريد أن ينزل دبا — أحدى وديان المنطقة الشرفية
على الساحل الصافي — فقلت له : ما الخبر وراءك ؟ .

قال الحجازي : ظهر رجل في مسكة يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف ، يقول : « أيها الناس أجيئوا داعي الله ، وآمنوا به
فاست بمتكبر ، ولا جبار ، ولا متسلط ، ولا محتمل ، أدعوكم إلى الله ، وترك
عبادة الأصنام والأوثان ، وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض ، وأستفدكم
من نار ، لا يطفى لها ، ولا ينجم من سكنها » .

قال مازن : فقلت : والله هذا هو النبي العظيم الذي لم ينصح عنه الصنم ، وما سمعته
منه . . فقممت إليه ، ووثقت عليه ، وأعملت فيه المعجول حتى جعلته جماً إذا ،
وركبت راحتي واستعنت بالله ، وقصدت إلى رسول الله ﷺ .

بينى وبين الرسول :

وهناك ، وفي المقر النبوي الكريم دار بينى وبين الرسول حوار ، وسألته عما
بعث به ؟ فشرح الله صدرى للإسلام ، وأسلمت على يديه . وقلت له ﷺ -
فيما قلت - : يا رسول الله ! أدع الله تعالى لأهل عمان . فقال عليه السلام :
« اللهم اهد أهل عمان وأئيبهم ، . . فقلت : زدنى يا رسول الله ! قال : « اللهم
أرزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قدرت لهم ، . . قلت - مستزيداً طامعاً في
بركاته ودعواته - : يا رسول الله ، إن البحر ينضح بجانبنا ، فادع الله في
ميرتنا ، وخفنا ، وظاننا .

قال عليه السلام : اللهم وسع عليهم في ميرتهم ، واكثر خيرهم من بحرهم ، وبارك لهم في حياتهم .. فقلت : زد يا رسول الله ، قال ﷺ : يارب .. ولا تسلب عليهم عدوا من غيرهم .. قل يا مازن : أمين .. فإن أمين يستجاب عندها الدعاء . .

قال مازن : ثم قلت يا رسول الله : لاني مولع بالطرب ، وشرب الخمر ، ولجوج بالنساء ، وقد نهد أكثر مالي في هذا ، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ، ويهب لي ولدا تقر به عيني ، ويمدلي في الحياة . فقال ﷺ : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرām الخلال ، وبالعمر عفة الفرج ، وبالخمر ربالا لئم فيه ، وآته الحياة وهب له ولدا تقر به عيناه . .

قال مازن : فأذهب الله عني ما كنت أجد من الطرب ، وحجبت حجابا ، وحفظت شطرا من القرآن ، وتزوجت أربع حقائق من كريمات العرب ، ورزقت ولدا أسميته وحيان بن مازن ، وأخصبت عمان في تلك السنة وما بعدها من السنوات وبارك الله في الخلف ، والظلف ، وكثر صيد البحر وفاض لؤلؤه ، وتضاعف الخير ، ورحمت التجارات ، وأمن أهل عمان من كل خوف ، وحفظ الله عمان وكلاهما بعينته ، ورعاها برعايته ، وذلك ببركة دعاء النبي لها ، صلوات الله وسلامه عليه .

وفي هذا يقول مازن :

إليك رسول الله حنت مطيبي
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصوي
وكننت أمراً ، باللهو والخمر مولعاً
شبابي حتى آذن العمر بالنهج
إلى معشر خالفت في الله دينهم
فلارأيهم رأيت ولا شرمهم شرمي
فبدلني بالخمر خوفا وخشية
وبالعمر إحضانا فأحصلني فرجي
فأصبحت همى في الجهاد ونيقي
فله ما صرمت لله ما حجي

همان في منطوق النبوة :

قال ، اذن : فلما كان العام القابل الذي وفدت فيه على رسول الله ﷺ ، وقصصت عن حال عمان ، وما أصابها وأصاب أهلها من الخير والبركة ، قلت لرسول الله : يا رسول الله ، يا المبارك ابن المباركين ، والطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوما من أهل عمان ، ومن عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصبا هنيئا ، وكثرت فيها الأرباح والصيد والخير والبركات .. فقال عليه الصلاة والسلام : ديني دين الاسلام ، وسيزيد الله أهل عمان خصبا ونماء وصيدا ، فطوبى لمن آمن بي ورأى ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، ولم ير من رأيي ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما ، وسينتشر الإيمان من ديارهم .

ثم كتب عليه السلام إلى ملك الفرس كسرى ابرويز انوشروان ، يدعوه إلى الإسلام — وكانت الفرس لم تول أنذاك تملك أمر عمان حتى ذلك العهد — فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ ، فدنا عليه وقال : اللهم فرق شمله ، وهزق ملكه كما فرق كتابي ، ولم يفلح كسرى بعد تلك الدعوة فاهلكه الله ، وفرق ملكه ، فما بقيت بعد ذلك للفرس دار يملكونها إلى اليوم ، فهم في كل بلد رعابا واتباع ، ورحل وسواح ، وسلط الله عليه ابنه شيرويه ، فقتله .

ثم اهتم شيرويه بأمر النبي ، وهذا الدين الجديد ، وخاف على نفسه مزغبة العناد والتحدي ومكابرة الحق ، واتباع الهوى .. واتعظ بمن سبقه ، واخذ العبرة من أبيه ، فكتب إلى عاملة ، باذان ، — الحاكم القائم على عمان — وقال له : أرى أن تبعث من قبلك رجلا عربيا فارسيا — يحسن العربية والفارسية ، صدوقا يمكن أن نعتمد على مقاله ، ويكون قد قرأ الكتب ، وله دراية بها ، وعلم بخبر ما يأتي من النبوات — إلى الحجاز ، كي يتعرف خبر هذا النبي العربي ، الذي يشيع الآن في العالم .. فبعث باذان على الفور رجلا يقال له كعب بن برشة الحودي ،

أو الطاحي - وكان قد تنصروا وقرأوا الكتب - فأق النبي ﷺ ، وكلمه وسأله واستفهمه ، ورأى فيه الصفات والسمات التي يجدها في الكتب ، فعرف أنه النبي المرسل الذي بشرت به التوراة ، والإنجيل ، والكتب السماوية المقدسة وعرض النبي عليه الإسلام فشرح الله صدره له ، وأسلم من فورهِ ، ونقل راجعا إلى عمان ، فكان الصحابي الثاني بها بعد مازن رضي الله عنهما وأرضاهما .

وهكذا أنهت أرض عمان صحابين جليلين ، مع خطوات الإسلام الأولى ثم تابعت الصفوف وكثرت الزخوف بعد ذلك من العمانيين بسرعة متتالية كي تحظى بشرف الانتهاء إلى الإسلام مع السابقين السابقين ، والأوليين المقربين .

ورجع كعب إلى د باذان ، عامل النرس على عمان ، وقص عليه الاعاجيب المدهشات ، وأخبره بأمر النبي ﷺ ، وأنه النبي المرسل للعالم كافة ، وأنه خاتم الانبياء . والمرسلين . . . فقال باذان - في نفسه - هذا أمر أريد أن أشافه فيه الملك وأطلعه شخصيا على جوانبه ومخباته .

ثم استخلف على قومه بهمان رجلا منهم اسمه ... مسكان ... وخرج هو إلى كسرى في فارس ليشتافه فيما هو بصدده ، ويطلعه على خبر هذا النبي الوارد ذكره على مسامع العالم ، والذي احتفت به واحتفلت بقدومه كل أصقاع الدنيا وأبقاع الحياة .

من محمد رسول الله :

هذا ما كان من أمر الإسلام في مطلعه من الأفق العماني مع كينونة الرجود

الفارسي هناك .

وفي عهد كسرى أنوشروان ، وابنه شيرويه ، ، أما ما كان من أمره
— أى الإسلام — وكيف دخل إلى عمان ، ولا سيما بعد أن أسلم كل من مازن بن
طلى ، وكعب بن برشة العودى ويعرف كذلك بالطاحى — فإن التاريخ يحدتنا على
ألسنة شيوخه ، وجها بذته الأمانه النقاة : إن النبي ﷺ كتب إلى أهل عمان أولا
يدعوم إلى الإسلام ، ثم كتب ثانية إلى الجلندى بن المستكبر ملك عمان ، أو إلى
ولديه عبد وجيفر — بعد موته — على اختلاف بين المؤرخين ، وقد يكون من
الجزائر أن يكون الجلندى هو المدعو أولا ، وقد أجاب الداعى ، ثم إنه مات
فكتب النبي إلى ولديه من بعده ، أو ان الجلندى هذا مراد به الملك ، وأنه لقب
لكل ملوك عمان فى الجاهلية . كما يقال « تبع ، و « فرعون ، و « قيصر ،
و « كسرى ، و « نجاشى ، لكل من ملك اليمن ، ومصر ، والروم ، والفرس
والحبشة .

وكتب ﷺ إلى أهل عمان يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله رسول الله ، إلى أهل عمان ،
أما بعد :

أفروا أن لا إله إلا الله . واتى محمد رسول الله ، وأدوا الزكاة ، واعمروا
المساجد ، وإلا غزوتكم ، والسلام ، ولم يذكر النبي ﷺ فى هذه الرواية الصلاة
ولعابها كانت مفرومة بدليل أمره عليه السلام فى كتابه بعمران المساجد ، وعمرائها
لا يكون إلا باقامة الصلاة فيها ، وأما نصه عليه السلام صراحة على أداء الزكاة
فلائها عبادة مالية . تنطاب الانفاق والايخراج ، والنفوس عادة تشح بهذا
الاسلوب من التعامل ، وتبخل فى تعاطيه أو ممارسته ، أو بذله ، إلا من عصم الله

وشرح صدره ، وفتح قلبه ، وسهل عليه ، ويسر له ، فأعطى واتقى ، وصدق بالحنى ، ووقاه الله شح نفسه ، ومن يوق شح نفسه فأرثك هم المفلحون ، كما كتب صلوات الله وسلامه عليه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى ، ملكى عمان ، يدعوها وقومها إلى الإسلام ، ويقول فى نص الكتاب الذى يقع فى أفل من الشبر كما يرى ذلك الراءدى باسناده :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعو كما ومن معكما بدعوة الإسلام اسلما تسلما فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالإسلام وليتكما ، وابقيتكما فى حكمكما ، وان أبيتكما أن تقررا بالإسلام ، فان ملسككما زائل عنكما ، وخيلى نطأ ساحتكما ، وتظنر نبوءتى على ملككما ، ،

هذا ، مع ملاحظة إن كاتب هاتين الرساتين بخطه هو أبى بن كعب ، والرسول عليه السلام هو الذى املهما عليه ، وطوى كلا من الصحيفتين ، وختمها بخاتمه الشريف المبارك ، وكان نقش الخاتم « لاله إلا الله محمد رسول الله ، وبعث بالرسالة عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، إلى الجلندى بن المستكبر ملك عمان فى ذلك العهد .

فاجاب الداعى ، وأرسل إلى الفرس الذين كانوا فى عمان — وكانوا بموسا يدينون بهجادة النار — يدعوهم إلى إعتناق الدين الذى جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فأبوا ذلك ، وأصروا على عدم المبالاة ، والاهتمام بأمر هذا الدين ، فحاربهم الجلندى وأرغمهم على الخروج من عمان فى قصة طويلة معروفة ، أشبه بالاسامير ويرى كل من صاحب تحفة الأعيان ، وابن خلدون ، فى مقدمته ، إن السرفى إقبال أهل عمان على الاسلام ، واستجابتهم السريعة إلى المبادرة إليه ، واعتناقه

إنما هو شيء أشبه ما يكون برجع الصدى للصوت القوي المجلجل ، أو برد الفعل المضاد للسلوك الفارسي المعربد بين هؤلاء العرب العمانيين حقبة طويلة من الزمن وحيناً أبدياً بعيداً من الدهر المعتم القائم في معاملة الأعاجم لهم ، وتسلط المرازبة عليهم ، وتحكم الفرس فيهم ، وتغترس الأساورة في معاملتهم ، حتى كانوا كثيراً ما يمتنون الخلاص منهم ، والتفت من قبضتهم ، والعمل على إزاحتهم وإزالتهم ، فأنحروا نور الإسلام بثهادى في آفاق مكة بادية ذى بده ، ثم ينتشر سريعاً إلى بقاع العالم وأصقاعه ، - وهو الدين الذى انصب في رعا. العروبة - حتى توافدوا عليه - وهم العرب الأفحاح الصحاح - زرافات ووحداً ، وحتى بجاملة وتصبا لعروبة نبي هذا الدين ، وأيضاً لأن هذا الدين هو الذى سيخلصهم حتماً بما ذاقوه وعانوه ، وشربوا مره وصابه ، وتجرعوا علقمه وعذابه على أيدي غير العرب من الأعاجم والمستغربين ، والدخلاء على العربية. خاصة وأن المواجهة كانت دائماً على طرفي نقيض بين العربي والأعجمي فوق الخريطة الخليجية أو الجغرافية ، مع ما كان عليه المجتمع الفارسي على الجانب الآخر المقابل للخليج العربي ، من الميوعة والمطالب والسليات ، في حين كان عرب عمان أكثر اعتماداً بعروبهم وأصالتهم وكانوا أشد ما يكون تمسكاً بفضائل العروبة ، والدفاع عن العرض والشرف ، كما هو شأنهم دائماً في كل المواقف والمواقع ، وأبداً وعلى طول الخط .

وهكذا دخل العمانيون جميعاً في دين الله أفواجاً ، وسرعان ما التأموا به ، والتحموا فيه ، ونهضوا - في همة ونشاط - بدورهم الكامل ، كعضو فعال في المجتمع الإسلامى الجديد ، وأخذوا بتأرهم الحائق ، وغيظهم المتلمظ الغاضب واحتجاجهم المكتوم العارم من هؤلاء الرعاع الأوزاع الأعاجم .

وهل ينتظر من أهل عمان الأشاوس الأخيار غير ذلك ؟ وهم الذين أسلموا طوعاً ، وبالرأى رسول الله ولم يروه . فسمعوا له ، واطاعوا رسوله ، على بعد

دارهم وكثرة عددهم ، بينما أهله وذووا عشيرته عادوه ، حتى أخرجوه من وطنه وتألّبوا على عداوته ، وتواصوا بالسكيد له ، إلا من شاء الله من سبقت لهم منه الحسنى ، كما أن أكثر العرب تأمروا عليه ، وعارضوا معجزاته ، وانكروها ، وهى واضحة رأى العين ، بينما أهل عمان قالوا لرسوله : أهلا ومرحبا ، وساموا إليه مقابلتهم ، وكانوا لدعوته دعاة مخلصين ، ولداعيه بينهم وفى بلادهم عضده اليمين ولاوامره وتعليماته خاضعين مستجيبين .

لذلك - ومن مثل هذه المنطلقات - قلدتهم الرسول وسام الشرف ، وزين صدورهم بالشارات ، والعلامات ، وترك لهم فى سجل الحياة أفضل الشهادات ، وأجمل الاعترافات ، مع قوله صلوات الله وسلامه عليه :

« رحم الله أهل الغبراء - أهل عمان - آمنوا بى ولم يرونى » .

معا على الطريق :

وفى سيرة ابن هشام الحلبيّة : أن عمرو بن العاص حمل رسالة النبي ، وقدم بها إلى ابني الجلندي عبد وجيفر ، وأن أول موضع نزل به فى عمان « دستجرد » - إحدى مدن صحار التى بنتها الفرس على الساحل - وكان نزوله بها وقت الظهر ، ومن هناك بعث إلى ابني الجلندي وهم ببادية عمان ، ولعلمهم فى الداخل كما هو المعروف من أن العرب كانوا فى الداخل وفى الأعماق ، والعجم فى الساحل وعلى المشارف تأهباً للهرب أو الفرار .

وكان أول من التقى به منهما عبد الذى أوصله بدوره إلى أخيه جيفر ، حيث دفع إليه كتاب رسول الله محتوما ، فقرأه أو استقرأه حتى إذا انتهى من قراءته دفعه إلى عبد فقرأه هو الآخر ، ثم التفت جيفر إلى عمرو وقال له : إن هذا الذى يدعو إليه صاحبك ليس بالأمر الهين ، ولا بالشئ الصغير أو المقال اليسير ، وأنا

أعيد فكرى فيه مرات ومرات ، وأعلمك بر أبى مع الغداة .

وأكد ابن الأثير في «السكامل»، والبلاذرى في «انساب الاشراف»، والمسعودى في «إمتاع الاسماع»، والزحشرى في «الكشاف»، وأحمد أمين في «فجر الاسلام»، وأحمد كامل الخضرى في «الموارث الاسلامية». إن أول من لقيه عمرو بن العاص في «دستجرد»، بعمان هو عبد بن الجندى أخو جيفر - وكانا ملكين - وهو احكم من أخيه رابا، وأحسن خلقا، وأرحب صدرا، فأوصله بكتابه إلى جيفر، الذى استحضر جماعة من الأزد وأهل الرأى فيهم، وبعثوا إلى كعب ابن برشة - وكان من علماء المسيحية، ومن أدمن كثيرا على قراءة الكتب التى نجت في الثورات - وسألوه عن أمر النبي، فقال لهم : أنه نبى مرسل، وقد عرفت صفته من الكتب التى بشرت به، وأنه سيظهر على العرب والعجم جميعا، وكان العرب في عمان آنذاك يدينون بالدين المسيحى، أما الفرس فسلكوا يعبدون النار، ويدينون بالمجوسية .

ودار حوار بين عمرو وجيفر حول العقيدة التى يجب أن يكون عليها الانسان واشتد الحوار بينهما، ودارت رحاه قوية مناغطة، وهنا قال عمرو لجيفر : على أى الديانات كنت تعبد الله ومن معك ؟ فأجابه جيفر : كنت أعبد الله على ديانة عيسى عليه السلام، قال له عمرو : وهل تعلم أن عيسى كان يعبد الله ؟

قال : نعم . . . قال عمرو - في حجة بالغة، وبرهان ساطع، وهنقى واثق أكيد - : إذن فأنا أدعوك إلى عبادة من كان يعبده عيسى ! فأسلم جيفر وعبد أبنا الجندى، وأسلم أهل عمان، وحسن إسلامهم، وقويت بهم الكتيبة الاسلامية الفتية .

وهذه أيضا من كرامات ومكرمات أهل عمان .

ومن هنا ، بعثوا إلى وجوه الناس وأعيانهم يدعونهم إلى الاسلام .. وبإيعام الجميع للنبي عليه السلام ، وادخلوهم في دينه ، وألزموهم بتسليم الصدقة التي أخبرهم بها عمرو ، والتي حددها الاسلام ، وأمروا بن العاص بقبضها على الهيئة التي أمر بها النبي ﷺ ، وبعثوا أيضا - إلى مهبرة والشحر وتواحيها ؛ وإلى دبا ، ومايلبا إلى آخر عمان في الأطراف الساحلية الشمالية ، فما ورد رسولهم على جهة وما جاء داعيتهم إلى أحد بالدعوة للاسلام ، وأجاب الدعوة ، وما تخاف أحد أبدأ عن تلبية داعي الإيمان غير الفرس المجوس عبدة النار والأوثان .

واجتمعت الأزد إلى جيفر وأجمعوا أمرهم جميعا على أن يسلم الفرس ، أو يخرجوا فوراً عن عمان ، وقالوا . . لن يلتقى الشرك والإيمان بعد اليوم في مكان واحد ، ومادام الأعاجم هكذا فلن يجاورونا أبدا .

ودعا جيفر بالأساورة والمرازبة وأعلن عليهم الحرب حين أصروا على موقفهم وأبوا الخروج . وشمرت الحرب عن ساقها بين الطرفين ، وقتل . مسكان . وكثير من أصحابه وقواده ، وحوصرت دستجرد التي أختبأ هؤلاء الجبناء .. وراه جدرانها ، وانتهى الأمر بالمصالحة على أن يتركوا وراهم كل صفراء وببضاه وكرراع ومتاع ، ويرحلوا وأولادهم عن عمان إلى غير رجعة أو عودة .

بين عمرو والجلندي :

وقد أفرد بعض المؤرخين مساحات واسعة من مؤلفاتهم حول النقاش الذي دار بين عمرو بن العاص وبين كل من عبد وجيفر ابني الجلندي بن المستكبر في كيفية ، وحول طريقة إسلامهما ، ومن معهما من جماعة الأزد ، وأهل عمان جميعا ، والناس على دين ملوكهم ، كما يقول رسول الله ﷺ ، فلقد ذكر ابن عبد ربه في

والمعد الفريد، والأصفهاني في كتابه، والأغاني، وابن خلكان في، وفيات الاعيان، وابن قتيبة في، عيون الأخبار، والجاحظ في، مخلاته ومؤلفاته، وأبو المحاسن في، النجوم الزاهرة، وابن حجر العسقلاني في، الاصابة، وابن حزم الأندلسي في، الفصل في الملل والأهواء والنحل،، وابن النديم في، الفهرست، والشعالي في، يمنية الدهر، وغير هؤلاء من أئمة المؤرخين الاثبات، والامناء الثقات من العلماء والفقهاء، وأهل الاطلاع، فلقد ذكروا مادار حول ما سبق ذكره من الطريقة التي آمن بها أهل عمان، بعد الصحابييين الجليلين مازن بن عضوبة الأزدي، وكعب بن برشه العودي، أو الطاحي، وكان أسلوب هؤلاء جميعا متقاربا في القاء الضوء على هذا الحدث الإسلامي الكبير، وفي دور أهل عمان العظيم في هذا المقام المتفرد النابه الذي أعطانا طرف الخيط، وهبنا منهجية الطريق، وأطلعنا على السلوك القيم والصيغة الصحيحة التي يجب أن تدار دائما، أو تكون لغة المعاملة في الصراع الذي يتأدى عادة بين الحق والباطل، والخير والشر، واليقين والشك، والهدى والضلال.

وبدأت المباراة بين عمرو بن العاص الداعية الداهية، وعبد بن الجلندي الأزدي - أحد ملكي عمان - على مرأى ومسمع من عليبة القوم وأجلائهم، وأهل عمان فوق الساحة العمانية الرحبية.

أى شيء تريد ؟

قال عبد بن الجلندي لعمرو بن العاص : أى شيء تريد، وماذا تطلبه منا ؟
وما الذي كلفك به النبي أن تؤديه لنا، أو تبلغنا إياه يا ابن العاص ؟
قال عمرو بن العاص : أدعوك إلى عبادة الله وحده، وإن تخلف ما تعبدون
دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، وترفض سائر المعبودات، وتعترف
برسالة النبي ونبوته،

قال ابن الجندى : فسا بالك ، وأنت ابن سيد قومك ، وماذا صنع أبوك
وهو من لا يجمل شرفه ، أو ينكر قدره في قومه ؟

قال عمرو : مات أبي ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، ووددت لو آمن وصدق ، لكان
خيرا له ، وقد كنت على دينه ، وعلى مثل رأيه حتى هداني الله
للإسلام ...

قال عبد : فمتى تبعته - أو اتبعت - محمداً ؟ قبل موت أبيك
أم بعده ؟

قال عمرو : لقد اتبعت محمداً حديثاً ومن عهد قريب .

قال عبد : أين ، ومتى كان إسلامك ؟

قال عمرو : في سنوات البعثة الأولى ، وعند النجاشي ملك الحبشة ، حين
أرسلني قومي إلى هناك - وكنت لا أزال على دينهم - لاستخلاص منهم
بعض قتيان قريش الذين آمنوا بالدين الجديد . واتبعت دعوة الاسلام ، وفروا
بها - مهاجرين - إلى الحبشة ، وأن النجاشي قد أسلم وآمن بدين محمد ،
وترك المسيحية .

قال عبد : وكيف صنع قومه به وبملكه بعد إسلامه ؟

قال عمرو : أفروه واتبعوه ...

قال عبد : والأساقفة ، ورؤساء النصرانية ، والرهبان ، ما بالهم ؟ وإيان

ذهبوا ؟

قال عمرو: اتبعوه، وآمنوا بالله ...

وهنا تحركت في نفس عبد بن الجندى عوامل الشك ، ودواعى الإتهام ،
والإنكار لما يقول عمرو بن العاص ، واستدرك ابن الجندى حوارَه مع ابن
العاص قائلاً :

ابن الجندى: أنظر يا عمرو فيما تقول ، واعلم أنه ليس في الرجل خصلة
أفضح له من الكذب ، وإن الذى تخبرني به كبير ، ولا يتأتى هكذا بهذا اليمر
والسهولة ، ولا سيما مع نصارى الحبيشة وهم أعداء العرب .

قال ابن العاص : لقد قلت يا ابن الجندى ما سمعت آنفاً ، وما كذبت في
حديثي ، وما لست له ، أبداً ولا يكذب العربى ، فإن الكذب خسة ونذالة ،
ويتنافى مع الطباع العربية الأصيلة ، وخلائق العروبة .. الشهمة والشجاعة ..

وهل علم هرقل ؟

قال عبد بن الجندى - مستمراً في حوارَه مع عمرو - : ما أرى هرقل
عظيم الروم علم بإسلام النجاشى ، وهو تحت سيطرته ، ومن أخص أهل طاعته.
بصنعه ملكاً على الحبيشة ، وهى داخنة في الجناح الذى يستظل به النجاشى ،
أو ضمن السكينة التى يحكمها هرقل ، وتدين له بالطاعة والولاء ، أو تحت
العبادة التى ينشرها الروم في غرب الجزيرة هنا وهناك ...

قال عمرو بن العاص : بلى ، لقد علم هرقل بذلك .. وبشكل تفاصيله ،
وجزئياته ، ومفرداته ..

قال عبد : بأى شيء علمت ذلك يا عمرو ؟ ، وما هو مصدرك إلى هذا الذى
تقص وتقول وتحكى ؟

قال عمرو : كان النجاشى يخرج قبلاً خراجاً ، ويؤدى أتوانه إلى هرقل ،
فلما أسلم ، وصدق بقبوة محمد عليه السلام ، قال : والله لا أخرج شيئاً لهرقل
بعد اليوم ، ولو سألتى درهماً واحداً ما أعطيته ، وكيف أعطيه وأقويه على
جماعة المسلمين ؟ ذلك لأن العطاء أو الخراج يكون عوناً له ، ولا تصح إعانة
الكافر فيما يتقوى به على المسلمين ... وبلغ هرقل ذلك الرأى الشجاع الجرىء
الذى آرتاه نجاشى الحبشة ، وعاتبه أخوه على فعل النجاشى من الإسلام
والامتناع عن الخراج ، وقال له — فيما قال — : أتدع عبدك نجاشى الحبشة
لا يخرج لك خراجاً ، ويدين بدين جديد محدث ؟ فرد عليه هرقل بقوله : إنه
رجل رغب فى دين ، واختاره لنفسه ، فما أصنع به ؟ والله لولا الخن بملكى ،
والخوف من أن يضيع منى ، لصنعت كما صنع ، وأسلمت كما أسلم النجاشى
خاصة بعد أن سمعت من أبى سفيان فى وصفه لنبى هذا الدين .

وقد جاء ذكر إسلام هرقل فى روايات كثيرة شهيرة يتداولها صناع التاريخ
وكتابه فيما بينهم .

واستأنف عبد بن الجلبندى حديثه مع عمرو بن العاص قائلاً :

قال عبد — لعمرو — : أنظر ما تقول وتروى فى حديثك يا عمرو ؟
— وكأنه يتهمه أو يشك فى حديثه —

قال عمرو : والله لقد صدقتك الحديث ، وأخبرت بالواقع ؛ وما كذبت
عليك أبداً .

قال عبد : فأخبرنى ما الذى يأمر به ، وينهى عنه ؟

قال عمرو : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ، وعن كل ما يهبط
بالإنسان ، أو يزرى بشرفه وكرامته .

قال عبد : وبماذا أيضاً ؟ .

قال عمرو : يأمر بصلة الرحم ، وبالبر ، وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن
الزنى وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب و تلك التي ذكرت هي
عمود الإسلام وجوهره ، وجماع كل خير وبر .

قال عبد : ما أحسن هذا الذي يدعوك إليه ، ولو كان أخى جيفر يطاوعنى لركبنا
إليه فرراً حتى نؤمن به ، ويكون لنا شرف الأوليّة ، والأولوية في اتباعه ،
فندقق به ونواجهه ، وتتلاقى معه على بساط الإيمان بالله ، واعتناق دينه ، واعتقاد
عقيدته ، فذلك خير لنا من الإيمان به من بعيد .

ولكن لعل أخى لا يطاوعنى . أو لعله يرضى بملكه من أن يدهه ويصير
تابعاً وواحداً من الناس . بعد أن كان مسلماً متبوعاً ... يهيمن على الجميع بسلطانه
وهيلاته ..

قال عمرو : إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه ، ولا غرض للنبي
في أمور الدنيا أبداً ، وإذا لم يستجب للدعوة ، ويخضع للإسلام ، فلن يترك النبي
أبداً على ملكه ، فإن حجة الله على الأمة هي الإنبياء على الملوك ، والملوك على الرعية ،
فبإصرار الملوك الحكام على البطر والبطش والعناد والنش ، تستباح منهم الحرمات
ويتنزع الملك ، والسلطان ، وبإتقادهم للحق ، وحسن معاملة الناس ، تكون
المصالحة بينهم وبين الله من جهة ، وبينهم وبين الرعية من الجهة الأخرى .

قال عبد : إن هذا الخلق حسن ، وتلك أنبه المعاملات ، وهذه أحكم سياسة
وأرقى أسلوب .

قال عمرو : كيف لا ، وهى سياسة الحكيم العليم ، خالق الحكمة ، ومنظم
الآلة ، سبحانه ما أعظم شأنه ، وأعدل ميزانه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ، .

قال عبد : وما الصدقة التى يقول عنها صاحبك ؟

قال عمرو : هى شئ فرضه الله من الأموال والزروع والمواشى يؤخذ
من الأغنياء ويعطى للفقراء ، تكاملا وتكافلا ، وتراحا وتفاكما .

قال عبد — فى استنكار — : يا عمرو .. يأخذ من سوائم المواشى التى ترمى
أشجر ، وترد المياه ؟ .

قال عمرو : نعم ، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال عبد : — فى ضيق وغيظ — : والله ما أرى قومى فى بعد دارهم ، وكثرة
عددهم ، وعظيم عتادهم ، يطبقون هذا أو يطيعوه ، أو يعطوه ، وأنهم ليرون
عارا أن يتصرف أحد هكذا فى أموالهم ، ويعتبرونه عظيما لا ينال ولا يبال ..
وانتهى ما بينهما من حديث .

تكلم بمحاحتك :

قال عمرو بن العاص : فبقيت أتردد على باب جيفر مرات عدة ، وقد أوصل
إليه أخوه عبد خبیره معى ، وأطلعه على ما أدراناه معا من شئون القول والحديث
فما جئت من أجله من أمر النبوة ، وكتاب النبى له .

ثم لأنه دعانى وأذن لى بالدخول عليه ، فأخذ أعوانه بعضدى ، فقال لهم :
دعوه ، وذميت لاجلس ، فأبوا ذلك على ، فنظرت إليه — فى شبه عتاب واستنكار —
فقال من فوره : تكلم بمحاحتك يا عمرو .

دفعت إليه بكتاب النبي محتوما ، ففضه قرأ فيه ، حتى إذا انتهى إلى آخره دفعه - بالثالث - إلى أخيه عبد ، فقرأه هو الآخر ، ثم أدار بيني وبينه نقاشا من نوع نقاش أخيه .. بدأه هكذا :-

جيفر : ألا تخبرني يا عمرو عن قریش ، كيف صنعت مع صاحبك ، وهم أشد مراسا ، وأطول باعا ، وأحد لسانا ، وأقوى حجة ، وأخص به من غيرهم ؟
عمرو : آخنا به واتبعوه ، ومنهم الراغب في الدين عن عقيدة ، أو الرهب المפור .

جيفر : ومن هم الذين آخنا به واتبعوه ؟

عمرو : إن الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم وقلوبهم - مع هدى الله لهم ، وتوفيقه أيامهم - أنهم كانوا في ضلال مبين ، ومناهات ، ودوامات ، من الشرك والحيرة والضياح ، وما أعلم أحدا بقي على درب التيه والضياح والشك غيرك ، وأنت إن لم تسلم اليوم ، وتعتق دين الله ، وتعتقد عقيدة عمده وتبته ، فستؤك الخيل ، وتبيد خضراءك الجيوش ، أنت وجماعتك ، أسلم تسلم أيها الملك ، ويستعملك النبي على قومك ، ويقيمك في ممالكك ولا تكون عرضة أبدا لحرب المسلمين ، وهم من هم في الحروب ؟ وقد دوخوا الاكاسرة والقياصرة ، ولست من هؤلاء في شوه وان تكون أقوى منهم إلا بالإسلام يا جيفر .

جيفر : دعني يومى هذا يا عمرو ، وارجع إلى غدا ، أكون قد فكرت في الأمر ، وقلبت على جميع وجوهه ، فإنه من الامور الكبيرة الخطيرة .

قال عمرو : فلما كان الغد أتيت جيفر - كوعده باللقاء - فأبى أن يأذن لي ، وحيل بيني وبينه ، ورجعت إلى أخيه عبد ، وأخبرته بأني منعت ، فأوصلني إليه ، واستمر النقاش بيننا كما بدأناه ، متواصلا متتابعاً ..

جيفر : إني فكرت يا عمرو فيما دعوتني إليه بالأمس ، وماهدتني به ، وماخوفتني منه ، ومثلي لا يمدد ولا يخوف ، ولا يؤخذ بالقوة ، أو بلى الذراع ، أو الضغط ، والاكراه . وإني لأكون أذل العرب وأضعفهم ، إن أنا ملكت رجلا ما في يدي ، وألقيت إليه زمامي ، وحكمته في أمري ، وهو لا تبلغ وإن تبلغ خيله إلى هاهنا ، وأن بلغت خيله ألفت قتالا شرسا عنيدا ليس كقتال من لاقى .

عمرو : غدا سيكون اللقاء في الساحة تحت ظلال السيوف ، وسأبك الخيل ومشار النقع الملتهب الحار .. وغدا لناظره قريب .

قال عمرو بن العاص — فيما يرويه التاريخ — : فلما أيقن عبد بن الجندى بمخرجي هكذا غاضبا ، اختلى بأخيه جيفر ، وتحدثا معا طويلا ، ومع الصباح الباسم المشرق أرسل إلى عبد وجيفر ابنا الجندى ، وأعلنا عن إسلامهما ، وصدقا ومن معهما من الأقوام دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وخليا بيني وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهما ، وكانا في عوننا في نشر دعوة الاسلام ورفع رايات الإيمان بين ربوع عمان .

ملوك ودعاة :

وفي الحقيقة أن عبد بن الجندى كان داعية الرسول ﷺ بين قومه وأهله في عمان ، لاسيما مع أخيه جيفر حين أخذ بيده ، وارشده إلى الطريق الصحيح الواضح ، وملا قلبه بالفكر الاسلامي الناجح ، الذي زرعه في عقله وحقله ، والذي أتى ثماره وحصاده في سلوك العمانيين جميعا على مدى الصعيد العمانى الواسع ، وعلى بعده وحده الذي يحيط به الاسلام من جميع النواحي والجهات ، وفي شتى الميادين والجهات .

أما المدى الزمني الذي عاشه عمرو في عمان ، فاختلاف فيه المؤرخون ، وتناوله فيما بينهم بالفنوى والاجتهاد والتوضيح والترجيح ، وبعضهم يرى أنه بقى بها أكثر من ثلاث سنوات أو ثلاثا فقط ، وبعضهم يرى أن المدة التي قضها عمرو هناك كانت أقل من ذلك بقليل ، ومن أنصار الرأي الأول الباقلاني ، وابن سعد ، وابن عبد البر ، والزركلی ، والبغدادي ، وابن منظور ، ومن القائلين بالرأى الثاني المعارض الترمذی ، والشهرستاني ، والفيروزآبادی ، والشماخي . وابن تيمية .

وعموما - ومع إتفاق المؤرخين أو لإختلافهم على المدة التي أقامها عمرو في عمان عاملا لها من طرف النبي ﷺ - فإن عمرا لما أراد الرجوع إلى المدينة صحبه في تلك الرحلة عبد بن الجلندی ، وجيفر بن جشم العنكي ، وأبو صفرة سارف بن ظالم - وفي بعض الروايات سارق بين ظالم - في سبعين راكبا من جماعة الأزد الأشداء ، ووجهاتهم الفضلاء .

إرهاصات يهودى :

وفي تحفة الأعيان ، كان عمرو بن العاص عاملا للنبي ﷺ على عمان ، وبينما هو يمارس عمله هناك ، إذجاءه يهودى في صحار وقال له : يا همرو أرايتك إن سألتك عن شيء أخشى على منك ؟

قال عمرو : لا .. قال اليهودى : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟

قال عمرو : اللهم رسول الله ..

قال اليهودى : الله ! إنك لتعلم أنه رسول الله ؟

قال عمرو : اللهم نعم ..

قال اليهودى : لئن كان حقا ما تقول ، لقد مات صاحبك اليوم .

فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وعلى رأسهم عبد بن الجندى — نائباً عن أخيه جيفر — وقوماً كثيراً من الأزد وعبد القيس يؤمن بهم رحلته ، وبأمن معهم مفاجآت الطريق وغاراته ، وحفظ عمرو ذلك التاريخ الذى قال له فيه اليهودى بعض نبوءاته ، وجاءته وفاة الرسول فى هجر ، ووجد عند ذلك عند المنذر بن ساوى أمير البحرين ، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة ، فألقى معه بعض حراسهم ، إلى أن وصلت به مسيرته بنى عامر ، وهناك نزل على قرية بن هيرة القشيرية .

ولقد شك بعض العلماء والمؤرخين فيما قاله اليهودى وكيف له بعلم الغيب؟

إلا أن بعضاً آخر من العلماء والمؤرخين أيضاً أجازوا ذلك وأصحوه . لأن اليهود أنام الله التوراة . وبالذات العلماء منهم الذين تبحروا فى استنطاق الكتب وقراءة المسأورات . وقد عرفوا ذكر النبي وصفاته وعلاواته وحجم قومه معه ومعاداتهم له . وإخراجهم إياه من مكة إلى يثرب . وكيف سينتصر عليهم وينشر الله دينه فى جميع الأرجاء . عرفوا ذلك من كتبهم ، ومن قبل ذلك بقليل . وعلى قيد خطوات قريبة من التاريخ . قال اليهود فى المدينة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه :

إنا نجدك فى التوراة .

قال عمر : تجدونى ماذا ؟ قالوا : نجدك قرناً .

قال : أى قرن أكون ؟ قالوا : قرن من حديد صلب صعب .. ولا تدرك مثل هذه الإرهاسات إلا من النصوص النبوية . أو الآيات السهاوية ، وقد صح ذكرامة عمده عليه السلام فى السكتب السابقة ، حتى تمنى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن يكون واحداً من هذه الأمة ، كما جاء ذكر ذلك فى خبر الأرواح وفى المسأورات .

كذبت يا ابن الأخابث :

وجاء في أمر عمالة عمرو على عمان، وخروجه منها أقوال كثيرة، وروايات عدة، اجتزأت ببعض منها اكتفاء بما رده أو أوردته بعض المؤرخين والفقهاء وال علماء، وإن كان بعض هؤلاء يوسع الهوة، أو يعمق الفجوة أو يباعد البين أو يظهر الأمر في صورة لا تتفق والواقع الذي محررناه وتحرراه دائما في كل كتاباتنا ولقد تولى عنا أمر كشف الحقيقة في هذا الموضوع، نفر غير قليل من المؤرخين الأدباء الفعّالين، وكفونا مؤنة التحقيق وإرتياد الطريق الصعب في هذا المشوار الطويل، وعلى رأس هؤلاء المحققين، أبو اليقظان في كتابه، الأباضية في شمال أفريقيا، وصلاح الباروني في د الأزهار الرياضية، ونور السالمي في، اللعة المرصية، وابن الديخ الشيباني في د تيسير الوصول، وأبو دواد السجستاني، والبغدادى، والجوالقي، والحفاجي، والذهبي، والسيوطي وغيرهم في مؤلفاتهم، فلهذا أجمع كل هؤلاء في توارخهم، على أن عمرو بن العاص حين هم بالعودة إلى المدينة - حيث مقر الحكومة الإسلامية - صاحبه في عودته عبد بن الجندى لسان الملك الذى انتخب في رحلته تلك من أعيان قومه، جعفر بن جشم، وأبا صفرة سارف - أو سارق - بن ظالم من كبار الأزد، وشواخهم ومرمى الابصار ومحط الأنظار في عمان. واصطحب معه الحراس والخفراء من الأزد وعبد قيس، عملا بالتقاليد العربية المرعية آنذاك. ومر في طريقه على المنذر بن ساوى حاكم البحرين، كما مر كذلك على بنى حنيفة، وخرج إليه بعض رجالهم لحراسته وتحميته، حتى نزل أرض بنى عامر على قرّة بن هيرة القشيري، وقيل خرج قرّة لملاقاة عمرو في مائة رجل من قومه احتفاء به واحتفالا لمقدمه وطمعا فيه فيما بعد.. وأقبل عمرو بن العاص يلقي الناس مرتدين عن الإسلام حتى أتى ذا القعدة فلقه عيينة بن حصن خارجا من المدينة وهو يقول له :

إن جعلت لآ شيئا كفيئناك ما وراة نا . فقال له عمرو : وما وراةك يا عينة ؟
ومن ولى أمور الناس ؟

قال عينة : أبو بكر هو الذى ولى الأمر . فقال عمرو : الله أكبر .

قال عينة : لقد أستوتينا يا عمرو نحن وأنتم .
قال عمرو — فى أنفعال وغضب — :

كذبت يا ابن الاخابث من مضر ، وصار عينة . وجعل يقول لكل من يلقاه
من الناس : أحبسوا عليكم أموالكم .

قالوا : فأنت ما تصنع ؟

قال : ما عاد رجل من فزارة يدفع إليه عناءا واحدة .

ثم لحق بطليحة الاسدى وظل عنده ومعه ، حتى إذا فرغ خالد بن الوليد من
بيعة بنى عامر ، صال على عينة هذا صولة الأسد الباسل . وأوثقه وأوثق معه
قرة بن هبيرة القشيري . وصاقهما كما تساق الانعام والسرايم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : وقدم خالد بن الوليد هما إلى المدينة فى
وثاق ، فنظرت إلى عينة مجموعة يدها إلى عنقه ينخسه الغلمان والصبية بالجرید
والاهواد ، ويرمونه ، ويرجمونه بالطوب والحجارة ، ويقولون : أى عدو الله
أتكفر بعد إيمان ؟

فيقول : والله ما كنت آمنت ... ومع هذا كله ، ومع ذلك ، فلقد عناعنه
أبو بكر وأعطاه الامان ، كما فعل ذلك كذلك مع قرة ابن هبيرة نألفنا لقبيلهما

وعتاباً لإمثالها ، ومعاملة طيبة تلين الصخر ، وتذيب الحجر ، ومن المعاملة
الكريمة ما هو أفضل من الجيوش ، وأعمل من الحروب ، وأكثر عائداً في النفوس
من كل عدة وعتاد ، وحشد أو تعبئة .

طموحات ونبرهات :

ويرى أيضاً عن بعض طموحات عمرو بن العاص — كما ذكر ابن الأثير
في الكامل — ، أنه سأل اليهودى الذى التقى به في صحار — والذى أخبره
عن وفاة النبي ﷺ — : ومن يكون بعده ؟ فقال : أبو بكر ، وإن مدة خلافته
قصيرة ، ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلى بعده
رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملأ .. قال عمرو : فذلك أشمر ، ثم يتابع
اليهودى قوله ، فيقول : ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر الناس معه ، وتكون
على رأسه حرب شديدة ، يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه ، ثم يلى بعده أمير الأرض
المقدسة ، فيطول ملكه ، ويجتمع عليه طلاب الدنيا ، وذو المنافع والأغراض ،
ثم يموت .

وكان الرجل الذى تطول مدته ويقتل غيلة ، هو عمر بن الخطاب ، والرجل
الذى تطول مدته ويقتل عن ملأ هو عثمان بن عفان ، والرجل الذى تكون على
رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه ، هو على ابن أبي طالب
والرجل الذى يكون أمير الأرض المقدسة ، ويطول ملكه ويتبعه ذو الأهواء
والأغراض هو معاوية ابن أبي سفيان ..

وهنا يسر ابن العاص إلى نفسه بشيء — بعد الذى سمعه من اليهودى — ويصر
في أهماته مستقبلاً على تحقيق ذلك الشؤ ، مهما كلفه من عن ، كما يورد ذلك

وجيمس هنرى ، فى كتابه « العصور القديمة ، طبعة بيروت ١٩٢٦م ، والمج إليه الدكتور عبد الرحمن بدوى فى « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، . وألقى الاضواء على بعض جوانبه الدكتور البهى فى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ، .

وجعل التاريخ ركض :

واستمر التاريخ فى حديثه عن الشوط الطويل الواسع الذى قطعه عمرو بن العاص فى عماله على عمان. وفى طريق عودته منها، ثم وصوله أخيراً - هو ومن معه من وجهاء وأشداء الأزد ، وعلى رأسهم ملك عمان البطل الهمام عبد بن الجندى - إلى المدينة حيث مقر الحكومة الإسلامية الجديدة ، وجمعهم اللقاء وجهها لوجه مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وتلقاهم أبو بكر وشكرهم ، وأثنى عليهم ، وأذن مجلسهم منه ، وقرهم إليه ، وأشاد بفضلهم وفضل عمان والعمانيين جميعاً بين جموع المسلمين الملتئين حوله ، وحرق بخور الثناء عليهم ، وأزكى عطر أخلاقهم ونشر أريج سلوكهم ومحامدهم فى أفاق الدنيا ، وفوق اجواء وسماوات العالم كله من مشرقه إلى مغربه ، ومن أفصاه إلى أدناه حيث آمنوا طائعين أو وصلوه مذعنين خاضعين ، فى حين أن الجورية كلها لفتها غاشية من الفتنة ، وموجة هوجاء من الشك والارتداد ... وتتابع الخطباء فى ساحة ، وفى ساعة اللقاء ، وتقدم سارف بن ظالم - بين يدى الخليفة - نائباً عن كل العمانيين خطيباً . لحمد الله واثنى عليه . ثم قال : يا خليفة رسول الله .

هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا ، ودعوة لرسول الله ﷺ ، فقد برئنا منها إليك اليوم، وتخلت أعناقنا عن ثقلها، وهاهي دونك يا امام المسلمين - ودفع إليه شيئاً - . فقال أبو بكر رضوانه عنه : جزاك الله خيرا يا أهل عمان ، يا أهل السبق والفضل والعطاء والبذل ،... وتوالى المسلمون والخطباء من فوق المنبر ، وفي المسجد بالثناء على أهل عمان . وقالوا - فيما قالوه - : كفاكم معاشر الأزد العمانيين قول رسول الله ﷺ فيكم ، وثناءه عليكم ، وحمده لكم ، لقاء ما فعلتم ، وجزاء ما قدمتم من المسائر والمفاخر ، والمعطيات والمسكرات .

ثم قام عمرو بن العاص - وإلى عمان - فلم يترك شاردة ولا واردة . ولا شيئاً قط من الثناء والمجد والثناء والثناء والحمد . إلا قاله في الأزد وفي جماعة عمان جميعاً .

وتعاقبت وجوه الانتصار . ووجهاء المهاجرين من الأزد وغيرهم مسلمين على عهد بن الجندى ملك عمان ومن معه.. واستضافهم أبو بكر بخير ما يستضاف عليه القادمون الأحياب الأضياف في مواطن أهل المدينة ووجدانهم ، وبين حناياهم وغواطرهم ، وفي ضيائهم ومشاعرهم .

معاشر أهل عمان :

فلما كان من الغد أمر الخليفة أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والانتصار وقام فيهم خطيباً . وقال - بعد أن حمد الله واثنى عليه ، وذكر النبي صلوات الله وسلامه عليه - :

و معاشر أهل عمان . . إنكم أسلمتم طوعا ، لم يظأ رسول الله ﷺ ساحتكم بحف
ولا حافر ، ولا جشمتوه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم تزوما بفرقة ولا شئت
شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ووحدا لى طريق الحق جمعكم ، ونبت فوق
ساحته أقدامكم ، وهداكم جميعا إلى صراط مستقيم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص
بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتوه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم ،
على كثرة عددكم ، وعدتكم ، وعتادكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل
أشرف من فعلكم ؟ كفاكم قول رسول الله ﷺ فيكم إلى يوم الميعاد ، ثم أقام
فيكم عمرو - ما أقام - مكرما ، ورحل عنكم - إذ رحل - مسلما ، وقد من
الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندي ، وأعزكم الله بهما ، وأعزهما بكم ، وكنتم
على خير حال ، حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما بضاعف فضلكم ،
وهو انقيادكم للحق وتعزيزكم له ، فحين بلغتكم وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام
نبتم على الإسلام ، ولم تنزعوا كما تنزع غيركم من الناس ، ولا تقلقتم كما
تقلقوا ، وأنتم كثيروا العدد ، وأفروا العتاد ، وأقوى العدد . وقتم مقاما حمدناكم
فيه ، وهو ثباتكم على الحق ، ومؤازرتكم له ، وتأيدكم إياه ، وعصمت بالنصيحة .
وأخلصتموها لله ، وصارحتم بها ، وشاركنم بالنفس والمال ، فثبت الله على
الصدق السفنكم ، وأهدى بالإيمان قلوبكم - وللناس في مجال الفتنة جولة
وردة ، وفيهم على ساحة الشك زعزعة وحيرة وردة - فسكونوا عند
حسن ظني فيكم ، وهو ثباتكم القوي على دينكم ، وفي طاعة ربكم وإمامكم ، ولست
أخاف عليكم أن تغلبوا على أمركم ، أو تنزعوا من وطنكم وبلادكم ، فلهذا صارحتم
الفرس ، وجدعتم أنف المشكربين ، وتحديتم المغتصبين الدخلاء . وما عدت
أخشى عليكم - بعد اليوم - أن تطردوا من دياركم ، أو ترجعوا عن دينكم ،
أو نفتنوا في شئون دنياكم ، وجزاكم الله عن المسلمين كل الخير والبر والجزاء

يضرب الصخرة بالصخرة :

وفى د مناهل العرفان ، الزرقاني ، و الفسحر اليوناني ، و أولاد الادب الهيليني ،
لقلاب ، و تاريخ الفلسفة الإسلامية ، لمصطفى عبد الرازق ، و جمهرة أنساب العرب ،
للمستشرق ، ليفي بروفسال ، و بعض المتحدثين من شيوخ التاريخ : ان عبد بن
الجلندى ، لما قدم على أبي بكر رضى الله عنه مع عمرو بن العاص ، و على رأس
السبعين فارسا الاشواش من أبطال الازد العمانيين - و بعد أداء مراسم الاستقبال
وتلاوة الخطب . و القاء الكلمات - استتمه بها أبو بكر - و من معه من رجال عمان -
لضرب آل جفنة المرتدين من أزد الشام و غسانته ، و هم بنو جفنة بن عمرو
من غسان من الازد من القحطانية ، و لم يجد أبو بكر حجرا خشنا يرمى به هؤلاء
المرتدين العتاة - الذين أثاروها فتنة مجنونة هو جاء ، و أشعلوها حربا طاحنة
شطاء بين قبائل الجزيرة - غير الجلندى و أقوامه من أبطال عمان ، و رجال العقيدة
و الإيمان ، الذين وهبوا أنفسهم في سبيل الله ، و نذروا أرواحهم من أجل اسعاد
الدنيا و امتاح الحياة ، و كأنما أراد الخليفة بذلك أن يضرب الصخرة بصخرة ،
و أن يصيب المرمى عن دراية و خبرة ، و أن يهاجم المرتدين ، و يهجم عليهم
بالجلندى و رجاله الأفوياء الأشداء ، الذين هم أعرف العرب بمصادر الحروب
و مواردها .

وقديما قيل : لا يزل الحديد إلا الحديد ، و نهض عبد بن الجلندى ، و خرج
على رأس قوة ضاربة من أعيان المهاجرين و الأنصار ، و الرماة الاشواش
الأحرار ، من عبسافة الازد و عمالقة عمان . و شوامخ العرب . . . و أتى
الجلندى ديار جفنة في الشام ، و قضى على الفتنة هناك في مهدها و كان في
المعركة - و تحت امره الجلندى مع جيشه ، و بين جنوده - حسان

ابن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ، فان عاد الجندى وجيشه حتى قام حسان بين ظهري المسلمين — على مرأى ومسمع من أبي بكر — يعان في خطاب فياض ثناءه البليغ ، وحمده الكثير على عبد بن الجندى ، وفاخر بأفعاله الحربية ومواقفه البطولية وأعماله التي لا يبيد أفعالها إلا البطل الأزدي الهاماني في أكثر مقاطع الخطاب ، وكان فيما قال : ولقد اشتهر من قبله قام عبد في الجاهلية كما اشتهر اليوم في الإسلام واستطاع أن يفرش بساط المجد تحت أقدامه ، وان يضرب قبة النخار فوق رأسه وهامه ، وإنى والله لم أر رجلا هو أحزم . ولا بطلا أحسن رأيا وتدبيرا من ابن الجندى . لاسيما في حربه وضربه ، ومنازلة الأعداء ، ومطاردة المسلمين والمخلاء وهو — والله — بمن وهب نفسه لله في يوم غار منه صباحه ، واظلم فيه ضوءه ومصباحه ... فتهلل وجهه أبي بكر رضى الله عنه من هذا القول ، وسر أيا سرور بما سمع ، وقال : هو كما قلت — وفوق الذي قلت — يا ابا الوليد . والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله ... فلما بلغ ذلك ابن الجندى بعى إلى حسان بن ثابت بمال عظيم وأرسل إليه قائلا : إن مالي يعجز عن مكافأتك ، فاعذر فيما عسر . واقبل ما تيسر .

من أبي بكر :

ثم إن ابا بكر — فيما يروى رواية التاريخ وثقاته . وأئتمته وأثباته . وما عليه شيوخ المؤرخين — أرسل كتابا إلى أهل عمان ضمنه شكره لهم ، وثناؤه عليهم ، وثقته فيهم ، وأقر في الكتاب جينرا . وأسماء عبدا على ملك عمان ، وأيديهما وشهد عضدهما . وقوى ماسكهما ، وجعل لهما أخذ الصدقات ، وإدارة المرافق والمؤسسات ، واصلاح شئون الناس . والتصرف في كل ما يمس سلوك الحياة . ويأخذ بأقدام القوم على طريق الحق .

ومنهج العدل ، وذاتية الإسلام... وشكر أهل عمان جميعا ، وخاصة الوفد منهم .. وزودهم بما فيه خيرى الدنيا وأندين ، وأرجعهم إلى عمان محترمين مكرمين وجاء في كتاب « معركة صفين ، لابن مزاحم المنقرى ، ومخطوطة « مقدمة التوحيد وأصول الفقه ، للشهاخي ، و « أسد الغابة » لابن الأثير - صاحب الكامل :-

إن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبي جهل القرشى على عمان ، ثم عزله وسيره إلى اليمن ، واستعمل على عمان حذيفة القلعاني - أو القلحاني - وضبطه الطبري فقال : حذيفة بن الحصين الغلخاني بالغين والقام

ولما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر الخليفة بعد أبي بكر ، عزله عن عمان وولاه الإمامة ، وولى على عمان والبحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي ،

ويستمرس التاريخ في مذكراته وذكرياته - عن قضية عمان - فيقول : وفي أيام أبي بكر وقت « حادثة دبا ، من أعمال عمان ، فلقد وجه أبو بكر حذيفة بن الحصين ، أو ابن المحسن - الذى كثر تمه - رى المؤرخين فى ضبطه - وهو من بارق ، إلى عمان واليا عليها ، وكان حليفا للانصار ، وكان له بحر ودراية ، فصدقهم ، أى لعله كان أميراً فقط على الصدقة .

إقطع رأسها قبل أن تطل :

وفى خبر تداوله بعض المؤرخين، وتناوله المجتهدون منهم فى كتابه «المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، للمقر يوى :

إن أبا بكر رحمه الله ، وجه حذيفة إلى أهل «دبا» وأمره بأخذ الصدقة منهم فقط فلما صار فى ولد الحارث بن مالك بن فهم ليعصدقهم ، تناول بعض عماله خطأ غير

مقصود مع امرأة منهم في أمر الصدقة ، وكادت الفتنة تطل برأسها الشمطاء بين أحياء العرب ، خاصة بعد أن تنادت هذه المرأة بدعوة الجاهلية : ويا آل مالك ، ولاسيما بعد أن انتشر أمر الردة بين قبائل الجزيرة ، وفوق ربوعها وفي أحيائها وكل فجائها ، وسارع حذيفة إلى بني الحارث وأغار عليهم ، وقبض على أناس منهم وأوتقهم قهرا ، وساقهم إلى المدينة قسرا ، بدعوى الإرتداد الذي اجتمد فيه ، وأدركه من تداعى القوم وتصايحهم وتناديهم وصرائحهم ، وخاف الفتنة ، فثار سبيعة بن عراك الصيلمي ، والمعلا بن سعد الحمامي — وهما من زعماء القوم ، وإليهما الحل والربط — وقدا المدينة في وفد من الناس ، حيث جاؤا إلى أبي بكر وقال قائلهم : يا خليفة رسول الله : إناعلى إسلامنا لم تنتقل عنه قيد أتملة ، ولاحجم شعرة ، ولم تمنع زكاة ، ولم نزع يدا من طاعة ، ولم نرجع عن دين ، وقد عجل علينا عاملك حذيفة ، وأوثق أكتافنا ، وربط أيدينا إلى أعناقنا . وأنا نا إليك كما ترى . .

فقال أبو بكر : أصنع بكم ما صنعت بالعرب إن شاء الله .

وفي رواية : إن المعلا بن سعد الحمامي ، وسبيعة بن عراك الصيلمي — وهما من زعماء أهل دبا بعمان ، وإليهما الحل والعقد — قدا المدينة ، وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى وتولى أمر الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكلماه في صبي أهل دبا . وقال المعلا بن سعد — فيما قال — :

يا أمير المؤمنين ، إن حذيفة بن عاصم — أو بن الحصين — تعدى طوره ، وعظم في الناس حدنه وأمره ، ولزم العسف في المعاملة ، وأذل الأنوام ، وربطهم في وثاق القهر والاسر ، والضعة والمهانة ، واتهمهم بالردة ، ومنع الصدقة ، وترك الدين ، والبكتر باللهرب العالمين ، وساقهم إلى سلفكم أبي بكر — عليه رحمة الله —

أسارى مقهورين ، واستباحهم وأموالهم ، على أنهم غنيمة المسلمين .

فقال عمر : يا معلى... إن في الحق سعة ، وكف غربك أولى بك ، ولقد سوى الإسلام بين الناس . فرفع الضعيف الوضيع ، ووضع الشريف الرفيع ، إذا خالف الحق ، أو حاد عن الجادة ، وطريق الصدق ، وأعطى كل أمرى قسطه ، من خيرهِ وشرهِ .

عمر... والقضية:

ونظر عمر من جديد إلى القضية بعينه العادلة ، وقلبه المؤمن ، وبصره الواعى وعقله المنصف ، وفراسته الملهمة — لاسيما بعد أن استنكر كبار الصحابة أسلوب التعامل الذى مارسه حذيفة مع أهل دبا — فأبطل حكم المصدق ، ونقض رأيه ، ورد السبايا إلى بلادهم — عمان — مكرمين معوزين ، وقد أعطاهم من بيت المال ما جبر به خواطرهم ، وهون عليهم مصائبهم ، وخذف الوطأة ، أو أراحها عن أكتافهم وكواهلهم ، ثم التفت بقوة إلى حذيفة ، واستدار نحوه بعصية وثورة وقال له — فى غضب وعنف مارئى عمر على مثلها أبدا — :

لو كنت أعلم أنك فعلت ما فعلت شرعا سخنته ، أو اجتهادا ارتأيتَه ، أو دينا تأولته ، دون الرجوع إلى ، أو إلى فقهاء المسلمين وعلمائهم ، لقطعك طوائف وأجزاء ، ومزقتك أبعضا وأبعاضا ..

وكان الناس قد تناولوا كثيرا فى أهل عمان ، وردتهم ، وخروجهم .
ربة العقيدة ، ورباط الدين ، ورحابة الاسلام والإيمان ، بما لم يدع متاباً
أر ماها لثائب أو آيب ...

وهكذا فوت الخليفة الثانى ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — بثاقب

فكره، وصائب نظره — على هؤلاء المعوقين المرجنين أغراضهم الدينية، وهم اميمهم
الجبانة الخبيثة، في اتمامهم أهل عمان، وجماعة دبا بالردة عن الحق، والرجوع
إلى الكفر، واللجاج في الدين .. والعتاد في العقيدة .

استغراب واستعجاب :

وهكذا قضى عمر على الفتنة في مهدها، وقبرها موهودة في لحدها، قبل
اشتعال نارها، أو تطاير شررها، أو زحف شرها، أو امتداد خطرها .

والإي لاتسأل — في استغراب واستعجاب ؛ ودهول ودهشة — كيف يرتد
أهل عمان، وأستبعد ذلك منهم، أو وقوعه بينهم وفي بجمتهم ؟

كيف يرتد أهل عمان، وقد أسلموا لله طائنين، وأذعنوا للحق راغبين ؟

كيف يرتد أهل عمان وقد سمع العالم كله ما قاله أبو بكر فيهم، وعنهم — وقد

اسانفت ذلك آنفا — حيث قال : معاشر اهل عمان، إنكم اسالتم طوعا ولم
يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر، ولم تجشموه كما جشمه غيركم
من العرب، ولم تكلفوه المشاق التي عانى منها في سبيل الدعوة إلى الله مع سواكم ؟

فإن أهل مكة أثار بهو عشيرته وذويه آذوه، وطردوه، وأخرجوه، حتى نصره الله
برجال من الانصار، آزره ونصروه، وتقاسوا معه العقار والمسال، وكانوا
وإياه يدا واحدة، وعلى قلب رجل واحد . في الحل والترحال، وانتم يا اهل عمان
لم ترموا بفرقة جماعة، ولا قطيعة رحم، ولا تنسنت شمل، ثم دعا لكم دعاه
طيبيا و حديثه عنكم، وعن بلدكم، مع الصحابي الجليل مازن بن عمرو، وشكركم
المسلمون جميعا شكرا عظيما على موافقكم وافعالكم من اجل الدعوة الاسلامية ؟

وجعل أبو بكر يستوسل في الحديث مع أهل عمان الاتقياء الأوفياء ، ويحكي عنهم الخال التي سر النبي منها تجاههم، فقال - فيما قال - : ثم بعث اليكم - صلوات الله وسلامه عليه - عمرو بن العاص بلا جيش ، ولا سلاح ، فأجبتهموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وكثرة عددكم ، وأطعتموه إذ أمركم ، فأى فضل يا أهل عمان أبرمن فضلكم ؟ رأى فعل أشرف من فعلكم ؟ وكفناكم شرفا لى يوم القيامة والميعاد ما قاله رسول الله ﷺ عنكم وفيكم - للصحابى الذى أرسله عليه السلام إلى قوم لأمر ما .. فسبوه و ضربوه - : ولو أنك أتيت أهل عمان ماسبوك وما ضربوك ، بل كانوا قد أهلوا بك وأكرموك ..

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول دائما وكثيراً - كما يروى ذلك المؤرخون ويعيه التاريخ - فى أهل عمان : اللهم ثبت ألسنتهم على قول الصدق ، واهد قلوبهم دائما إلى طريق الإيمان والحق .

تلك هى عمان - مهد الحضارة الإسلامية - فى منظور أبى بكر ومنطوقه . . وهذه هى تروحاته بها ، وإشاراته إليها ، وشهاداته لها . فأين دعوى الارتداد إذن؟ وأهل عمان من عهد النبوة حتى اليوم ، مازالوا - ولن يزالوا أبدا - ثابتين على إسلامهم ، أوفياء لعهودهم مع الله ، أمناء على أداء ما ائتمنهم عليه رسول الله ؟

ذلك هو الصدق ، وهذا هو الواقع والحق ، وتلك هى عمان معاذ الهدى واليقين ، وملاذ العقيدة والدين . ومهوى الأفتدة ، ومعقد الآمال .

فاذا اذن بعد ، مع هذا الكذب وذلك المحال ؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولعمري استأدى من أين بدأ مشوار هذه المقولة المماكرة الخبيثة عن عمان وأهلها الطيبين الأختيار فوق خريطة التاريخ ، وبين أبعاد الحقيقة والواقع ؟

جميعا من الازد :

هذا .. ويلاحظ ان اهل عمان جميعا من الازد الذين يتصل نسبهم الى نبي الله هود عليه السلام .

وللازد القرح المعلى ، والمكانة السامية ، والمنزلة المنيرة الرفيعة في عالم العروبة والإسلام . لاصحابنا بين ربوع عمان ..

إذ أن يعرب بن قحطان - أول من تقي البذور العربية في أرض عمان - من الازد، وكذلك مازن - أو مالك - بن عضوبة بن حيان بن طيىء السجالي - أول من تلقى الإسلام على يدى الرسول ﷺ وألقاه في البيضة العمانية - من الازد أيضا . وكذلك كان أسبق الناس إلى صحبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من العمانيين الازد بين ، أصحابنا ، وصاحبات .

كما كان منهم الرواد الذين ارتادوا مجاهل العالم ، واكتشفوها ، فكريا . وعقائديا . وجيولوجيا .. وجغرافيا . . ولغويا ، وتكنولوجيا . وعلما بشوايا على وجه العموم ..

ومنهم كذلك الفطاحل الافذاذ من العلماء العباقرة الذين أفضوا وأفاضوا الشئ الكثير الوفير .

ومنهم القادة الأشاوس الذين اخذوا على عواتقهم تحرير كل مغضوب ، وتخفيض كل مكروب ، ومساعدة كل محتاج . وذرع مساحات الدنيا جيئة وذهوبا للأخذ بتناصر الإنسانية ، والوقوف بجانبها ، حتى تستكمل الشوط ، وتدور مع المشوار في سبيل ترقية الحياة . ومن اجل افساح الطريق امام مسيرة الإنسان .

ومن الازد - ومن اعلا انماطهم في ارض عمان العربية - هؤلاء الشوامخ من الملوك والسلاطين ، العمدون الامناء . الاتقياء الأوفياء .. الذين افاضوا العدل ، ووضعوا الموازين القسط في معاملات الناس ، وتعاملوا اساليب الحكيم

ومن تلك القبائل قبيلة «أزد شنوة» بنى عثمان ، وهو عثمان بن نصر بن عثمان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد .

ومن الأزد راسب ، الذى ينتسب إليه عبد الله بن وهب الراسبي ، أول الحوارج الذين خرجوا مجاهدين فى سبيل الله .

فى كل مكان :

وقد تفرعت من الأزد — بعد ذلك — أمم شتى ، وأقوام لا تحصى ، أو تستقصى ، فى العراق والشام . وما لإيهما من البلدان المنفرقة ، وفى أفريقيا هروما وفى شرقها على وجه الخصوص .

ومن ذريتهم الملوك والسلطين فى أنحاء الجزيرة العربية ، ولاسيما دول الخليج وبالذات ، أو بالأخص السادة النجب ، والكراكب الشهب من ملوك وسلطين بوسعيد فى عمان .

ومنهم من أوقد النار بكل يفاع من الأرض لتمتد لإيها الضيوف والوفود ، وذرو النفاقات ، والحاجات ، والتائبون ، والحيارى ، عسبر الصحراء ، وفى أعماق الجزيرة .

ومنهم من بنى المنازل ، والمناهل ، وترك عليها الأنعام والمواشى ، لإطعام الجماع ، وإيواء الغرباء ، والقيام على إضافتهم ، وذاحتهم ، وانتجاعهم .

وإلى الأزد — كما أسلفت ، وأوضحت — صار الحكم، والدولة، والسلطان والملك فى عمان ، حتى يومنا هذا — وبمشيئة الله — إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فن ولد مالك بن فهم كانت ملوك وسلاطين عمان .

وصح كل مانسبه التاريخ اليهم بن مجد ، وباهى من فغار .
ومنهم تبدأ حركة الحياة صحيحة ، وتتطابق دورتها في الإطار المحسوب
المكتوب ، كما تحركت ودارت ، في قابل الايام فيما بعد . وفي عهودهم ، ومعها
— شائخة عملاقة — يقاس بها الواقع ، وتمشوق على حداثها الحقيقية ، وتشكل في
إطارها ، وبين أبعادها صور الحياة .

وكان من أبناء ، ومعولة بن شمس بن عمرو ، وذريتهم ما كان ، بما صحت
به خطوات المجد الواثبة على طرائق العز والفخار ، وماتوا مع انصلاقاتها في
سيرات الحياة إلى الغلبة والانتصار ، وكان منهم بنو كهلان وملوكهم ، ومن
ملوك هؤلاء القوم أمروؤ القيس بن عوف بن عمرو بن الحارث بن أدد بن زيد
ابن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن قبائل الأزد — بعد مالك بن نصر بن الأزد — راسب ، وعامد ،
وبنو واكبة القرع .

ومن رجالهم مخنف بن سليم ، وبنو مازن ، وأبو ظبيان الأعرج ،
وجندب بن زهير ، ومالك الأهينة الشاعر ، والحجن بن المرفع ، وعبد
الرحمن بن عوف ، وعبد الشارق لفظ ، وعامد بن جندب الحخير .

ومنهم عبد الله بن كعب ، وبنو شكر ، وبنو قطيفة ، ومنهم مالك بن كعب
وعبد الله بن زهران ، وزهران بن كعب

وأيضاً مع سائر الفنون :

ومنهم أبو عبادة البحرى الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الله بن شمالان
ابن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدى بن بدول
ابن بختر بن عوف بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمران بن الغوث بن جلهمة
ابن طي بن أدد بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب . الشاعر المشهور .

ومنهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، وأبو الطيب المتنبي ، الذي كان الدهر
من رواة أشعاره

ومنهم أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن
المختلر بن زياد بن ربيعة بن الحارث ، بن ربيعة بن أنور بن أسحم ، بن أرقم
ابن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن شريح بن جذيمة بن نيم الله بن أسد
ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمان بن الحالف بن قضاعة التبوخي المعري
الشاعر المتشائم الفيلسوف .

ومنهم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة .
ومن ذريتهم السلاطين : شمس بن عمرو ، وعناق بن حاضر ، وعصر بن
مالك ، والوايد بن عصر ، وبنو الحدان بن شمس .

ومنهم صبرة بن سليمان الحداني — وكان رأس شنوة — .
ومنهم معولة بن شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن
كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ومن ولده
كانت ملوك عمان وسلاطينها ، وإليهم صار الملك بعد مالك بن فهم وولده .

ومنهم عبد العزيز بن معولة بن شمس بن عمرو ، وكان من أعز الناس نفسا
وملكا ، وهو الذي صبي القباب — موضع بنجد — واستبى منه ألف فارس .

ومن سادة الأزد وشجعانهم ، بنو المهلب بن أبي صفرة ، فلقد تناسل من
المهلب ولده ظالم بن سراق بن صبيح بن كندى ، بن عمرو بن وائل بن الحر بن
العتيك بن أسد بن عمران بن عمر .

ولم يزل المهلب ظافرا منصورا ، فلقد دعا له علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص
— وكان مستجاب الدعاء — وأخبار المهلب ، وأحاديثه ، وأيامه ومعاركه ، وملاحمه

وسياساته، ودبلوماسياته، ودهاؤه، كهادر و غرر، تتحلّى بها الاخبار، ويتناقلها
القصاص والشجار، ويقف التاريخ أمامها خاشعاً راكعاً، يرقبها على استحياء،
ويروها في خنز وحياء .

ومن الأزد بنو خطامة من ملوك اليمن، ومنهم عبادة بن الصامت، ومنهم
قحطبة أحد نقباء بني العباس، ومنهم أبو حنبل جابر بن حجر الثعلبي الذي أجاز
أمرؤ القيس، ومنهم كعب بن الأشرف، ومنهم أخزم بن أبي أخزم جمد
حاتم الطائي .

في الجاهلية والاسلام

ومن مشاهيرهم في الجاهلية إياس بن قبيصة، ملك الحسيرة بعد النعمان بن
المنذر، ومنهم معتن بن صعتر، وكان يعد من دهاة العرب .

ومنهم قسامة بن ربيعة الشاعر، ومنهم عبد عمر بن حماد، وكان خطيب
مذبح، وأمتع الناس حديثاً .

وكان من ملوكهم القدماء . الرايش بن شداد . وهو أول التبابعة — وأبوه
شداد بن المظاظ — غزا ملوك الأعاجم، وسار إلى أرض فارس، فقتل وغنم
وأسر خلقاً كثيراً ومالاً لا يحصى له .

ومنهم ذو المنار أبرهة بن الرايش الذي غزا أرض المقرب . ومعه أبنة
العبد على مقدمة جيوشه، واستخلف بعده على اليمن ابنة إفريقيش بن أبرهة،
ثم تملك بعده ابنه العبد . فلما مات ملك الأمر ذو شرح الهدهاد بن شراحيل .
الذي — يقاله بأنه — تزوج امرأة من الجن . فأولدها بلقيس التي ملكت بعده
وتزوجت نبي الله سليمان — كما ورد ذكر ذلك في القرآن — وأوتيت من
كل شيء . ولها عرش عظيم .

ومنهم ناشر النعم بن عمرو بن شراحيل ،
ومنهم الحارث بن شداد الذى سار نحو المغرب ، وساحل البحر ، ودخل
العراق ، ثم توجه إلى الصين ، وكان طريقه إلى ذلك ارض فارس وسجستان ،
حتى دخل خراسان ، وهو التابع الثانى ، ومن بعده ولده عميكرب الذى غزا اهل
الروم ، ثم حفيده كليكرب ، ويجئ التبع الثالث - الاسعد بن تبع بن
كليكرب الحيرى - الذى بلغ فى مغازيه ما بلغه آبائه واجداده من تشريق
وتغريب ، وزاد عليهم فى الشمال والجنوب ، ثم سار إلى بحر الظلمات ، ودخل
بلاد فارس ، وخرج يريد بلاد معد ، ومضى إلى الطائف - بعد ان اكتسح
الجيوش وافتتح البلاد - وارسل سراياه إلى هوازن وثقيف ، واتجه -
فى مسيرته - إلى اليمامة ، ثم سار أخيراً فى رحلات متتالية متواصلة ، وحروب
شرسة رهيبية ، واشراط بعيدة مديدة - عجز التاريخ عن ملاحظتها وتبعتها
والكتابة عنها - حتى دخل المدينة ، - يثرب - وارسل إلى اشرافها وذوى
الرأى فيها من الأوس والخزرج ...

أبيات اللعن :

ثم إن الأوس والخزرج ناصحاه ، وأخفصاله الرأى والمشورة ، حين
قالوا له : أبيات اللعن ، إن اليهود أهل ختل ، وخدع ، وحيل ، فذلك - وأنت
التبع العادل - لا يقبل على العقب ، ولا يقبل قول الزور ، وشأنك أعظم من
أن يصير أمرك إلى التسرع ، أو إلى ما لا يجمل ، وأنت لا تستطيع أن تخرب
هذه القرية ، .. قال التابع - فى تعجب - : ولم ذلك ؟ قالوا : فإنها محفوفة ،
وإنها مهاجر نبي من نبي لإسماعيل بن إبراهيم ، اسمه دأحد ، يخرج فى آخر الزمان
من هذه الشثية - وأشاروا إلى مكة - .. قال تبع - وقد أخذته الدهشة ، وكأنه
يستعجل الزمن - : متى يسكون ذلك ؟ قالوا له : سيكون هذا الأمر من بعد
زمنك بزمان وأزمان .. فوقع كلامهم فى قلب التابع ، ولعله صادف هوى فى

نفسه ، وأمسك عن حرب أهل المدينة ، وانصرف عن رأيه في حربها وخرابها ..
ويستمر التاريخ في حديثه الأخاذ المذهل — عن هذا التبع — فيقول : وسار
تبع نحو مكة فنصب مطابخه في الشعب — الذى يقال له شعب عبد الله بن عامر —
وكانت خيلهم بمكان اسمه « جباد الحيل » ، وأقام بمكة أياماً ينحر في كل يوم خمسمائة
بدنة ، والناس يأخذون منها حاجاتهم ، وتقع عليها الطير ، ثم تنهشها السباع
إذا أقبل الليل ، وأمسى المساء ..

ورأى هذا التبع في منامه أنه يسكسو البيت ، فكساه بالانقطاع ، ثم كساه
بالبرود الموشاة من حبرات الين ، وطاف بالبيت ، وجعل لبابه مصراعين من
الذهب ، ومزلاً جاً من أندر المعادن الثمينة الغالية ..

وعن أبي هريرة — بأسانيد مختلفة — قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن سب تبع الأسعد الخيمرى ، وقال : « لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم ، وهو أول
من كسا البيت » .

واستمر ملك التبابعة قائماً دائماً ، فن حسان بن ذى معصاهن بن تبع ، إلى
عمرو بن تبع ، إلى عبد كلال بن مشوب بن تبع ، إلى مرثد بن تبع ، إلى وليعة
ابن مرثد بن تبع ، إلى حسان بن عمرو تبع الأصغر بن حسان بن ذى معصاهن
ابن تبع الأسعد ، وكانت مدة ملكه سبعا وخمسين سنة ... ثم ملك من بعدهم
رجل ليس من أهل المملكة ، ولا من التبابعة ، هو « خشاعة ذو شناز » الذى
استمر فى الملك سبعا وعشرين سنة ، إلى أن قتله ذو نواس من ولد تبع ، وهو
صاحب الأخذود الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سورة « البروج » .

ثم كان ما كان من أمر أبرهة الأشرم الذى ابتنى بيعة لعبادة النصارى فى
الطريق من مكة إلى اليمن ، ليصرف بها الحاج عن عبادة الله فى الكعبة ، وأن
يجعل حج العرب إليها ، فأهم ذلك العرب وأغمهم ، وبيتوا بينهم أمراً ، وأداروا
أفداح الرأى فيما يتخذون حيالاً ما أحدثه أبرهة الأشرم ، فقال « القلس السكتانى » -

وهو من دهاة العرب وعظماهم ، وكان من نساء المشركين - أي الذين يقدمون ويؤخرون فيها - إذ كان يقف عند جرة العقبة ، ويقول : اللهم إني ناسيء المشركين ، وواضيتها مواضعها ، ولا أعاب ولا أجاب ، اللهم إني قد أحللت أحد الصنفرين ، وحرمت صنفر المؤخر ، وكذلك في الرجيين رجب وشعبان... إنفروا هلى إسم الله أيها العرب ، أقول : قال القلس السكتاني للقوم - الهانجين - : أنا أكنيكم ذلك ، وأكنيكم أمر ابرهة هذا .. ثم سارحتى ورد على ابرهة ، وقال له : أنا رافد قومي عليك ، وانهم سيحجون لبيعتك من قابل فسر به ابرهة وأكرمه ، حتى إذا كان يوم عيد الحبشة ، واشتغل الاحباش بملاعيبهم وخمرهم ، أقبل القلس السكتاني وسلح في البيعة ، وأقذر حيطانها . ثم قفل راجعاً إلى مكة المكرمة .

وغضب لذلك ابرهة اشد ما يكون الغضب ، ثم بعث إلى النجاشى يستأذنه ويستمهده العون في حرب العرب ، .. واعتزم المسير إلى البيت لبيده ، وساق الجحافل والجيوش تتقدمهم الفيلة والأفراس ، في عدد وعدة ، وتيئة وتعيبة لم ير الرءاؤون مثلها قبلا .

يا أبناء حمير :

وهنا هب العرب عن بسكرة ابيهم ، ونصبايحوا على المعركة ، وتنادوا متجمعين ، وقالت حمير : ، والله ، يا معشر حمير ، لئن سار ابرهة إلى البيت الحرام يريد هدمه ، ولم تقا تلوه ، ولم تمنعوه عن ذلك ، اشتد غضب الله عليكم ، وعلى سائر العرب ... فنزلت حمير من جبالها ، وعليها ذون نفر بن الانقاع الحميري ، فساروا حتى لقوا ابرهة ، وقا تلوه قتالا شديداً ، فانهزمت حمير ، وانكشفت ، فلحقت بأجبالها ...

وثبت ذو نفر حتى أسر ، فأتى به ابرهة ؛ فكلمه فيه مضارب بن سعيد

الخيرى ، فاستبقاه ... ثم إن ابرهة وجه الأسود بن صقور — وهو قائد من قواده — من تهامة ، وعهد إليه ، فسار حتى أوقع بقميس ، وبنى عقيل ، وأسروا فيمن أسروا خالد بن كعب بن كلاب ..

ثم سار حتى قدم تهامة ، فأخذ ما أصاب من سبي ، وأخاف أهل الحرم ، وكان جيشه كلهم من السود ، ليس فيهم عربى إلا دليل ، وأقام الأسود تهامة ، وكتب إلى ابرهة بما يصنع ..

فسار ابرهة — بعد ما هزم ذا نفر — فجمع له نفيل بن حبيب الحشمى خشعاً كلها ، ثم سار إليه ، فواقعه . فاقتلوا قتلاً شديداً ، فانهزمت خشعهم ، ولحقت بجبالها ، وأسر نفيل بن حبيب ، فأتى به إلى ابرهة . (قال له نفيل : استبقيتى ، أكن دليلك فى أرض العرب ..

فاستبقاه ابرهة ، فسار به نفيل حتى انتهى إلى البيت الذى كانت ثقيف تعظمه بالظائف ، وأراد بذلك صرفه عن الحرم .

وقال نفيل : أيها الملك ، دونك هذا البيت الذى أردت ، فاهدمه ، وأصنع بأصحابه ما شئت ، فقال له مسعود بن مغيث الثقفى : ليس هذا البيت الذى أردت ، بل هو أمامك ، وإن الأسود بن مقصور دونه ينتظرك ...

وبعث مسعود بن مغيث رجلاً من ثقيف دليلاً لابرهة إلى الحرم ، فسار معه الدليل الثقفى ، حتى أوردته مكة ، وعظم أمره فى قلوب أهل تهامة ، وهربوا منه حتى لحقوا شواحق الجبال .

أعجبني ثم زهدتك :

وكانت طلائع الجيش — فيما نهبوا من أموال كنانة — قد أخذوا لإبل لعبد المطلب بن هاشم ، فأقبل عبد المطلب بن هاشم حتى أتى عسكر ابرهة ، يطلب

رد إليه ، فدخل على ذى نفر الحميرى - وكان صديقاً له - فقال : هل عندك حيلة أدخل بها على أبرهة ؟ فقال ذو نفر : وأى حيلة عند مجوسى ؟
فكلم ذو نفر أنيساً سائس الفيل ، وقال له : يا أبا رباح ، هذا سيد قريش ، وصاحب هذا البيت ، فاستأذن له على الملك .
فدخل أنيس وأدخل معه عبد المطلب على أبرهة ، فأعجب به أبرهة وقال : سل حاجتك .

فقال : ما اتنا بعير ، أخذها الأسود بن مقصور .

فقال أبرهة : لقد أعجبتنى حين ظننت أنك لا تسألنى مالك دون دينك ، أنا أريد أن أهدم بيتكم الذى توجهونه ، وهو عزكم ، وأنت تطلب منى إبلأ ؟
فقال عبد المطلب : إنما طلبت إبل ، وأما البيت فإن له رباً سيمنعه ويحميه ، فردوا عليه الإبل ..

وأتى عبد المطلب قريشاً ، وقال : قد آنا كم ما لا طاقة لكم به ، فارغوا إلى ربكم . ثم أخذ بملقة الباب ، وقال :

يارب لا أرجو لهم سواك

يارب لا يفلح من عصاك . . . إن عدو البيت من عاداك

فلما أصبح أبرهة ، وتهاياً لدخول مكة ، وعياً الحيشة ، وقدم النيلة ، أقدم نفيل بن حبيب الحثعمى ، فأخذ بأذن الفيصل ، وهو يقول : إنزل محموداً ، وارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك فى حرم الله وكفه ...

فبرك الفيل ، ولم يتحرك ...

وخرج نفيل يعدو سقى صعد الجبل ، وضربوا الفيل ، فوجهه إلى

البيت ، فبرك ، فوجهه إلى المغرب فارتد ، فوجهه إلى البيت ، فبرك .
فصاح أنيس - سائس الفيل - : أيها الملك ، نذيل سحر الفيل .
قال : أطلوه .

فجعلوا يصيحون : يا نفيل .. يا نفيل ..

وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل كأمثال الخضايف ، مع كل طائر ثلاثة
أحجار ، في كفيه ومنقاره ، أمثال الحصى . كما يقررو ذلك المفسرون
فلما غشيت القمر ، أرسلت عليهم ما معها من الحجارة ، فلم تصب الحجارة
إلا السود ، فكانت تصيب الأسود بين الأبيضين .

قال عبيد بن شريفة : أخبرني رجل قال : قد أصيب أسودان ، وأنا بينهما ،
فنظرت إليهما والحجارة تقع على اليافوخ ، فتد على جوفه إلى الدابة ، فتنفذ إلى
الأرض ، فلا يرى شيئاً .

وجعلوا يسألون عن نفيل ، فلم يجبهم أحد .

بعثت بلادك عنا :

وخرج الأحباش العادون يتساقطون في كل طريق ، وأصيب أبرهة أيضاً ،
فخرجوا به متوجهين إلى صنعاء اليمن ، فجعلت تسقط أنامله ، وكلما سقط إصبع
أثبعا دم وقيح ، حتى قدموا صنعاء ، وهو مثل الفرح ، فأنصرع قلبه فمات .
فلسكت الحبشة عليهم ، يكشوم بن أبرهة ، فلم يلبث أن هلك هو الآخر ،
فقام مقامه أخوه مشرق بن أبرهة .

وكان ابن ذى يزن ، واسمه النعمان بن الحارث بن قيس بن معدى يكرب
ابن عبد سيف بن ذى يزن ، وهو عامر بن أسلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس

ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن صبا ، ومن قبل ذلك بمدة كان قد خرج حتى قدم على قيصر الروم يستمده على الحبشة ، فطلبه القيصر ثلاث سنوات ، ثم مال إلى النصرانية ، فلما عرف ابن ذى يزن ذلك خرج من عنده ، حتى قدم على النعمان بن المنذر اللخمي ، وكان النعمان يأتي كسرى مرة في كل خمس سنوات ، وذهب ابن ذى يزن مع النعمان حتى دخلا على كسرى في إيراوه وناجيه معلق فيه كالقنديل ، يتقدم بالياقوت والزبرجد والؤلؤ ، في سلسلة من ذهب في رأس إيراوه ، فلما دخل ذو يزن من باب الإيوان طأطأ رأسه ، فلما وصل إلى كسرى كلمه ، وشكا إليه ما هم فيه من أمر الحبشة ، وسأله أن يبعث فيهم جنداً لمحاربتهم..

فقال له كسرى : بعدت بلادك عنا .

فقال له ابن ذى يزن : إنما تريد من الرجال سمعة بقدر ما يذهبها الصوت ، فاني لو صرت إلى بلدى لصار إلى من الخيل والرجال ما شئت .

فقال له كسرى : أنظر في حاجتك وأرى رأيي .

ثم دعا بطعامه ، وجلس مع ذى يزن يؤاكله ، ووضع كسرى الواناً من الطعام بين يدي ابن ذى يزن ، وقال لرجل من أساورته : خذها ، فمد الأسورة يده ليأخذها ، فغضب ابن ذى يزن بالسكين ، فقطع لإصبع الفارسى .

بين كسرى وابن ذى يزن :

وكان ابن ذى يزن - حين دخل على كسرى ، وكلمه - قد سقطت محضرته من يده ، فقطع كلام كسرى حتى أخذ المحضرة ، ثم تكلم .

فقال له كسرى . قد فعلت منذ دخلت ثلاث خلال ، ما رأيت أعجب

قال ابن ذى يزن : وما هن ؟.

قال كسرى : دخلت وانت رجل قصير ، وإيوانى ذاهب فى السماء ، وطأ طأت راسك ، حين دخلت ابواب الإيوان ، ثم كلمتى فسقطت محضرتك من يدك فقطعت كلامى حتى أخذتها ، وما فعل هذا فى احد قط ، ثم جلست على طعامى فد رجل من أساورتى يده لياخذ شيئاً من بين يديك ، فقطعت لإصبعه بسكينك ، مارأيت مثلك فما هذا ؟.

قال ابن ذى يزن : اما قولك ، طأطأت راسى فىهى همقى اعظم من لإيوانك ، واما قطعى كلامك حتى اخذت محضرتى ، فإن كلامى بها وما كنت اتكلم وليس معى محضرة ، واما قطعى يد رجل من أساورتك فإنى ما خرجت من اليمين إلا مخافة ان أضام ، فكيف اقر الضيم وأمارسه ، او وهو يمارس معى ، وفى إيوان كسرى ؟

فعجب كسرى من كلامه ، ثم شاور أصحابه ، فقالوا : ما ينبغى لك ان تنجد هذا الرجل ، وبلده بعيد ، وليس لك من رأى إلا ان تخرج من فى سجونك من الفرس ، وتعطيم السلاح ، وتقومهم بالخيول والآلة ، ثم توجه بهم مع هذا الرجل لقتال الزرم ، فإن فتحوا فتحاً كان ما اردت ، وإن قتلوا كان قتل قوم كنت تخافهم على مملكتك

فأخرج كسرى كل من كان فى سجونته من الفرس من كان يخافهم على مملكته وكانوا ثمانمائة رجل ، واعد لهم السلاح والآلة . وحملهم على الخيل . وقال لابن ذى يزن : ليس عندى ما اتجسدك به غير هؤلاء . فوجه بهم معه . وولى عليهم ابن عم له . قد تشعب عليه . يقال له وخر زاد بن

موسى ، من نسل بهرام أهور ، وكان رجلاً حازماً ، وهو من الاساورة المتقدمين ، ومنه مائة وعشرون سنة ، وقد سقط حاجباه على عينيه .

فحملهم على ثمانى سفن ، وساروا حتى أرسط مرا كهم بساحل عدن .

فلما خرجوا إلى عدن كتب ابن ذى يزن إلى اليمن ، يخبرهم بقدهم ، ويستنجدهم وكان أول من أنجدهم «السكون» ، من كندة ، فى جمع عظيم ، ونزلت إليه حمير ، وهمذان من جبالها فى أربعين ألفاً من اليمن ، وصارت الفرس فيهم كالشامة ، لا يعرفون إلا بالإسم .

ذل الحمار وذل ملكه :

فلما رأى خمر زاد بن موسى كثرة من صار مع ابن ذى يزن ، أوحشه ذلك فقال : ما نأمرنى ، فإنى لأظن بك حاجة إلى؟ .

قال : بل أنت معى حتى نظفر جميعاً أو نموت جميعاً .

فسر خمر زاد بما قاله .

وسمع مسروق بن أبرهة ملك الحبشة بان ذى يزن ، وما اجتمع إليه من الناس فجمع أصحابه ، وسار بهم للقتال .

فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وعمد خمر زاد إلى ابن له ، فولاه فرسان أصحابه ، وقدمه ليقاتل ، فصار فى موضع لم يمكنه الخروج منه ، فقتل جميع أصحابه .

واصططكت الناس حتى حيت الشمس ، وكان مسروق على الفيل ، واشتد القتال وكان على رأس مسروق تاج ، وفيه ياقوتة حراء ، فلما حيت الحرب قال لهم خمر زاد : يا معاشر حمير واليمن ، على أى الدواب ملككم ؟ .

قالوا : على الفيل ، فقاتلهم ساعة . ثم قالوا : تحول على فرس ، فقاتلهم ساعة . ثم قالوا : تحول على بغل ، فقال : ذل الحمار ، وذل ملسكه ، إصمتوا إلى سمته ، فلما استقر بصره عليه ، وقد ربط حاجبه بحريرة ، فأخذ قوسه ، ثم نزع فيها ، ورمى مسروفاً بهم ، فأصابه السهم على الياقوتة التي بين عينيه ، فتقلل السهم في رأسه حتى خرج من فناه ، وخر صريعاً ، وحمل أهل اليمن على الحيشة فأنكشفتوا ، وقتلوا كل من اختفى تحت حجر أو شجر .

وملك ابن ذى يزن اليمن ، ودخل صنعاء ، ونزل غمدان ، وهو بيت مملكتهم وله حديث طويل .

فلما توفي ملك بعده ، أبرهة بن الصباح الأصبحي ، ذى أصبح بن لهيعة بن شبة الحمد بن شريك الخير بن نكيف بن زيد بن معدى كرب بن مصبحا ، وهو عبد الله بن عمر ذو أصبح بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الأصغر ابن وائل بن العوث بن قطن بن غريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ . وكان من أحلم ملوك اليمن ، جزيل العطاء ، حسن الرأي ، محبا لبني معد بن عدنان ، وكان ذا علم وافر ، ويرى في عده . أن المملك صائر إلى بني فهر ، وهو القائل :

صبراً بنى حمير عن ملسككم فأنا إلى معد أراه زول ملسككموا

ولم يزل الملك في حمير يتوارثونه إلى أن أتى الله بالإسلام .

وكانت أم أبرهة بنت الصباح ، ريحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحيشة من ولد أبي شمر بن أبرهة الذي قتل مع علي ابن أبي طالب بصنين ، وأبو رشد بن أبرهة

كان سيد حمير في زمانه بالشام ، والنضر بن تميم بن معدى كرب بن أبرهة كان
مقدام حمير وأمه بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب .

والعائلة يتوافدون :

ومن الأزد أيضاً ، امرؤ القيس بن حاج بن عبيد بن ذهيل بن عبدالله بن كنانة
ومنهم بنو المدينة - وهو اسم امرأة - بنو مخضب ، نسبوا لها - وولد عمرو بن
امرؤ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف
بن عذرة بن زيد اللات بن زفيرة بن ثور بن كلب بن وبرة .

ومنهم الفحل بن عياش بن شراحيل بن سميرة ، جد نبي جابر بن زهير الذي
قتل يزيد بن المهلب ، ومنهم محمد بن السائب بن عمرو بن الحارث بن عبد العزيز
ابن امرؤ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود ، وابنه أبو المنذر ،
وكانا من أعلم أهل زمانهما بعلم العرب ، وأيامها ، وأنسائها ، وكان محمد
ابن السائب من حضره الجماجم ، عند عبد الرحمن بن عمدة بن الأشعث ، وكان عالماً
بتفسير القرآن الكريم ، وأيام العرب .

وقد روى عنه أنه قال : حضرت مجاس ضرار بن عطارد بن ولد حاجب
ابن زرارة بالكوفة ، فبينما أنا عنده إذ رأيت رجلاً بالجلس كأنه جرد يتمرغ
في الحمر ، فتمزني ضرار عليه ، فقال : أسأله ، من أنت ؟ فسألته ، فقال لي : إن
كنت ناسياً فأنسى ، فإني أشرف بن تميم ، فابتدأت النسب ، فندبت تميماً حتى
بلنت غالباً ، فقلت : وولد غالب هماماً ، فاستوى جالساً وقال : والله اسماني
أبوأي إلا ساعة من نهار ، فقلت له : إني لأعرف اليوم الذي سماك فيه أبوك
الفرزدق ، أنعرف أي يوم كان ذلك ؟ فقال : حين بعثك في حاجة ، فخرجت
تمشى وعليك مشفة لك فقلت : والله لكأنك فرزدق دهقان - قرية سها ،

بالجبل - فقال : صدقت والله .

ومنهم أبو ثور بن جبينه ، واسمه إبراهيم بن خالد ، ومنهم بنو رقاش ، ومنهم مالك وربيعه وثعلبة بنو عامر بن عوف ، ومنهم حميد بن سالم صاحب مرة كلب .

ومن شعرائهم حسان بن الطوامة ، ومنهم بنو زيد مائة بن عامر ، ومنهم الحزرج وهط رحبة بن خليفة بن فروة بن فضالة بن أمية القيس بن الحزرج وهو زيد مائة بن عامر بن بكرة ، ومنهم بنت كلب بن عمرو بن عدى الأزدي ، وغلبت على ولد عوف بن عامر ، فولدت كعبا والحارث ، وحجر اء ، وبنى عوف ابن عامر ، وبها يعرفون .

ومنهم الأبرش السكبي ، واسمه الوليد بن هاشم ، وكان نسابه عالماً بالأنخبار وسير الملوك ، وكان صاحباً لهشام بن عبد الملك ، فله أفضت الخلافة إليه سجد هشام ، وسجد كل من كان معه . والأبرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام : مانعك من السجود ؟

فقال : ولم أسجد وأنت اليوم معي ماشياً ؟

فقال هشام : فإن طرت أظير معي ؟

فقال : أذاك فاعلا ؟ .

قال : نعم : والله ،

قال الأبرش : الآن طاب السجود .

ومن كلب ، يزيد بن معاوية بن قنافة بن عدى بن زهير بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف ، عاش مائة وثلاثين سنة ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم ، وأما ابنه فقد أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم بنو حسن ، ومنهم مشجعة بن تميم بن نمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان
ومنهم راسب بن حدير بن حزم بن رتان بن تغلب بن حلوان بن عمران ، ويقال :
ومنهم حزم بن زياد بن حلوان بن خولان بن عمرو بن الحاف .

ومنهم أيضاً :

أما بطون عمرو بن الحاف ، فإن منهم أسلم بن عمرو بن الحاف ، ومنهم أراشة
ابن عمرو بن بلي بن عمرو ، ومنهم فرعون موسى ، واسمه الوليد بن مصعب بن
قاران بن بلي بن عمرو ، ومنهم الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، وهو من خيار
الصحابة ، ومنهم جهر بن عمرو . ومن بهر المقداد بن الأسود صاحب
رسول الله ﷺ ، حليف الأسود بن عبد يغوث بن مغيث بن عبد مناف
ابن زهرة ، واسم أبيه عمرو ، ولكن غلب عليه اسم الأسود بن عبد يغوث
الزهري ، ومن بهر أهبيلة بن هبل بن عمرو بن أبي چشم بن كعب بن عمرو بن
لحيون بن جهرا ، غلب على اسم ولده خوط بن عامر بن عبد ود ، وزيد بن خوط
ابن عامر بن عبد ود ، ومن بهر الأوية بنت أبي چشم ، وهم بطن بمضر ، والحونك
وقتبية بن أسلم بن عمرو ، وفهد بن زيد بن ليث ، ويقال ، الأوية بنت أبي چشم
ابن كعب بن الحاف ، ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ، وهو الأصح ،
ومن مهرة رشيد بن سعيد الفقيه ، ومنهم عنابة القيل بن سعدان النحوي ، وحويكة
ابن أسلم بن عمرو . ومنهم نهد بن عبد الله بن العجلان الشاعر ، ومنهم عقبة بن
عامر ، صاحب النبي ، ﷺ ، بعد قدومه إلى المدينة ، وكان يكثر الرمي ،
لحديث سمعه من رسول الله ﷺ في فضل الرمي ، ومات وترك سبعين قوساً
بجعبها ونبالها ، وشهد صفين مع معاوية ، وتحول إلى مصر ، وكان يخطب بالخناء
وسعد بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو ، وسعد بن زيد ، وهو سعد هذيم ،

وكان هذيم عبدأحشياً ، ففسب إليه ، ووائل بن سعد بن زيد بن أسلم بن عمرو ،
وعذرة بن رباح ، فن أشراف عذرة ربيعة جدقصى لأمه ، وإخوته جرير
ابن ربيعة ، ومحمد بن ربيعة ، ورزاح أخو نهد بن زيد ، وحويكة بن أسلم ،
وهما كانا أكثر من بطون قضاة في وقتها ، فأجلوا حتى لحقوا باليمن ،
وشردوا من بلادهم ، فقال قصي بن كلاب ، - وكان يحب قضاة لنموها
واجتماعها ببلادها ولما بينه وبين رزاح من الرحيم ، ولا لا لهم عنده -
بعباته شعراً :

ألا من مبلغ عنى رزاحاً فاقى قد لحيتك فى اثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد كما فرقت بينهمو وبنى

ورزاح بن ربيعة العذرى ، هو الذى أخرج رفاعة بن عذرة ، فألحقهم
ببنى يشكر ، وهم رهط ابن أسلم الخارجمى ، وألحق قبائل عاملة ، وولى الحجاز
حتى سكن بعضهم جزائر البحر ، وأخرج طائفة منهم إلى مصر ، وهو الذى رد
حجابه البيت إلى قصي بن كلاب .

عذرة قالوا :

ومن عذرة النحار بن أوس الخطيب ، وسمى النحار لأنه كان إذا حنى فخر ،
فكان أول من رآه معاوية وقد دخل عليه فى عبادة فأنكره وأنكره مكانه
فلا علم ذلك النحار فال معاوية : ليست العبادة هى التى تسلكك ،
ولكن من فى العبادة يسلكك ، فلا سمعه وعظم حاله . ثم نهض ولم يسأل .

فقال معاوية : ما رأيت رجلاً أرت ولا أجل منه ، وأنشأ النحار يقول :
فان تك أنوائى تحرقن للبلبى فإنى كنتصل السيف فى حلق الغمد .
فأحسن إليه معاوية ، وخلع عليه الخلع السفية ، وكان لا يفارقه .

ومن عذرة زياد بن زيد الشاعر ومنهم هديبة بن حشرم بن كرز بن أبي حمية الكاهن .

ومن عذرة جميل بن عبد الله بن معمر بن قمية بن الحارث بن ظبيان بن جن بن ربيعة بن حزام بن ظبة بن عبد الله بن كثير بن عذرة بن سعد بن هديبة ، العاشق لبثينة بنت عمه ، وهي بثينة بنت منار بن ثعلبة بن الهود بن عمرو ابن الحارث بن لاحب بن جرير بن ربيعة .

ومنهم عروة بن حزام صاحب عفرأ ، - وقد مات من شدة عشقه - ، وهي قبيلة كثيرة العشاق ، صادقة المحبة ، مات منهم بالعشق جماعة لعفتهم وعفة نسأهم وجماهن .

وقد ذكروا أن رجلا من عذرة وقف بباب بيت سكينه بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فاستسقى بعض خدماها ، فقالت سكينه : إذا سقيته فأسأله عن قبيلته ، فأسأله ، فقال : أنا من قوم إذا عشقوا مالوا ، فلما أخبر سكينه بذلك قالت : إذن هو من بنى عذرة .

ومنهم من بطون عمرو بن الحاف ، سلامان بن سعد بن زيد بن سود ابن أسلم بن عمرو ، ومنهم جلهمة بن عمرو بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو . ومنهم قبائل نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو ، ومالك وسود وصباح وجريبة وحنظلة وعامر ويعرب ، وطول وحمل وربيعه وغشم .

بنو الذئب والنمر والثعلب :

ومن بطون قضاة غشم ووديعة والحاي ، ومنهم بنو الذئب والنمر والذب والثعلب ، وفهد وسرحان وضبيع بن وبرة بن ثعلب بن جولان بن عمدان بن الحاف ، والبريد والوحيد ، وهديمة ومصلاة وراسبة وفويد ،

ومنهم بنو ضبة بن سعد ، وهذيم بن زيد ، وقيل : وهذيم بن ليث ، وشداد
ابن قضاة بن مالك بن حمير .

وكان من ولد حيدان بن عمرو بن الحاف بن مالك بن حمير، مهرة وعراء،
فولد عمرو مجيداً وغريداً، وغريباً ويزيداً، والنعمان، والضيفر، والاحا، وجنادة.
وقيل سميت هذه القبائل بآل وحيدان، وولده مهرة صمطرى بن مهرة،
فولد صمطرى ثلاثة نفر، الأمرى ونادعم والدير، فولد الأمرى القمر والقمرام
والمصل والمسكى، فن قبائل القمر بنو ريام، وولدهم قرية يقال لها، رصاغ
على جانب ساحل بحر عمان، ولهم جبل حصين بناحية عمان، يمتنعون فيه،
يعرف بجبل منى ريام، ويقال له، رضوان .

ومن القمر بنو حمريرت وبنو يبرح، ومن قبائل الدير حمريرت والسوحم
وبختر بن حمريرت بن الديل بن صمطرى بن مهرى .

فولد بختر كرشان والنعين، فن الثعين بنو تبة بن شماسه بن وهط أبي ثور،
صاحب الأشعار، وهو عمرو بن محمد بن كنانة بن جيل بن تبة، ويقال لهم
بنو قصف، ومن قصف بنو وتار بكسر الواو، وهم الوتاريون، فأما
وتار يفتح الواو، فن ولد الهميسع بن حمير .

ومن قبائل إباد عمرو بن صمطرى بن مهرة العفار، والهيثم والعبدى،
وإليهم نسب العبدية والشب والنقر والقرحا، وهم مهرة، فهذه قبائل مهرة،
وقيل بجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة، وهى جزيرة طولها
ثلاثمائة فرسخ، وبها الصبر السقطرى، وبها نخل كثير، ويسقط لإليها العنبر،
وبها ذم الاخوين، فاذا قيل للمهرى، يا سقطرى، غضب، وإعسا السقطرى
الروم الذين كانوا بها من أولاد الروم فدخلوا في نسب القمر بن مهرة،

وهم معروفون بها ، وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى ، وذلك أنهم
يذكرون أن قوماً من بلد الروم أخرجهم بها قيصر فعمروا بذلك حتى عبرت
لهم مهرة ، فنلبت عليهم وعلى الجزيرة ، وكانوا هم رهبان على دين الروم من
النصرانية ، ثم دختها الشراة من مهرة وحضر موت ، فقتلوا من كانوا فيها
ومن مهرة ، ثم من بنى ريام بن القمر بن الأمرى بن مهرة بن حيدان ، ويقال ،
ريام بن يبرح بن صهطرى بن أمرى بن مهرة بن حيدان ، كان منهم منير بن النير
ابن عبد الملك بن ساور بن وهب بن عبيد بن صلت بن يحيى بن حضرمي
ابن ربا .

تباغة .. وماذا ؟

وهؤلاء جميعاً يذهبى نسبهم إلى التباغة ، وإنما سما التباغة لأن ملك اليمن
كان للملكين ، ملك بأرض حضرموت ، وملك بأرض سبأ ، فمن ملكهما جميعاً
سمى تباغاً . لا تباغ أهل البلدين إياه ، وأول من ملك البلدين تبع الحارث ، وهو
الرايش ، ويقال له ، ملك الأملاك ، واسمه الحارث بن شداد بن الملقظ بن
عمرو بن ذى أنس بن الضرار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن
عمرو بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
ومنهم يزيد بن هلال بن عباد بن عبد شمس بن وائل بن حمير .

ومن تباغة حمير ابنان ، منهم كيكرب ، ومنهم حسان بن تبع ، وهو ذو
معان ، ومنهم ذو فيقان شراحيل ، ويقال له ، علقمة ، ومنهم ذو كلاع ،
واسمه حمير الأصغر ، ومنهم ذو يزن ، واسمه عامر ، وابنه سيف بن ذى يزن
ابن شريك بن ياليل ، ومنهم ذو رعيذ ، ومنهم سبأ الأصغر ، واسمه سماعة بن
كعب بن زيد بن مهمل ، ومن بطون حمير بنو شمال ، ومنهم ذو نواس
فانل خشبة .

وأما ملك العراق فمناصفة بين الأزد ولحم . وكانت الأزد تسكن الحيرة
وبنشون ملوك البلد . وكان مرة يستعملون من هؤلاء ، ومرة من هؤلاء ، فان
اضطرب جبل الأعاجم سلبوا إحدى القبيلتين على الأخرى ، فأيتما غلبت ملكت
حتى صفنا ملك العراق ، واجتمعوا على جذيمة الأبرش ؛ وهو الواضح الأزدى
صاحب الزباء ، وهو أزل عربى ملك العراق حتى كان آخرهم إياس بن
فيصة الطائي .

وأما ملك اشام فلقد كان لسليح حتى نزلت عليهم غسان ، فمغلبوا على سليح ،
وملكتها غسان ، وبقى فيهم نحو من ثلاثين ملكا حتى أتى الإسلام ، وكان
آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم .

ومتهم كعب الأحبار ، وهو كعب بن مانع ، ومنهم أبو حميد محمد بن إبراهيم
السرقيدي ، وكان قائدا لأبي سلمة الخلال ، وهو أول من بايع السفاح ، خيفة
من أبي سلمة .

ومن مؤيهم عبد الرزاق بن همام بن نافع المحدث ، صاحب التفسير .
ومن شعرائهم المدترف الحميري ، واسمه النعمان بن يعفر من ولد شرحبيل ،
ومنهم الشاعر يحيى بن زوفل الحميري ، وكان كثير الهجاء ، قلما يمدح أحدا .
ومنهم يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرع الشاعر ، ومن ولده السيد الحميري
الشيبي

بين أجا .. وسلي :

أما أخبار طي بن الأزد وانتشار ولده هنا وهناك ، فيطيب التاريخ في ذكرها
ويقول على السنة رواته :

قال الخليل ، أصل بناء طي من طاو ، وأصله الواو ، فقلبوها ياء ، فصارت
ياء ثقيلة ، وكان الأصل فيها طوى . وقال السكبي ، إنما سمي طيا لأنه أول من

طوى المراحل ، يقال : طوىت الشيء أطويه طياً ، وكذلك ، طويت البئر أطويها بالحجارة ، وبها سميت الطوى ، واسم طى جلمة بن أدد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال : كان طى - وهو جلمة بن أدد باليمن يقال له طريف - قد نزل به ضيف ، فأكرمه ، وأنزله ومساءً لبناً بعدما أطعته ، فقال الضيف : إني نزلت بأخوتكم هؤلاء ، فسقوني لبناً ما شربت مثله ، ولا رأيت قط لبناً أطيب منه ، طعماً ولزناً ، وذفت ألبانكم فوجدتها لا دسم لها ، ولا رغوۃ .

فقال له طى : ولم ذلك ترى ؟ .

قال الضيف : لأنهم في أعلا الرادى يسرحون لابلهم وأغنامهم مشرق الشمس ، فنضرب الشمس أعناقها ، فتجسن نجوتها ، وتصفو ألبانها ، وتدر أحلافها ، ويتطيب طعم لبنها ، وتتقى جلودها لاستقبالها واستدبارها انضروا ، وتسرحون أنتم مواشيكم فتستدبرها الشمس حتى تعود في أعطافها ، فلا يفتنع بمرعائها ، واستقر بطى المقام بين أولاده في هذه الأرض البراح الواسعة ، وبينما طى جالس ذات يوم ومعه ولده ، إذ أقبل رجل من بقايا جديس بن عامر ، يقال له الأسود بن عفار ، فقال لطفى : من أدخلك بلادى وأرومتى وميراثى من آبائى ؟ أخرجوا من بلادى ، وإلا فعلت بكم .. وفعلت .. فقال طى : البلاد بلادنا ، وقد دخلناها وما فيها أحد ، بل تخليت أنت بخلاء البلاد ثم جئت فادعيتها بعد ذلك ، فقال الجديسى : لتخرجن منها ، وإلا فعلت بكم الأفاعيل ، وأريتكم ما لم تزوا أبداً ..

قال له طى : فاضرب لنا أجلاً وموعداً للبارزة ...

ثم قال طى لجندب بن خارجة : فأنزل عن مكر منك .

فقات وأم جندب ، : أتترك بينك ، وتعرض لإبني للقتال ؟ لا ، والله لا يفعل .

قال طى : ويحك ، إننا خصصته بذلك ، وشرفته دون غيره ممن لا يستحق هذا الشرف . . .

وكان طى يحب جندباً ، ويختار له الحيس والطعام والطيب . فلما أبت عليه أمه ، أمر طى ابنه عمرو بن الغوث بن طى ، وقال : يا عمرو ، دونك الرجل فقائه . . .

ثم قال طى أيضاً لابنه عمرو بن الغوث ، يا بنى ، هذا الدار أكرم دار على وجه الأرض .

قال عمرو : لن أفعل إلا على ألا يكون لولد جندب فيها شيء . . .
قال طى : ذلك لك .

ومضى عمرو بن الغوث فى طلب الجديسى ، فوجده يمتزق رطباً .

وأقبل الجديسى ومعه قوس شديد ، ونشاب حديد ، له اتصال عظام . وهى التى يقال لها ، الغفارية .

فقال : . . . : إن شئت صارعتك ، وإن شئت رميتك ، وإن شئت أبقيك .

قال عمرو : الصراع أحب إلى .

قال الجديسى : أرى معك قوساً .

قال عمرو : فاقى لا كسرهما الآن .

وكان قوس عمرو متى شاء جعلها ، ومتى شاء ردها فأهوى بها إلى سفح جبل ، فظن الجديسى أنه كسرهما .

فلما ركبها ثانية اعترض الجديسي بوجهه ، وقال : « من ير يوماً بربه » ،
فذهبت مثلاً

ورماه عمرو ، ففلت قلبه ، ومزق هامته ، وقد جسده نصفين .

فقال الأسود الجديسي — وهو يوجد بنفسه — : آه ... لقد جهلت قدرك
يا عمرو ، وجهلت أنك ابن طي الفارس المغوار .

قال له عمرو : خذها يا أسود ، حتى تفيق ، وحتى لا تجهل أقدار المغاوير
وتحسرت روح الأسود في حلقومه ، وجعل يقول : شرقى غربى ، طي ...
طي ... طي ... وظل يردد هذه الكلمات حتى مات ...

وانصرف عنه عمرو بن الغوث ، وأقام طي منذ ذلك الحين بالجلين ، وسمياً
« أجا . وسلي » فتنزوا بهما ، وأطماً نوا إليهما .. وصار قرار ولد طي الجلين ...

إنهم قوم مازن :

وهنا يأتي نسب طي بن أدد ، فلقد ولد طي بن أدد رجلين ، الغوث بن طي
هنا ، وفطرة بن طي ، فولد الغوث بن طي عمراً وأثوباً ، وولد لأثوب إسماع بن أوى
ابن الغوث ، وولد عمرو بن الغوث أسودان ، وإسمه نهبان ، وثلعل ، وخزم ،
ونولان ، وحنة ، وتناسلوا هنا وهناك ، وأكثروا ولاد طي تناسل من سعد
ابن فطرة ، ومن هذه الأرومة تفرقت أكثر قبائل طي ، فولد سعد بن فطرة
خارجة بن سعد ، وولد خارجة جندباً وضمره ، ومن ولد جندب بن خارجة
بنو جديلة ، وهم بنو جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طي ، وجديلة
هذه أهمهم جميعاً ... وهم بها يعرفون ...

ومن قبائل الغوث بن طي ، بنو نهبان بن عمرو بن الغوث ، ومن بطونهم ،
بنو هنى بن عمرو بن ثعل ، وبنو سنبس بن عمرو بن ثعل ، وبنو ببحر بن عنود

ابن عزيز بن سلامان بن نعل ، وبنو خطاف بن سعد بن نيهان ، وهم أيضاً
بسان ، منبت الأبطال ، ومصنع الأحرار من الرجال ، وموطن العرب الأشاوس
هذا ، وإن أخذنا طي كثيرة جداً ، غير أن جمهور النسب إلى الأب الأكبر ،
وهو طي بن أدد بن نيهان ، فن بن نيهان ، أسودان بن عمرو بن العوث بن
علي بن نائل بن نيهان ، ومنهم كذلك نائل زيد الخليل بن مهمل الطائي ، فارس
طي ، وصاحب غاراتها ، وهو فارس العرب كافة ، وكان يسكنه أبا مكنف ،
وأدرك الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ ، فسماه ذبيد الخير . وهو أحد من أكرمه
رسول الله ﷺ ، وبسط له رداه ودعا له ، ومات في رجوعه ..

ومن بني نيهان أيضاً ، حريث بن عتاب الشاعر ، ومنهم بنو خطامة بن سعد
ابن نيهان ، وهم بعمان ، ومنهم ، مازن بن عضوبة الصحابي الجليل ، أول من
حل الإسلام ، وبشر به عند قومه ، وهو من أهل سمايل .

وسمايل هذه مدينة بسلطنة عمان ، تقع على الجانب الأيمن واليسر من
وادي سمايل ، تتكون هذه المدينة من عناية سمايل ، وسفالة سمايل ، ويبلغ
طولها نحو ستة أميال تقريبا ، وأهم معالمها التاريخية ، حصنها الذي يقع على
الشاطئ الأيمن لوادي سمايل ، وهذه المدينة مشهورة بمزارع التخييل التي تروى
بالأفلاج . ولقد قدم مازن هذا على رسول الله ﷺ عند أول مشرق ، ومع أول
ضوء يشرقه الإسلام ، وتضيه به تعالىمه على أرض عمان ، وأسلم على يديه ، ودعا
له النبي ﷺ ولاهل عمان جميعا بالخير والبركة والنجاح والفلاح ..

وأيا من الأصحاب :

من الموثوق المحقق تاريخنا ، أن من الانتصار الذين أدركوا الإسلام ، ورووا
الحديث عن رسول الله ﷺ ، وجاهدوا معه بالأموال والأرواح ، واتبعوا
سبيل الصلاح كثير من الأزد العالقة الكرام السابقين دائما إلى الخير والبر ،

وتذكر منهم على سبيل المثال فقط : بنو معاوية يعرفون ببنى جديلة . وهي أهمهم ، بنت مالك بن حبيب بن عبد حورثة بن عهنب بن جشم بن الخزرج .

روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اقرأ أمي أبي » ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، مرتين . . . « اقرأ عليك القرآن » ، و « أعرض عليك القرآن » ،

ومنهم :

أبي بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك شهد مع أخيه أنس بن معاذ بدرأ وأحدآ ، وقتلا يوم بئر معاوية شهيدين ، رحمها الله تعالى . . .

ومنهم أبي بن عمارة الأنصاري .

ومنهم أسيد بن حضير بن سماك بن عبيد بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج .

ومنهم أسيد بن ثعلبة الأنصاري ، شهد بدرأ وشهد صفين مع علي بن أبي طالب .

ومنهم : أسيد بن يربوع بن البدر بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو ابن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي ، شهد أحدآ ، وقتل يوم اليمامة شهيدآ .

ومنهم : أسيد بن ساعدة بن عمرو بن جشم بن مجزعة بن حارثة بن الحارث الأنصاري ، شهد أحدآ ، هو وأخوه أبو خيشمة ، وهو عم سهل بن خيشمة .

ومنهم : أسيد بن طهر بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن بديل بن

حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الحارثي ، وكان أبوه من كبار الصحابة ، روى عنه ابن الأسود ، مولى بنى خطمة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« من أتى قباه فليصل فيها ... »

ومنهم : أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، شهيد بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيداً .
ومنهم : أنس بن قتادة الأنصاري ، ويقال له ، أنيس ، وكان من أفاضل الصحابة راعلم وأفهم ، وأقفه .

ومنهم : أنس بن أدريس بن عتيك بن عمرو الأنصاري الأشملي ، قتل يوم الخندق شهيداً ، رماه خالد بن الوليد — قبل اسلامه — بسهم ، فقتله .

ومنهم : أنس بن معاذ بن قيس بن عباد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك التاجر الأنصاري ، شهيد بدرأ ، واختلف في اسمه ، فأبى إسحق يقول : عبد الله بن معاذ إلى تمام نسبه ، وأنه قتل يوم بدر معاوية ، لأنه قتل فيه أوس ابن معاذ ، وقال عبد الله بن محمد : شهيد بدرأ والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة عثمان .

ومنهم : أنس بن مالك بن الضمر بن ضمضم بن زيد الأنصاري النجار ، خادم رسول الله ﷺ .

ومنهم : أنس بن مالك القشيري ، ومنهم : أنس بن ظهير الحارثي الأنصاري .

ومنهم أنس بن مالك الأصبحي ، كان بحرا في علم الشريعة والحديث النبوي ، ويقال ، إنه ولد له ثمانون ولدا ، منهم ثمانية وسبعون ذكورا ، والباقي إناثا ، لإحداهن تسمى حفصة ، والثانية تكنى أم عمرو .

ومنهم : أوس بن ثابت الأنصاري بن منذر بن حزام ، ومنهم ، أوس بن خولان ، بن عبسدة بن الحارث بن عبيد الله بن مالك ، ومنهم : أوس بن الصامت ابن قيس بن أحزم بن قيس بن ثعلبة بن غنم ، ومنهم أوس بن الأرقم بن زيد ابن قيس بن النعمان ، ومنهم أوس بن قنطري بن عمرو بن زيد بن جشم ، ومنهم أرس بن النافكة الأنصاري ، ومنهم إياس بن معاذ ، من بني عبد الأشهل .

هل أدلستم إلى خير ؟

وذكر ابن اسحق عن عبد الرحمن بن معاذ الأشهلي عن محمود بن لييد : أنه لما قدم أبو الجيش بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس ابن معاذ يلتمس الخلف من قريش على قومه من الخزرج سمع بهم رسول الله ﷺ ، فأناهم في عيس لهم ، فقال : « هل أدلستم إلى خير ما جئتم له ؟ » ... قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ . قال : « أنا رسول الله ، أمين الله على العباد ، أَدْعُوهم أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، ثم أنزل على القرآن .. »

ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وقال : « لا بأس ، هذا خير ما جئتم له .. » إلى تمام الحديث .

ومنهم : إياس بن زيد بن جشم ، قال ابن اسحق : هو رجل من اليمن ، حليف الأنصار ، شهد بدرًا واحدًا ، وقال ابن هشام : عدو بن إياس هذا هو أخو الربيع بن إياس ، وورقة بن إياس .

ومنهم : إياس بن ورقة الأنصاري النجاري ، ومنهم ، إياس بن عدى النجاري من بني عمرو بن مالك ، قتل يوم أحد شهيداً ، ومنهم ، أسعد بن يزيد الفاكه الأنصاري ، ومنهم ، أسعد بن يربوع الأنصاري الساعدي ، ومنهم أسعد بن رزان بن عدى بن عبيدان بن ثعلبة ، ومنهم ، أسعد بن سهيل بن حنيف الأنصاري

ومنهم ، أسعد بن زرارة ، ومنهم ، أسعد بن بجرة الانصارى ، ومنهم ، امرؤ
القيس بن عابس الكندى الشاعر ، له صحبة ، ورواية ، وشهد فتح البحير بأرض
اليمن ، ومنهم ، أمية بن مخشى الخزاعى ، ويكنى أبا عبد الله ، وله صحبة ، روى
عنه المثني بن عبد الرحمن ، وهو ابن أخيه ، وله حديث واحد فى الاكل .

ومنهم الأشعث بن أنس بن كريب بن معاوية ، ومنهم أربد بن حوير الانصارى ،
ومنهم ، أبيض بن جمال ، ومنهم أكرم بن الجرون ، ومنهم ، أحمد الحمدانى ،
ومنهم ، ابراه بن مالك ، ومنهم ابراه بن عازب بن حراث بن عدى ، ومنهم
بشر بن ابراه ، ومنهم بشير بن سعد بن ثعلبة بن مالك ، ومنهم بشير بن عمرو ،
ومنهم ، بشير بن عبد الله الانصارى ، ومنهم ، بشير الحارثى ، ومنهم ، بديل بن
ورقاء ، ومنهم ، تميم بن بشر ، ومنهم تميم الدارمى ، ومنهم ، تميم المازنى ،
ومنهم ، ثابت بن الجزع ، ومنهم ، ثابت بن هزال ، ومنهم ، ثابت بن عمرو ،
ومنهم ثابت بن خلفاء ، ومنهم ثابت بن صهيب ، ومنهم ثابت بن زيد ،
ومنهم ، ثابت بن قيس ، ومنهم ثابت بن ربيعة ، ومنهم ، ثابت بن عامر ،
ومنهم ، ثابت بن الضحاك ، ومنهم ، ثابت بن غنم بن عدى بن ثاقب بن عمرو
ابن غنم بن كعب بن سلمة الانصارى ، ومنهم ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد .

ومنهم ، جابر بن عبد الله بن النعمان ، ومنهم ، جابر بن خالد بن
مسعود بن عبد الأشهل ، ومنهم ، جابر بن صفينان ، ومنهم ، جابر بن عمير ،
ومنهم ، جابر بن ظالم بن حارثة بن عتاب بن أبى حارثة ، ومنهم ، جبير بن
إياس ، ومنهم جنادة بن صفينان الانصارى ، ومنهم ، جنادة بن مالك الازدى .

ومنهم ، حارثة بن النعمان ، ومنهم الحجاج بن عمرو بن عرثة بن ثعلبة بن
خفساء بن مبذول بن عمرو بن تميم بن مازن النجار .

والحجاج بن عمرو هذا هو الذي ضرب مروان يوم الذار ، فأسقطه ،
وحمله أبو حفص مولاه ، وهو لا يعقل .

ومنهم ، حاطب بن عمرو بن عتيك بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف
ابن عمرو بن عوف بن مالك بن نهارش ، شهد بدرأ ، ولم يذكره ابن إسحق
في البدريين ، ومنهم حازم بن حزم بن ملحان ، وإسم ملحان ، مالك بن
خالد بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن غنم بن مالك للتجار الانصارى ،
شهد بدرأ مع أخيه سليم بن ماجان ، وشهد أحدأ ، وقتل يوم بئر معوية مع
المنذر بن عمرو ، قتله عامر بن الطفيل .

بهذا أشار الحباب :

ومنهم الحباب بن المنذر بن حزام بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر
ابن غنم بن مالك ، وقيل : الحباب بن المنذر بن حزام بن زيد بن حزام بن
كعب بن غنم بن كعب بن سلة الانصارى الأسلمى ، وهو الأصح ، ويكنى
أبا عمر ، شهد بدرأ ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، هكذا قال الواقدي وغيره ،
وكلمه ذكره في البدريين إلا ابن إسحق ، وفي رواية سلمة عنه كان يقال له :
ذو الرأى ، وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ أن ينزل على ماء بدر
للقاء القوم .

قال ابن عباس : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ ، فقال :
الرأى ما أشار به الحباب .

وشهد أحدأ والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهو القاتل يوم
السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، وغذيقها المرجب ، منا أمير ، ومنكم أمير .

ومات الجباب في خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

ومنهم : حبش بن خالد بن منقذ بن ربيعة ، ومنهم من يقول : حبش ابن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة الخزاعي الكعبي ، أحد بني كعب ، ويكنى أبا صخر ، وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية ، واسمها عاتكة بنت خالد ، وأخوها خويلد بن خالد ، ومن نسبهم قالوا : بنو خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم بن حبش بن حزام بن حبشة بن عمرو ، وهو أبو خزاعة .

ومنهم ، حوشب بن طحية الحميري ، أسلم على عهد رسول الله ، ﷺ ، وقيل : أنه قدم على النبي ، ﷺ ، وانفق أهل الهملم بالسير والمعرفة بالحبر ، أن رسول الله ﷺ ، كتب إلى حوشب بن ذى ظلم الحميري هذا كتاباً ، وبعثه إليه مع جرير الجلي ، يتعاون هو وذو الكلاع ، وفيروز الديلمي ، ومن أطاعهم ، على قتل الأسود العنسي الكذاب .

وكان حوشب وذو الكلاع رئيسين في قومهما متبوعين ، وهما ومن كان قد تبعهما من اليمن قد تآما بحرب صفين مع معاوية ، وقتلوا جميعاً في المعركة .

ومنهم ، الحفثيس الكندي - ويقال فيه بالجيم ، والحاء ، والخاء - قدم على النبي ، ﷺ ، في وفد كندة ، وهو الذي نازع الأشعث في أرضه ، وترافعا إلى النبي ، ﷺ .

ومنهم خالد بن زيد بن أكلب بن ثعلبة بن أيوب الأنصاري التجارى من بنى غنم بن مالك بن التجار ، غلبت كنيته ، وأمه هند بنت سعد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر ، شهد العقبة وبدراً ، وسائر المشاهد ، وعليه نزل رسول الله ﷺ ،

حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة ،
وبنى مساكنه ، ثم انتقل ﷺ إليها فأخى بينه وبين همام بن عبد

و منهم خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك
الاعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري ،
ويعرفون ببنى الاعز ، شهد العقبة وبدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، ودفن هو
وسدد بن الربيع في قبر واحد ، وكان من كبار الصحابة ، صهر لابي بكر
الصديق ، رضى الله عنه ، حين آخى النبي ﷺ ، بين المهاجرين والأنصار ،
وابنه زيد بن خارجة هو الذي تكلم بعد الموت في روايات .

أغرانا على يوم بدر :

وذكر ، أن خارجة بن أبي زهير قد أخذته الرياح يوم أحد ، فجرح بضع عشرة
جرحاً ، فمر به صفوان بن أمية ، فعرفه ، فأجهز عليه ، ومثل به ، وقال : هذا
هو الذى أغرنا على يوم بدر ، يعنى ، أباه أمية بن خلف الجحى
والد صفوان يكنى أباً على ، وابنه على قتل معه يوم بدر .

ومنهم خارجة بن عقبان وحديثه عن والده ، أنه أتى رسول الله ﷺ ، لما مرض
فراه يعرق ، فسمع فاطمة تقول : وأكرب أبى ، فقال النبي ﷺ ، لا كرب
على أبيك بعد اليوم .

ومنهم خراش بن الصمة بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب
ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، شهد بدرأ ، وأحدأ ، وجرح أحد
عشر جرحاً ، وكان من الرماة المذكورين ، ومنهم خراش بن أمية بن الفضل
السكعي الخزاعي الذى شهد مع رسول الله ﷺ ، عام الحديبية ، وهو الذى
حلق شعر رسول الله ، ﷺ هناك في الحديبية .

روى عنه ابنه عبد الله بن خراش ، و توفي خراش في خلافة معاوية ، ومنهم رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الزرقى الانصارى الخزرجى ويكنى ابا مالك ، ويكنى ابا رفاعه أيضا ، وهو بدرى ، شهد العقبة الاولى والثانية ، وشهد بدرها فيما ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ولم يذكره ابن اسحق في الثانية وذكر فيهم رفاعه بن رافع ، وخلاد بن رافع ولديه إلا أنهما ليسا بعقبين .

أحد السنة .. والاثني عشر .. والسبعين :

قال أحمد بن زهير ، سمعت سعد بن عبد الحميد بن جعفر يقول : رافع بن مالك أحد الستة النقباء ، وأحد الإثني عشر ، وأحد السبعين قتل يوم أحد شهيدا .

وقال الواقدي : رافع بن مالك يكنى ابا مالك ، قال ابن هجر ، الستة النقباء كلهم قتلوا ، ومنهم رافع بن الحارث بن سواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، هكذا قال الواقدي ، وقال ابن عمار ، هو الأسود بن زيد بن ثعلبة ، شهد رافع ابن الحارث هذا بدرها واحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ، ﷺ ، وهو ابن عم رافع بن جريج بن جشم الانصارى الحارثى الخارجى . وتوفى في خلافة عثمان بن عفان .

ومنهم رافع بن جريج بن رافع بن عدى بن زيد بن عمرو بن يزيد بن جشم ، ويكنى ابا عبد الله ، وقيل ، ابا خديج ، روى عن ابن عمرو ، وأم رافع حليلة بنت مسعود بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة الانصارى . وهو ابن أخ ظهير ومظهر بن رافع بن عدى ، ورافع بن جريج هذا هو الذى رده رسول الله ، ﷺ ، يوم بدر ، لانه استصغره ، وأجازه يوم أحد ، فشهدا ، وشهد الخندق ، وأكثر المشاهد كلها ، وأصابه سهم يوم أحد ، فقال له رسول الله ، ﷺ : أنا أشهد لك يوم القيامة . وانتفضت جراحاته في زمن عبد الملك

ابن مروان ، فمات ، سنة أربع وسبعين ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، وقال الواقدي مات في أول سنة أربع وسبعين .

قال أبو عمر ، روى عنه بن محمود وابن عمر بن لبيد ، والسائب بن زيد ، وأسيد بن ضمير ، وروى عنه من التابعين دون هؤلاء مجاهد وعطاء والشعبي ، وابن عباد بن رفاع بن رافع ، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب .

ومنهم رفاع بن عمرو بن يزيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج الأنصاري السلمي ، شهد بيعة العقبة ، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد ، ويكنى ، أبا الوليد .

ومنهم رفاع بن رافع بن مالك العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري ، الزرقى ، أمه أم مالك بنت أبي بن سلول ، ويكنى أبا معاذ ، شهد بدرًا ، واحدا ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، ومعه أخوه مالك بن رافع ، وشهد رفاع بن رافع مع علي بن أبي طالب يوم الجمل وصفين ، وتوفي في أول إمارة معاوية .

ومنهم رفاع بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف ، أبو لبابة الأنصاري ، من بني عمرو بن عوف ابن مالك الأوسى ، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد ، وهو مشهور بكنيته ، ومنهم رفاع بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الطغرى روى عن قتادة بن النعمان ، وهو الذي سرق سلاحه وطعامه بنو أبيه ، فتنازعوا إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت في بني

أبيه : ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم إن الله لا يحب من كان
خوانا أئيبا .

ومنهم رفاعة بن مبشر الحارثي الأنصاري المعمرى ، شهد أحدا مع أبيه
مبشر ، ومنهم ربيع بن إياس بن عمر بن غنم بن أمية بن لوذان الأنصاري
شهد أحدا ، ومنهم زيد بن حارثة الأنصاري المعمرى ، وكان ممن استصغر على
الجهاد يوم أحد ، وهو من بنى عمرو بن عوف ، وكان زيد بن حارثة وأبوسعيد
الخدري ، والبراه بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وسعد بن عتبة ممن استصغروا
يوم أحد .

عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : حدثني زيد بن حارثة ، قال : قلت :
يا رسول الله ، قد علمنا كيف تسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟

قال : « صنوا على وقولوا ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . »

وفت أذنك يا غلام :

ومنهم زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأعرابي بن نعلبة
الأنصاري الخزرجي من بني الحارث بن الخزرج ، واختلف في كنيته اختلافا
كثيرا .

قال الواقدي والهيثمي بن عدي ، وروينا عنه من وجوه : أنه غزا مع رسول

الله ، ﷺ ، تسع عشرة غزوة ، وهو يعد في الكوفيين ، وكانت وفاته سنة مئمان وستين ، وزيد بن أرقم هذا هو الذى رفع رسول الله ، ﷺ ، عن عبد الله بن سلول قوله : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ، فكذبه عبد الله بن أبى ، فأنزل الله تصديق زيد بن الأرقم . فتبارر أبو بكر وعمر إلى زيد ، يبشرانه ، فسبقت أبو بكر . فأقسم عمر لا يبادره بشئ بعدها .

وجاء النبى ﷺ ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « وفيت أذنك يا غلام ، من تفسير ابن جريج ، ومن تفسير الحسن ، ومن رواية معمر وغيره ، قيل : وكان ذلك في غزوة بنى المصطلق ، وقيل في تبوك... وشهد زيد بن أرقم مع على بن أبى طالب صفين ، وهو معدود في خاصة الصحابة .

ومنهم زيد بن حارثة ، روى عن زيد بن أرقم ، وجماعة ، منهم أبو إسحق السبيعي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبو حمزة مولى الأنصار . ومنهم زيد بن مربع الأنصارى من بنى حارثة قال يزيد بن شيان : أتانا ابن مربع في الحج ، فقال : أتاني رسول الله ، ﷺ ، فقال : « فقال به كونه على مشاعركم ، فأنسكم على إرث من إرث إبراهيم ، عليه السلام .

قتله وحشى أيضا :

ومنهم الطفيل بن مالك بن النعمان بن خلفاء ، وقيل : الطفيل بن النعمان ابن خلفاء الأنصارى السلمى من بنى سلمية ، شهد العقبة وبدرا وأحدا ، وجرح واحدا وثلاثين جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق ، وقتل شهيداً ، قتله وحشون حرب ، وذكره موسى بن عقبة في البديريز ، وسميه رجل يسمى الطفيل ، فإتته أعلم ، أيهما استشهد ؟

ومنهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب عمر بن كعب
ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن كعب بن محمد بن أسد بن سوادة بن يزيد بن
جشم بن الحزرج الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه ليلى بنت زيد
ابن ثعلبة من بني سلمة ، شهد العقبة الثانية ، واختلف في شهوده بدرأ .

ومنهم كعب بن عمر بن عباد بن عمرو بن سوادة الأنصاري السلمي ، من
بني سلمة ، وهو مشهور بكنيته ، شهد العقبة وبدرأ ، وهو ابن عشرين سنة .
ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين .

ومنهم كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن النجار
الأنصاري ، شهد بدرأ ، وقتل يوم الخندق شهيداً ، قتله ضرار بن الخطاب في
قول الواقدي ، وقال ابن إسحق : أصابه سهم غرب نصله :

ومنهم محمد بن سلمة الأنصاري الحارثي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ويقال ،
بل يكنى أبا عبد الله ، وهو محمد بن سلمة بن خالد بن مجدعة بن حارثة .
ابن الحارث بن الحزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، حليف بني عبد الأشهل ،
شهد بدرأ والمشاهد كلها ، ومات بالمدينة ، ولم يستوطن غيرها .

ومنهم محمد بن صيفي الأنصاري ، لم يرو له غير الشعبي حديثه في يوم
عاشوراء ، وليس له غيره ، ومنهم محمد بن أنس بن فضالة الطخري الأنصاري ،
روى عن ابنه يونس بن محمد ، لما قدم على النبي ﷺ بالمدينة : وقال ، وأنا ابن
أسبوعين ، فأنى بنى إلى النبي ﷺ فسح على رأسي ، وقال : سموه باسمي ،
ولا تكنوه بكنيتي .

ومنهم محمد بن أمي بن كعب الأنصاري ، ولد على عهد رسول الله ، ﷺ ،
ويكنى أبا معاذ ، روايته عن أبيه ، وعن عمر ، روى عنه بشير بن سعيد
الحضرمي ، وقتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين ، هذا ما رواه الواقدي .

ومنهم محمد بن عمر بن حزم الأنصاري ، ولد في سنة عشر من الهجرة
بنجران ، وأبوه عامل رسول الله ﷺ ، وقيل ، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ ،
بستين ، سماه أبوه محمداً ، وكناه ، أبا سليمان ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ،
فكتب له رسول الله ، ﷺ ، سمه محمداً ، وكنه عبد الله ، وكان محمد بن
عمر بن حزم فقيهاً ، وروى عنه جماعة من أهل المدينة ، وروى عن أبيه ،
وغيره من الصحابة أنه قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، ويقال ، إنه
قتل يوم الحرة مع محمد بن عمر بن حزم ثلاثة عشر رجلاً من أهل
بيته .

ومنهم معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمر بن أدي
ابن سعد بن علي بن راشد بن ساورة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وإنما أدعته
بنو سلمة ، لانه كان أختاً سهل بن محمد بن الحدين بن قيس لأمه .

ذكر الزبير عن الأثرم عن ابن الكلبي عن أبيه قال : رهن معاذ بن جبل
هم بنو عدى ، وسعد أخو سلمة بن سعد الخزرجي ، قال : ولم يبق من بني
عدى أحد ، وكان آخر من بقى منهم معاذ بن جبل ، ومات بالشام في
الطاعون .

ومنهم مرة بن الحباب بن عدى بن العجلان البلوي الأنصاري المزني ، حليف
بني عمرو بن عوف .

شيطان أم ابن قرط ؟

ومنهم مسلم بن عبد الله الأزدي ، روى عن النبي ﷺ في تغيير اسم عبد الله

ابن قرط قال : جاء عبد الله بن قرط الأزدي إلى النبي ، ﷺ ، فقال : « ما اسمك ؟
قال : شيطان ، قال : « بل أنت عبد الله بن قرط ، روى عنه بكر بن زرعسة
الحولافى .

ومنهم محمود بن الربيع بن سرافة الخزرجى الأنصارى ، من بنى عبد
الاشهل ، وقيل : إنه من بنى الحارث بن الخزرج ، وقيل : إنه من بنى عبد الأشهل ،
وقيل : إنه من بنى سالم بن عرف ، ويكنى أبا نعيم ، وقيل : يكنى أبا محمد ،
معدود فى أهل المدينة .

ومنهم محمد بن لييد بن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصارى الأشهل
ابن عبد الأشهل ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وقد حدث عن رسول الله
ﷺ أحاديث منها ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الله عبدا حماه عن الدنيا
كما يحمى أحدكم سقيمته ، .

ومنهم محرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن النجار الأنصارى
شهد بدرًا واحداً . .

ومنهم منقذ بن عمرو المازنى الأنصارى . له صحبة ، وهو جد محمد بن يحيى بن
حيان ، وكان قد أصابته ضربة فى رأسه ، فولقت لسانه .

ومنهم معوذ بن عمرو الجوح بن زيد بن خزيم الأنصارى السلمى ، شهد
بدرًا مع أخيه معاذ ، هكذا قال موسى بن عقبة ، وأبو معشر ، والواقدي ، ولم
يذكره ابن إسحق ، وأكثر الروايات عنه أنه ، شهد بدرًا واحداً .

ومنهم معن بن عدى بن الجلد بن عجلان بن ضبيعة البلوى من بنى الحلاف
ابن قضاء ، حليف بنى عمرو بن عوف الأنصارى ، والجد يعنى أبا عدى ،
شهد العقبة وبدرا واحدا والخندق وسائر مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقتل شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، يوم اليمامة ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب .

ومنهم مسعود بن معد بن قيس بن خالد بن عامر بن رزيق الأنصارى الزرق
شهد بدرا واحدا ، وقتل يوم بئر معاوية شهيدا .

ومنهم مسعود بن زيد بن سنان بن عدى بن كعب بن غم بن كعب أبو
سلة الأنصارى شهد العقبة ، ولم يشهد بدرا .

ومنهم مسعود بن عدى بن حرمة اللخمي ، ويذكرهم أهل وولده أن له صحبة ،
روى الحديث عن جماعة من ولده ، ومنهم مسعود بن الحكيم بن الربيع بن عامر
ابن خالد بن عامر بن رزيق الأنصارى الزرقى ، أمه حبيبة بنت شريف بن أبى
خيصة من هذيل ، ويكنى أبا هرون ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ، ويعد فى جملة التابعين وكبارهم ، ومنهم مغيث بن عبيد بن إياس البلوى
حليف الأنصار ، قتل يوم الرجيع شهيدا ، وهو أخو عبد الله بن طارق من الأم ،
هكذا قال فيه عبد الله بن محمد ، وعمارة .

النعامة :

ومنهم النعمان بن قوقل ، ويقال النعمان بن ثعلبة ، وثعلبة يدعى قوقلا ،

ويقال ، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن عدى بن ثعلبة بن فهر بن غنيم بن الخزرج
قتل شهيداً يوم أحد .

ومنهم النعمان بن مالك بن ثعلبة بن وعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف
ابن الخزرج ، وثعلبة بن وعد هو الذى يقال له قوقلا، وكان له عز ، وكان يقال
للخائف قوقل حيث شئت . فأنت آمن ، ، فقيل لبني غنم ولبني سالم لذلك قوقلة ،
وقتل يوم أحد شهيداً ، قتله صفوان بن أبي أمية في قول محمد بن عمرو ،

ومنهم النعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بن بهر بن ثعابة بن غنم
لم يشهد بدرأ .

ومنهم النعمان بن الحدان الزرقى الانصارى ، وهو الذى خلف على خولة
بنت قيس الانصارى بعد قتل حمزة بن عبد المطلب عنها ، وكان النعمان بن
الحدان لسان الانصار ، وشاعرهم .

قال أبو الأسود ، ولد ابن الزبير على رأس عشرين شهرا من مهاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهرا ، في ربيع الآخر ،
وهو أول مولود من ولد الانصار بعد الهجرة ، يكنى أبا عبد الله .

وكان النعمان كريماً جواداً ، عالماً ، شاعراً .

ومنهم عبد الله بن عبد الرحمن الانصارى الاشلمى ، له صحبة ورواية حديثه
عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في بنى عبد الاشلم .

روى عنه إساعيل بن أبي حبيبة ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار .

ومنهم عبد الله بن عدى الأنصارى ، روى عبد الله بن عدى بن الحيار عن عبد الله بن عدى الأنصارى ، وتابعه جماعة من أصحابه ، فقالوا ، إنه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل يستأذنه في قتل رجل من المنافقين . فقال : ،
« أليس يشهد أن لا إله إلا الله ، ؟ الحديث .

أفلحت الوجوه :

ومنهم عبد الله بن عتيك الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، وهو الذى قتل أبا رافع بن أبي الحقيق اليهودى بيده ، وكان فى بصره شوء ، فنزل تلك الليلة عن درك غرفة أوى رافع بعد قتله إياه ، فوثبت رجله ، فاحتمله أصحابه حيناً ، فلما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسح رجله ، قال : كأن لم أشكها قط .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له وللذين توجوهو معه فى قتل ابن أبي الحقيق - إذ رآهم مقبلين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر مخضباً :-
« أفلحت الوجوه ، .

واستشهد عبد الله بن عتيك يوم اليمامة ، وقيل ، إنه وأخاه شهدا بدرأ ، ولم يختلف أحد فى أن عبد الله شهد أحدا .

ومنهم عبد الله بن غرطقة بن عدى بن أمية بن حدارة بن عوف بن الخزرج الأنصارى ، شهد بدرأ ، وكان ممن هاجر مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، وهو حليف لبنى الحارث بن الخزرج ،... ومنهم عبد الله بن قيس بن صخر بن خزيم بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى ، شهد بدرأ ، هو وأخوه معهد بن قيس .

وممنهم عبد الله بن قيس الخزاعي ، وقيل الأسلمي ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه ابتاع من رجل من بني غفار سهمه ،

وممنهم عبد الله بن قيطي بن قيس بن لودان بن ثعلبة بن عدى بن محدجة ابن حارثة الانصاري ، شهد أحداً ، وقتل يوم جسر العبيد ، فشنخ مع إخوته عقبة وعباد شهيداً .

أكنمها على :

وممنهم عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الانصاري من بني عمرو بن عوف وهو الذي قال للجلال - وكان على أمية - : إن كان ما يقول به محمد حقاً فحن أشر من الحير ، وقال الجلاس ، اكنمها على ، قال ، لا والله ، ونماها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولم يكنمها . فدعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الجلاس ، فعرفه بما قال عمير ؛ فحلف له الجلاس ما قال ، فنزلت : « يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر ، ... إلى قوله تع - إلى : « فان يتوبوا يك خيراً لهم ، قال الجلاس : أتوب إلى الله .

قال عروة بن الزبير ، فما زال عمير منها في علياء بعد هذا .

وممنهم عمير بن عمرو الانصاري الأزدي ولم يرو عنه غير ابنه أبي بكر بن عمير حديثه صحيح الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي مائة ألف ، .. الحديث .

وممنهم عمير بن حبيب بن حماسة ، ويقال ابن حباشة الانصاري الخطمي ويقال إنه من بايع تحت الشجرة .

وكان عمير هذا أعمى ، وكانت له أخت تشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلها عمير هذا فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : «أبعدها الله ، » .

ومنهم عمير بن عمر الأنصاري ، ويقال الأزدي الأنصاري ، حديثه عن وكيع عن سعيد بن سعيد الثعلبي عن سعيد بن عمير الأنصاري عن أبيه ؛ وكان بديراً ، يعد في السكوفيين .

ومنهم عمير بن عمرو الأنصاري ، والد سعيد بن عمير الأنصاري .

ومنهم عمرو بن عمرو بن غربة بن ثعلبة بن خنساء بن مبدول بن عمر ابن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري المازني ، شهد العقبة ، ثم شهد بدرأ ، وهو والد الحجاج بن عمرو بن غربة ، وإخوته الحارث وعبد الرحمن وزيد وسعيد ، وله صحبة ، واختلف في صحبة الحجاج ، ولم تصح لغيره من ولده ،

ومنهم عمرو بن أحيحة بن الحلاج الأنصاري ، وذكروه ابن أبي فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة .

ومنهم عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن صنان بن كعب بن غنم بن سواد الأنصاري السلمى ، شهد بدرأ ، في قول أكثرهم ، ولم يذكره موسى بن عقبة .

ومنهم عمرو بن معاذ بن إلياس الأنصاري من بني عبد الأشهل ، شهد مع أخيه سعد بن معاذ بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيداً ، لا عقب له ، قتله ضرار بن الخطاب ، وكان يوم قتل ابن اثنتين وثلاثين سنة .

ومنهم عمرو بن غنمة بن عدى بن داي من بني سلمة الأنصاري السلمي الخزرجي، شهد بيعة العقبة مع أخيه ثعلبة بن غنمة، وهو أحد البكائين الذين نزلت فيهم الآية: «ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع». .

ومنهم عمرو بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار، قتل يوم أحد شهيداً، ويكنى أبا حمام.

ومنهم عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم الأنصاري التجاري، شهد بدرًا.

ومنهم عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار بن حكيم شهد بدرًا وأحدًا.

ومنهم عمرو بن مطروق، أو مطرق، بن علقمة بن عمرو الأنصاري، قتل يوم أحد شهيداً.. .

اللهم اكسه جمالا:

ومنهم قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وكعب هو طفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الطفري الأنصاري، يكنى أبا عمرو وقيل، يكنى أبا عبد الله، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وأصيب عينه يوم بدر، وقيل يوم الخندق، وقيل يوم أحد، فسالت حدقته فأرادوا خلعه، ثم أقروا النبي صلى الله عليه وسلم، فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها، ثم غرها براحتة وقال: «اللهم، اكسه جمالا، فات، وإنها لأحسن عينيه، أصيب يوم أحد.

ومنهم قبيصة بن ذؤيب الخزاعي بن جلجة بن عمرو بن كلب بن أحزم ،
روى عنه أبو هريرة وأبو الدرداء وزيد بن ثابت ، وجماعة من الصحابة ،
وروى عنه الزهري ورجاء بن حيوة ، ومكحول ، وكان ابن شهاب إذا ذكر
قبيصة بن ذؤيب قال : كان من علماء هذه الأمة ، وتوفي سنة ست وثمانين وله ست
وثمانون سنة .

ومنهم قيطى بن قيس بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن مجدعة بن حارثة الانصارى
الخزرجى ، شهد أحدا فى قول الواقدي عن سعيد بن سعيد بن الحارث الخزرجى
قال ، حدث سعيد بن نصر قال ، حدثنا قاسم بن إصبع قال ، حدثنا ابن وضاح
قال ، حدثنا ابن شذبة قال ، حدثنا ابن الحسن موسى أبو الليث عن عقيل عن
ابن شهاب ، عن عروة عن الزبير عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، أردفه وراه ليعود سعد بن عباد ، وسعيد بن الحارث قبل
وقعة بدر .

ومنهم سعيد بن التثيب الأزدي حليف أمية ، وقتل يوم أحد ، شهيدا .

ومنهم سعيد بن عران الهمداني ، كان كاتباً لعلى بن أبى طالب ، أدركه
حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أوطارا جميلة ، وروى عن أبى بكر ، وروى
عن عامر بن سعد .

ومنهم سعيد بن معاذ بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن
الحارث بن الخزرج ، وأمه كئيصة بنت رافع ، له صحبة ، أسلم بالمدينة بين

العقبة الاولى والثانية على يد مصعب بن عمير ، وشهد أحدا والخندق ، ورمى يوم الخندق بسهم ، فعاش شهرا ثم تحرك جرحه ، فمات منه .

ومنهم السعود الثمانية :

ومنهم سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الانصاري ، وهو والدسبل بن سعد .

ذكر الراقدي عن أبي بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال ، عزم سعيد ابن مالك على أن يخرج إلى بدر ، فمات ، فوضع قبره عند دار بني قارة . فغضب له رسول الله ﷺ ، بسهمه وأجره .

ومنهم سعد بن عبادة بن رديم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري الساعدي .

ومنهم سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، أبو عمير ، ويقال أبو زيد ، شهد بدر ، وقتل بالقادسية شهيدا ، وذلك سنة خمس عشرة ، وهو ابن أربع وستين سنة يومئذ .

ومنهم سعد بن يزيد الفاكه بن خلدة بن عامر بن زريق الانصاري الزرقى ، شهد بدرأ .

ومنهم سعد الطغرى الانصاري من طغر ، روى عنه عبد الرحمن بن حرملة عن النبي ﷺ ، أنه نهى عن الكنى القبيحة .

ومنهم سعد بن زيد الانصاري من بني عمرو بن عوف ، ولد عنى عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، ودوى عن عمر ، وتوفى في آخر ولاية عبد الملك بن مروان .

ومنهم سعد بن جمار بن مالك الأنصارى ، وهو أخو كعب بن جمار ، حليف بنى ساعدة من الأنصار ، قتل يوم اليمامة شهيدا ، وكان قد شهد أحدا ، وما بعدها من المشاهد .

ومنهم سليمان بن صرد بن الجوان الخزاعى سكن الكوفة وكان له شرف في قومه .

وكان فيمن كتب إلى الحسين بن على للقدوم إلى الكوفة ، فلما قدمها ترك القتال معه ، فلما قتل الحسين قدم هو والمسيب بن نجية الفزارى وجميع من خذلوه ولم يقاتلوا معه ، ثم قالوا ، ما لنا من توبة فيما فعلناه إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه .

فخرجوا فعسكروا بالبخيلة في مستهل ربيع الآخر سنة خمسة وستين وولوا أمرهم سليمان بن صرد ، وسموه أمير التوابين ، ثم ساروا إلى عبيد الله بن زياد ، فلقوا مقدمته في أربعة آلاف ، عليها شر حليل بن ذى الكلاع ، فاقبلوا ، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجية بموضع يقال له ، عين الوردية ، وقيل ، إنهم خرجوا إلى الشام في طلب دم الحسين ، فسموا التوابين ، فكانوا أربعة آلاف ، فقتل سليمان بن صرد ، رماه يزيد بن الحسين بن نمير بهم ، وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجية -ة إلى مروان بن الحكم ، وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وسبعين سنة .

أخبر سعيد بن أصرم قال ، حدثنا قاسم بن أصبغ بن وضاح قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال ، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن سليمان بن صرد ، أن رجلين تلاحيا ، فاشتد غضب أحدهما . فقال

النبي ﷺ: (إن لأعرف كلمة لو قالها سكن غضبه، هي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم،
ومنهم سفيان بن بشر بن زيد بن الحارث الأنصاري الخرجي من بني جشم
ابن الحارث بن الخزرج، شهد بدرًا، واحداً .

ومنهم سفيان بن حاطب بن أمية بن رافع بن سديد بن حزام بن الهيثم بن
طغر الأنصاري الطغري، شهد مع رسول الله ﷺ، أحداً، وقتل يوم بدر معاوية
شهيداً. هذا وغيرهم كثير وكثير جداً رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة

وصحابيات فاضلات :

كذلك كان للساءم الأزد — كما كان لرجالهم — فضل الصحبة، وميزة السبق إلى
الإسلام، وملاقة النبي والتحدث إليه، صلوات الله وسلامه عليه.. وهذا
بعض قليل من الصحابيات الراويات أكثرهن للحديث، المجانبات للدلس
والخبيث، والآهلات بالمدينة، المشتهرات بالتواضع والسكينة، ومنهن — على
سبيل المثال فقط أيضاً —:

أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل، وقيل، هي أسماء بنت النعمان
ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن النعمان بن كندة .

واقعد ذكر بعض المؤرخين أن رسول الله ﷺ تزوجها، واختلفوا في
قصة فراقه لها، فقال بعضهم: أنها لما دخلت عليه دعاها، فقالت، تعال أنت،
إن رأيت أن تنجي.. هذا قول قتادة وأبي عبيدة، وزعم بعضهم أنها قالت:
أعوذ بالله منك، فقال: دعني بماذا، وقد أعاذك الله مني، فطلقها .

وقال قتادة، إن هذه المرأة كانت جميلة الصورة، فخاف نساؤه أن تغلبن على

النبي ، ﷺ فقلن لها: إن رسول الله يعجبه أن تقولى له : أعوذ بالله منك ، فقال :
ﷺ ... لما قالت ذلك - : عدت ، عاذ ، فطلقها ، ثم سرحها إلى قومها .

قال ولا شك ، إن هذا الكلام غير مطابق للصواب ، ولا يلتفت إليه
أولوا الأبواب ، حاشا لزوجات النبي ، ﷺ ، أن يقان لها ، قولى لرسول الله ،
ﷺ إذا دعاك ، أعوذ بالله منك .

وقال عبد الله بن عقيل : وتزوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، امرأة من
كندة ، وهى الشقيقة ، سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يردها إلى قومها
وأن يفارقها ، ففعل ، وردها مع رجل من الأنصار ، يقال له ، عبد الله بن أسد
الساعدى .

ومنهن : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نايى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب
ابن سلمة ، أم منيع الأنصارية من المبايعات ببيعة العقبة .

ومنهن : أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأشهلية ، وهى من المبايعات ،
وهى ابنة عم معاذ بن جبل وتسكنى أم سلمة ، وقيل أم عامر . كانت من ذوات
العقل ، واثى روى عنها ، أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
يا رسول الله ، إن من ورائى جماعة من نساء المؤمنين ، كهن يقانلى قولى
للنبي: إن الله بعثك للرجال والنساء ، فأمننا بك وصدقناك ، ونحن معاشر النساء
المقصورات المخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات
أولادهم ، وإن الرجال فضلوا عنا بالجمعات والجماعات ، وشهود الجنائز ، والجهاد ،
وإذا خرجوا للجهاد حفظنا أموالهم ، وربنا أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر
يا رسول الله ؟

فلما قالت ذلك لرسول الله التفت صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة ، وقال :
« هل سمعتم مقال امرأة أحسن سؤالاً عن دينها منه ، ؟ قالوا : لا يا رسول الله ،
فقال صلى الله عليه وسلم : « أبشرى يا أسماء ، وأعلى من وراءك من النساء ،
أن أحسن التعبد طاعة إحداهن لزوجها وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ،
وهذا يعدل كل ما ذكرت عن الرجال ، فانصرفت أسماء وهي تهمل وتكبر
استبشاراً » قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عنها محمود بن محمد ، وشهد بن حوشب وإسحق بن راشد وغيرهم
هذا الحديث .

ومنهن أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية ، زوج خالد بن سعيد ،
ويقال لها ، هيمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية .

ومنهن أميمة بنت النجار الأنصارية ، حديثها عن ابن جريج عن حكيمة
بنت أبي حكيم عن أمها أميمة ، أن أزواج النبي ﷺ كانت لهن عصائب ، فيها الورد
والزعفران ، فيغطين بها أسافل رؤوسهن قبل أن يمحن ثم يمحن .

ومنهن جميلة بنت سعد بن الربيع الأنصاري ، أدركت النبي ﷺ ، وروت عنه
وروى عنها ثابت بن عبيد الأنصاري ، أن أباهما وعمها قتلوا يوم أحد ، فدفنوا في
قبر واحد .

ومنهن جرة بنت قحافة السكندرية ، روت عن النبي ﷺ وروى عنها شبيب بن
عذرة ، وروت عنها ابنتها أم كلثوم ، إن صح حديثها ذلك ، لأنه مما لا يعبأ
بإسناده .

ومنهن خنساء بنت حزام بن وداعة الانصارية من الارس ، أنكحها أبوها وهي كارهة ، فرد رسول الله ﷺ نكاحه ، واختلفت الأحاديث في حالها في ذلك الوقت ، فعلى ما نقل مالك بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن يزيد بن وداعة عن خنساء أم حزام ، أنها كانت يومئذ بكرا ، والصحيح ما نقل مالك .

شاعرة العرب :

ومنهن الخنساء بنت عمرو بن شريد الشاعرة السلية ، وأبوها عمرو بن شريد بن رباح ابن ثعلبة بن حذافة بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم ، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال لها - وكانت نشده - : «هيه يا خنساء» ، ويؤمى بيده ، ﷺ ، وكانت الخنساء تقول في أول أمرها البيت والبيتين والثلاثة ، حتى قتل أخوها معاوية بن عمرو . وهو أخوها لأبها وأمها . قتله هاشم ومرشد .. أما صخر فكان أخوها لأبها . وكان أحبها إليها ، لأنه كان حكيما جوادا ، محبوبا في العشيرة ، وكان قد غزا بني أسد ، وأصابه أبو ثور الأسد بطعنة ففرض بها قريبا من حول ، ثم مات .

ولما قتل صخر أكثر الخنساء من أشعارها ، وأجادت من قولها في صخر

هذا . فن قولها :

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الأسدى؟

ألا تبكيان الحموى الجميلا ألا تبكيان الفتى السيدا؟

طويل العماد عظيم الرفا د قد ساد عش - يره أمردا

ومن قولها فيه أيضاً :

أشم ، أبلج ، تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وفي رواية:

وإن صخرًا لحامينا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشئتوا لنحار
وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها، وقالوا اسم الحفصاء: تماضر، وذكر الزبير بن بكار بن محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن عن عبد الله عن أبيه قال: حضرت الحنساء حرب القادسية، ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من أول النهار: إنكم أسلتم طائعين، وهاجرتم محتارين، ووالله الذي لا إله غيره، إنكم لبنو رجل واحد، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا، اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون. فإن أصبحت غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وباللَّه على عدوه مستبصرين، فإن رأيتم الحبيب قد شمرت عن ساقها، واضطربت لظاعن ساقها، وأورت نارًا على أوراقها، فتميموا وطيسها عند احترام خميسها تظفروا بالغم والكرامة في دار الخلد والاقامة... هيا بنى إلى حرب عدو الله فخرج بنوها قابلين لنصحتها، عازمين على انجاز قولها.

ولما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم، وأنشأ أولهم يقول شعرا:
يا إخوتى إن العجوز الناصحة قد نصحتنا ودعتنا الباسرحة

مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الضافحة
من آل ساسان كلابا نائمة قد أيقنوا منكوا بوقع الجائحة

أو مينة تورث غنما سالحة

وتقدم، فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم حمل الثالث وكر على العدو، وهو يقول :

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأقوم والرأى السد
قد أمرتا لسداد ورشد نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد إما لفوز بارد على الكبد
أو مينة تورثكم غنم الأبد فيجنة الفردوس والعيس الرغد

فقاتل حتى استشهد، ثم حمل الثالث، وهو يقول :

والله لأعصى العجوز حرفا قد أقرأتنا حربا وعظفا
نصحا وبراً صدقا ولطفنا فبادروا الحرب الضروس خفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا أو تكشفوا مواعن حماكروا كشفنا
إنا نرى التقصير منكواضعفا والقتل فيكموا مجدة وعرفنا

فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم حمل الرابع، وهو يقول : في حماس منقطع النظير

لسدت لحفساء ولا لحزم ولا لعمر وذى السنان الأفرم
إن لم أرى في الجيش جيش الأقدم ما حن على الهول خصم خضرم
إمالفة وز عاجل ومغتم أو لفوات في السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد، فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شر فنى بقتلهم، وأرجو

من ربى أن يجمعنى بهم في دار الرحمة، ومستقر السرور .

وكان عمر بن الخطاب، رحمه الله ورضي عنه، يدعى الحنساء أرزاق أولادها

لكل واحد منهم مائتا درهم، حتى قبض، رحمه الله عليه .

فلو كان النساء كمثل هذى :

من نلائل من كثر ، وقليلا من كثيرات في عمان — وعلى الصعيـد الإسلامي — من رفعت قدر الحياة ، وأفهمت العالم كله ، إن العبقريه ، والنبوغ ، وشتى أرومات المجد والاصالة وأمهات النسب في ميادين العلم ، والمعرفة ، والدين لا تفرق بين الرجل والمرأة ، والذكر والأنثى ، بل ان من النساء من أفسح لهن التاريخ أوسع أبوابه ، واحتقق بهن - فاضلات عالمات صحابيات — في ضيافته وفوق ساحته ، وتحت قبابه ... في كل فنون الحضارة والمجاهدة ، وكل شؤون المهارة والسيادة ، كهؤلاء اللاتي ذكرت نفرا منهن ، وامستعرضت جزيتنا من جزء من كلهن ، وما أكثرهن في باب الإجمال ، والسكيات ، والعموم ، اللواتي ولدن الرجال ، وقرنن الأبطال ، وصنعن المحال ، وكن في أعلى قمة ، وعلى أروع مثال ...

ولا شك ان للإسلام أثره في تنشئة هؤلاء الأنفصليات ، وأخذهن بالأسلوب الصحيح الراقى المهنذب في التربية والثقيف ، وحنن التعامل ، وصدق المناهج في تعاطي هذه الحياة ، فلم ينفاتن عن قبضته ، ولم يهرين من ساحته ، ولم يتطفئن مع الهوى والجنوح ، سادرات غويات ، مع أهوائه ولجاجه ، وفوق ظهور مياهاه وأمواجه .

إنهن اللواتي هذبهن الإسلام ، وأطعن من آفاقه ، وباشرن صبيات ، وفتيات ، وزوجات ، وأمهات . وجدلن صانعات الأجيال ، ومنجيات الأبطال ، وأمهات الرجال ، فالمرأة التي تهز المهدي بيمينها تحرك العالم بيسارها .

من هنا .. أدركت لساء الإسلام عموما ، ونساء عمان على وجه الخصوص كل هذه المقولات ، وما يتعلق بها ، وما تدبر عنه ، وتشير اليه ، وتدلل عليه ، وتتفاعل

معه وتتركز فيه ، من التوجهات الدجارية ، والقرصيات الألهية والمعاملات الشرعية ، فاحتضنها ، وتفانين في برمجتها وترجمتها سلوكا وعملا ، وشوقا وأملا ، حتى أصبحنا كما يرى العالم ، وتتسكحل بمرآمن عيون الحياة ، وحتى أصبحت كل واحدة فيهن من المسلمات المؤمنات العابدات ، وكأنيما يعينها أبو الطيب بقوله :

فلو كان النساء كمثل هـ - ذى انضلت النساء - اء على الرجال

الباب الثالث

الأباضيّة والفرقة الناجية

أغدُر بجد عهد ؟ :

حدثنا التاريخ فيما يرويه الطبري في تاريخ الملوك ، والزبير بن سكر في « جهرة نسب قریش ، والسالمى في « تحفة الأعيان ، والمقريزى في « المواعظ والاعتبار ، والقنبل في « لاميته ، وأحمد أمين في « ضحى الإسلام ، ومحمد أبو زهرة في « المذاهب الإسلامية ، وغير هؤلاء من شيوخ المؤرخين ومحدثيهم : إنه لما استقام أمر المسلمين على إنتخاب الخليفة الرابع على بن أبى طالب . وتم إجماعهم على ذلك ، خرج طلحة والزبير على هذا الإجماع مشاقين مفارقين ، وذلك بعد أن بايعا عليا ، وبعد أن وضع كل منهما يده في يده ، وذهبا من فورهما إلى عائشة أم المؤمنين بمكة ، وقالوا لها : إن على بن أبى طالب قد استأثر بهذا الأمر لنفسه من غير رأى المسلمين ولا مشورتهم ، وإنه بذاك قد أحدث حدثاً ، وأقام بناءه على أنقاض عثمان ، وأن عثمان قتل مظلوماً بعد أن تاب وأتاب . وتعداهما — أوصرقاهما — عن رأياها وبصيرتها في عثمان ، ولم يزالا يزيغان لها أمر الخوض في التيار ، والمشاركة في الرأى ، وامتطاء صهوة الموج ، والتعامل مع الأحداث الجارية ، حتى أقنعاها بضرورة الخروج من بيتها ، وقالوا لها — ضمن ما قالوا ، وما أكثر الذى قاله — : ألا يجب عليك أن تقومى وتردى الأمر إلى عامة المسلمين — وأنت أهم — فيختارون لأنفسهم من شاموا ، ونحن نرغب أن تسيروا معنا إلى العراق ، وتصاحى بين الناس هناك ، ونسكنى بعضهم عن بعض ، ويصلح الله أمر هذه الأمة على يدك ، ونرجو أن يولىك الله هذا الأمر ؟ .

وهكذا أخرج طلحة والزبير عائشة أم المؤمنين من بيتها بمكة — بعد أن نقضا بيعتهما لعلى بن طالب ، واصطحبها معها ، وسارا بها إلى البصرة — في طريقهما إلى العراق — ويطلبان أمر الدنيا تحت عباءة أم المؤمنين ، وقد شاهدا قتل

عثمان ، وبايعا عليا ، ودخلا فيما دخل فيسه المسلمون ، ووصل بهما الشوط إلى مشارف البصرة ، واقتحاماها ومعها جمع من الغوغاء ، ونفر من الشواذ ، وصناع العتنة ، وطلاب الجاه والمغنم ، والمشاركين بالتصفيق ، والهناف والدعابة ، والتقت بهم جماعة المسلمين هناك ، وناشدوهم الله والتعقل والروية حقنا للدماء وصورنا للأرواح ، وإبقاء ما على جمع الكلمة ، وتوحيد الصف لآسيا وإن على بن أبي طالب رجل الساعة والمهمة الصعبة ، إلا أن طلحة والزبير واتباعها مالوا على القوم وأعلموا فيهم السيواف ، فقتلوا جماعة من المسلمين فيهم حكيم ابن جبلة العبدى مع رط من أصحابه ، واتفوا لحية عثمان بن حنيف ، وكان واليا على البصرة .

ولم يسع أمير المؤمنين على بن أبي طالب إزاء ذلك — وهو في المدينة — إلا الخروج عليهم ، والقيام لله بحقه .
وإن من نكت ، أو غدر وخان ، أو خرج على جماعة المسلمين ، فلا يديره ولا عهد ، وتجب مقاتلته حتى يفيء إلى أمر الله .

وخرج على واصطحب معه — وهو في طريقه — نفر من أهل الكوفة ، حتى قدم البصرة ، وهناك وفيها قامت المعركة ، وزحف طلحة والزبير ومن مهما للملافة القوم ، وأبرزوا أم المؤمنين على الجبل حاسرة كاشفة — وعلى الله حسابهم — وحمل بعضهم على بعض ، ورمى مروان بن الحكم طلحة بهم فقتله — على الرغم من أنه كان في جيشه وضمن عسكره ، وذلك لما كان يتهم به من التحريض على قتل عثمان — وهرب الزبير ، فتعقبه عمر بن جرهموز التميمي في وادي السباع حتى قضى عليه ومثل به ، وساعده على ذلك السعدى من بنى مجاشع ،... أما عائشة فقد عقر جماها رجل من بنى تميم اسمه عيين بن حكيم ، وهاجت المعركة ، وتلظ شقاها ، وهبت أعاصيرها ، وتصايح الفريقان ، ونادى نادى على بن أبي طالب بدلا . من أغلق بابها فبر آمن ،... ثم هدأت العاصفة ، بعد اتصارع على ،

واستقيب الناس ورجعت عائشة من هذا المشوار أسيفة حزينة نادرة !! ودخل عليها عمار بن ياسر رحمه الله وقال لها : أخبرينا يا أم المؤمنين عن القتال الذي نتأملنا عليه : أهو عهد عهده اليك رسول الله ﷺ ؟ أم هو رأى ارتأيته من نفسك ؟ فقالت : بل هو رأى ارتأيته يا ابني وأنا استغفر الله وأتوب اليه مما صنعت !!

وأصيب من المسلمين يومئذ زيد بن صوحان الذي قال فيه رسول الله ﷺ
« تقطع يده في سبيل الله ثم يتبعها سائر جسده » .

مؤامرة واويلتاء :

وهكذا انتهى موقعة الجمل ، ويدخل أهل البصرة في طاعة علي بن أبي طالب ، ويجتمع أمر الناس عليه .

وللمؤرخين حول هـذا كلام كثير .. ويستقر الأمر . وتمهدا العاصفة ، ويشفق معاوية من مقبة واستمرارية هذا النجاح والظفر الذي يصاحب عليا في ملاحمه ومعاركه .

ويتحدث إلى نفسه ويشاورها في حتمية اللقاء مع علي في معركة فاصلة يتبين من خلالها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ويسحفه في هذا المخاطر عمرو بن العاص ، ويساعده على تجسيده وتحريكه في إطار الواقع والفعل ، ويتواعدان على لقاء علي في جيش لجب من أهل الشام ، وكأنهما يطالبان بدم عثمان ، ومن فوق هذا المنبر — وبهذا المنطق — راحا يصرخان ويولولان ويصيحان .. يالدم عثمان . و يالثاره !!

وقد جيشا جيشا تجاوز عده المائة ألف أو يزيد ، وفي الجانب الآخر ،

أو في المقابل يكون على بن أبي طالب أمير المؤمنين قد جهز بدوره جيشه الذي تمت تركيبته أو بعبارة أخرى من الأتباع والمهاجرين واتباعه لهم بإحسان . وفي صنفين في جانب الفرات الأيمن ، وبإزاء الرقة ، تدور رحى الحرب ضاربة جبارة ، وتطحن في درتها الشرسة الرهيبية الآلاف والآلاف من المسلمين ، حتى ليقال بأن عدد القتلى بلغ في ليلة المرير وحدها خمسين ألفاً ، وقيل سبعمائة ، .. ولما كثرت القتل ، واستنحرت المذبحة في أهل الشام ، وخاف معاوية على جنده وقومه أن يقتلهم الحرب ، ونقض عليهم المعركة ، ويفرق جمعهم ما هنوا به من ذرية أمسكت بخناقهم ، أو كادت ، .. عندها يستجد معاوية بعمر بن العاص الداهية ، ويضرب منه المشورة ، ويستحثه على أعمال الحيلة والحديدية إنقاذاً للدوقف ، وكسباً للوقت ، وتفادياً لما عساه يسكب بحجز أصحابه ، وينفرهم منه ، ويفرقهم عنه ، ويشتهم من حوله .. ويتذكر همرو نبوءة ذلك اليهودي الذي أتى به في صحار عبر عشرات السنين ، ويدرك أن وقته قد آن ، وإن الحاجة إليه أصبحت حاجة ضرورية ، وأن الدنيا تلوح له بالإقبال ، والحظ أوشك أن يراوده ، ويتنازل بين يديه .. وتضعف عمر حياته ، وينجده دهاؤه ، ويشير على معاوية أن يعلق المصاحف على أطراف الأستنة ، ومثون الرماح ، وأن يكتب علياً سراً - بأن كتاب الله سبحانه بيننا في هذا الموقف وتكون له الكلمة الأولى والأخيرة ، وكتب معاوية بذلك إلى علي ، واقترح عليه - أو طلب منه - أن يهكم حكيمين فيما بينهما حتى ينفى النزاع ، وينفض السامر ، وتهدأ المناصفة ، وما حكما به رضياه ، فأجابه على أن ما طلب حقناً للدماء ، وإبقاءً على وحدة المسلمين .

وقال له في خطابه الذي أرسله له - ردّاً على ما اقترح أو طلب - : نعم ، وتم الأمر بينهما سراً ، كما طلب معاوية ذلك ... وبلغ عمار بن ياسر رضي الله عنه أمر ذلك الاتفاق ، وثار تائوته وقال لأصحابه : إئتوا علياً

فما تبهه على ما فعل .. وعاتب القوم عليا ، وأجابهم بقوله : إني نارك ذلك إن شاء الله .. وانتهت لإجابة على إلى عمار فقال قوله المشهورة : جروا الحظام ما اجتر...

ويتناقش عمار مع على ويقول له : إن القوم سيقولون لك : بيننا وبينك كتاب الله ... فقل : على ترككم كتاب الله قتلناكم .. وسيفولون : نجعل بيننا وبينك حكيم . فما حكما به من شيء . رضينا ، فقل : ومن أحمق من الله حكما لقوم يوقنون . .. فان قالوا : نجعل بيننا وبينك مدة نصلح عبرها ، فقل : إن الله قال : و فماتوا التي تبغى حتى نفىء إلى أمر الله ، ...

خالصة لله :

ويقبل عمار على على ، ويأخذ بأذنه ويجمع ثوبه ، ويقول له - في إشفاق وإخلاص - : أشككتنا في ديننا ، وارددنا عن بصائرنا ، حتى نحكم عدونا في ديننا ومصيرنا ودمائنا ؟

هلا كان ذلك قبل وضع السيف في الرقاب ؟ هلا كان ذلك قبل طلحة والزبير وأصحابهما وهم يدعونك إلى ذلك ، فأبيت عليهم وقتلهم: أننا على الحق دونكم ؟

لا .. يا ابن أبي طالب فإن كان القوم كثر مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يسلموا .

وإن كان القوم كفرة أهل كتاب فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يدعوا الجزية عن يدهم صاغرو .

وإن كان القوم بغاة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفئوا إلى أمر الله .

ثم قال : والله إن القوم ما أسلبوا .. ولا أدوا جزية ... ولا فاءوا إلى أمر
الله ، .. ولا وضعت الحرب أوزارها ، فكيف لنا أن نسكت عنهم ، أو نخفى لهم ،
أو نركمهم وشأنهم بعد الذي كان منهم ؟

ويقول اليعقوبي ، والجدهري ، وجاويش ، وفلموزن ، وابن ماجه ، وابن
الباقلاني : إن عماراً خرج هو ومن معه من المقاتلين إلى حرب معاوية ، فقاتل
هو وأصحابه حتى استشهدوا رحمهم الله ، واستشهد معه — كما يؤكد ذلك
أصحاب السير والتراجم — سبعة وعشرون رجلاً من المهاجرين والانصار ،
وفيهم ابنا بديل ، وخزيمة بن ثابت الانصارى ذو الشهادةتين رحمهم الله جميعاً ، وغفر
لهم ، وأنا بهم جنة عرضها السماوات والأرض ا

تفتك الفئمة الباغية :

وهكذا كانت مسألة الخلافة والتنازع عليها والتطاحن في سببها ، ومن أجلها
من أمهات المسائل أو المشاكل السياسية التي عرضت للدسليين بعد وفاة النبي
ﷺ ، ونتج عنها ، أو أثمرت حصادها المر السكريبه الذي كان من أولى سايباته
أو سيئاته زيموه الفرق ، والتحزب ، والمذاهب المختلفة في الإسلام... وهكذا —
وعلى يد فئمة معاوية — استشهد عمار بن ياسر الذي قال له رسول الله ﷺ :

« يا عمار .. تفتك الفئمة الباغية ، وقاتلك وسالك في النار ، .. »

ويكثر التاريخ من ذكر عمار فيقول عنه في مذكراته ومروياته :

بلغني أنه يوم بناء مسجد الرسول في المدينة كان المسلمون المشاركون
في البناء يحملون حجراً حجراً ، وعمار يحمل حجرتين حجرتين ، حتى وقع مغشياً
عليه — وكان لا يزال نائماً من مرض أصابه — فأقبل عليه النبي صلوات الله
وسلامه عليه — في لمفة حانية — وجعل يمسح التراب عن وجهه . ويقول :

و ریح ابن سمیة تقتله الفئمة الباغية ، وقائله وصالبه في النار ، ...
و بلغنى أنه قال له : « آخر عهدك في الدنيا يا عمار شربة من ضياع ، والضياع
هر اللبن الممزوج بالماء ... »

و بلغنى أنه مر بعمار والمشركون يعذبونه - وقد وضعوا الحجر المحمي
الثقيل فوق صدره مرة ، ومرة أخرى صبوا على رأسه الماء المغلي ، ومرة ثالثة
وضعوا رأسه في برميل من الماء . وكنتموا فيه أنفاسه - فقال : « أبشر يا ابن
ياسر بالجنة »

و بلغنى من أكثر من مصدر : « أن حذيفة بن اليمان خرج يوماً ومعه من
يتبعه ويتعلم منه ، فقال له حذيفة : كيف أنت إذا أقتل الشيطان والقرآن ؟
فقال له تابعه الذي يتعلم على يديه : عن ما تأمرني به جعلني الله فداك ؟ قال
حذيفة : آمر أن أتبع القرآن ... ثم سكت .. فقال حذيفة : أما تسألني إذا أقتل
أهل القرآن ؟ فقال له التابع : بيم تأمرني به إذن جعلني الله فداك ؟ قال حذيفة :
حينئذ آمرك أن أتبع ابن سمية .. عماراً ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

« إن عماراً قد حشا الله قلبه وسمعته وبصره إيماناً ، فلا يعرض له حق إلا
أخذ به ، ولا باطل إلا تركه . »

و بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعذابي عمار : « ماليكم ولعمار
يدعوكم إلى الجنة وتدعوناه إلى النار ، ؟ .. »

و بلغنى أن حذيفة كان يقول دائماً : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لأصحابه : « اقتدوا بالذين من بعدي وعليكم بهدي عمار ، وهدي ابن أم عبد ،
يعني عبد الله بن مسعود ورحمهم الله جميعاً .. »

وبلغنى أن على بن أبي طالب بعث إلى عمار بن ياسر أن يقسم على ربه أن
يهزم عدوم - وقد شرب الشربة التي وعده رسول الله ﷺ إياها آخر عهده في
الدنيا - فقال له عمار : اليوم ألقى الاحبة محمداً وحزبه ، هذا اليوم الذي
وعدني رسول الله أن ألقاه فيه .

وبلغنى أن عمارة قال لعلي بن أبي طالب : إتق الله يا علي والحق بالله قبل
تحكيم الحكمين .

وبلغنى أن عمارة قال لأصحابه : أين الرائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟
اليوم تزينت الحور العين ! يا قوم ردوا المساء قبل الظلم ، فإنى أرى الجنة تحت
ظلال السيوف ، لضربتهم اليوم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، والذي نفس عمار
بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شغفات هجر ، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على
الباطل ، ولو ضربونا حتى يبلغوا بنا الغاف من عمان ، لعلمنا أناعلى الحق ، وأنهم
على الباطل ، فهل من رائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟ !

ذلك هو موقف التاريخ مع عمار ، وتلك هي احتفالات النبي به ، وتكريماته
له ، وهذا هو الاحتراف الحق من النبي العظيم بهذا الصحابي الكريم ، فقله درك
يا ابن ياسر ، والله أنت يا عمار ! ومك لك بابنك من المفاخر والمآثر ياسية !
ورحم الله الجميع ...

على من يقع الوزر؟

ويحمل أبو المحاسن في كتابه . النجوم الزاهرة ، معاوية وزر قتل عمار ،
ولا يعنى عمرو بن العاص أبداً من جراء ذلك ومقبته ، فعمرو هو الذى أشار
ومعاوية هو الذى نفذ ، ويقول التاريخ فيما يرويه حول ذلك الموضوع :

وتحمل رأس عمار إلى معاوية ، ويعرف الناس حينئذ أن معاوية إنما كان يقا تل على الملك والذنيا وأنه لا يقا تل على دين ، ويقول له عمرو : أهد رأس عمار يا معاوية تقا تل أهل الدين ؟ والله لأفسدن عليك أمرك أو تجعل مصر ما كلة لي وحدي . .

وفي هذا يذكر السكندی في كتابه « الولاة والقضاة » ، واليعقوبی في تاريخه ، والمقریزی في خضطه :

إنه عقب مقتل عثمان بن عفان استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يستميل إليه عمرو بن العاص ، ويسكون مستشاره الخاص . وسيفه الذي يحارب به على ابن أبي طالب ، على أن تكون ولاية مصر طعمة سائغة له وحده ، واستطاع عمرو فعلا أن يستخلص مصر من حكم على في شهر صفر سنة ٣٨ ، لتسكون خالصة له ، وذلك قبل أن يخرج التحكيم ، ويقول البراقی في تحقيقه وتعليقه على كتاب « الرد على أهل البدع والآهواء » : إن معاوية طمع في مصر لما اختلف أهل العراق على على ، وأنه قصد من الاستيلاء عايبها أن يستعين بها على ضرب على ، ولاهمة تلك المسألة استشار معاوية خواصه ، ومن بينهم عمرو بن العاص الذي قال له : أهدك أمر مصر وخراجها الكثير ، وعدد أهلها ، وخصب ترابها ، وكثرة خيراتها ، فتدعونا لنشير عليك فيها ؟ فان كان ولا بد فاعزم وانض ، فان في افتتاحها عرك وعز أصحابك ، وقهر عدوك وكبته ... فقال له معاوية : يا ابن العاص إنما أهدك الذي كان بيننا ...

ويقال : إن معاوية استشار بعض أصحابه وخاصائه فيما طلب إليه عمرو بن العاص ، فقال له صاحبه في شعره :

أعطه مصر وزده مثلها
إن مصر آملی أولنا
إنما مصر لمن عزوز
يذلب الآن عليها من عجز

ولما استشهد عمار ومن معه — وبعد ما ذكرت من كلام النبي ﷺ في عمار
فيمن يقتله — ارتاب المبطلون ، وأراد الله أن يمحص الذين آمنوا ويمحق
الكافرين ، ويفرق الناس عن معاوية ، وكفوا من مناصرته خوفاً من الله ،
وتراجعوا عن السير في هذا المضمار ، ورجع على إلى الكوفة ، ورجع معاوية
إلى الشام ، وبدأ كل من على ومعاوية يتبادلان الكتابة فيما بينهما سرّاً دون علم
الناس كما يقرر ذلك بعض المؤرخين ، وكتب على إلى معاوية — فيما كتب — : من على
أمير المؤمنين إلى معاوية ، فسكتب إليه معاوية : لو أعلم أنك أمير المؤمنين
لم أقاتلك ولم أرفع في وجهك سيفاً ، فامح اسم أمير المؤمنين .

كيف بك مع ابن الطلقاء ؟

وفعل على ما أشار به معاوية فيما يرويه بعض المؤرخين ، وبلغ ذلك المسلمين
فغضبوا وقاروا - معاتبين - : يا أبا الحسن .. ما حملك على أن تخلع نفسك من اسم سماك به
المسلمون ؟ ألسنت أنت أمير المؤمنين؟ فتب عما صنعت واستغفر الله .. فتاب على من
ذلك ، واستمر معاوية يكاتبه ، وجعل يستحثه سرّاً في إنفاذ أمر التحكيم ، واختار على
— مكرهاً — أبا موسى الأشعري ، واختار معاوية عمرو بن العاص وشأني رسول الله ،
ويذكر المؤرخون ذلك ويعللونه في قولهم : إن عمراً — قبل أن يسلم — كان
قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً من الشعر ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اللهم إني لأحسن الشعر ، ولا ينبغي لي ، فالعنه اللهم بكل بيت
لعنة .. وتمت الحكمة ، ورضى على بحكومة عمرو .. فليت شعري ، أين كانت
هذه الحكومة عدلاً وصواباً — وما أظنها كذلك أبداً — فلقد هلك على بما سفك
من دماء قبلها ، وكان معاوية أحق منه بالعدل ؛ لأنه الذي دعا إليها ؟
وإن كانت هذه الحكمة خطأ وضللاً — وهي حتماً كذلك في الحقيقة
والواقع — فلقد هلك على بدخوله فيها ، وقبوله لها ، وفي كلا الأمرين لا يخرج
لعل من هذا المأزق الذي صنعه له عمرو ومعاوية ..

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه البخارى بسنده -
أنه قال :

« سيكون فى أمتى حكيان ضالان مضلان يضلان ويضل من اتبعهما ، ١١

قال العلامة الشماخى - فيما تناثر إليه من أقوال المؤرخين والعلماء . ونقل
عن العقد الفريد .. لابن عبد ربه : -

إن على بن أبى طالب قال : لقد خرجت عرجى هـ - ذأ وأنا ظالم أو مظلوم
لست أدري ؟ وإنى لأذكر الله رجلا رعى حقه إلا نفر ، فإن كنت مظلوما أعانى
وإن كنت ظالما أفسد - ذ منى ، والله ! إن كلا من طلحة والزبير لأول من بايعنى
وأول من غدر به ، والله المستعان !

وعن الاحنف بن قيس قال : ناظرت طلحة والزبير وعائشة : من أباع إن
قتل عثمان ؟ قالوا : بايع عليا ، ولما قدموا البصرة ناشدتهم قولهم هذا ، فقالوا :
نعم ، ولكنه بدل وغير .

ممه الدنيا فقط :

وحكى ابن الأثير فقال : اجتمع رأى معاوية وعمر بن العاص ، ومن دار
فى فلسكهما ، أو لف فى مدارهما ، على أن يلزموا عليا بدم عثمان وبطالبه به هكذا ،
- ادعاء - وإن معاوية قام خطيبا بين رسل على ، وفيهم شيب بن ربيع ، فقال : أما بعد ،
فإني دعوتكم وصاحبكم إلى الطاعة والجماعة ، التى دعوتم إليها ، وأما طاعتنا
لصاحبكم فإنا لانراها ، لأن صاحبكم قتل خليفةنا ، وفرق جماعتنا ، وضع نارنا ،
وصاحبكم يزعم أنه لم يقتل عثمان ، وإن كان كذلك فنحن لانرد عليه قوله ، ولكن
ليدفع الينا قتله ، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .. فقال شيب : أيسرك
بامعاوية أن تقتل همار بن ياسر ؟ فقال معاوية : وما يبنى من ذلك ؟ والله

لو تمكنت من ابن سمية هذا لقتله ،ولى عثمان ... فقال شيبث : والله الذى لاله
غيره لا تصل إلى ذلك أبدا يا معاوية حتى تتناثر الهام ، وتسقط عن الكواهل ،
وتضيق الأرض الفضاء عليك .

وفى غمرة هذه الاحداث يقول ابن المبرد : وبعد صراع دام أشهرا ، وكادت
تقع الهزيمة فيه على معاوية وأصحابه ، رفعوا المصاحف على الرماح طالبين حكم
القرآن ... هنالك دب الخلاف فى جيش على خاصة بعد أن تأكدوا من ذلك ،
وان هذا الأمر تم لبليل ، وان عليا قبل التحكيم .

وفى هذه اللحظة فقط فارقوه ، وخرجوا عنه محتمكين إلى الله تعالى ، سائرين
فى الأرض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد أصابهم الاحباط
والاهباط ، ولتهم المرارة فى غاشيتها ، وابتلعهم الاسى من هذا الموقف المردى
المخزى .

ويؤكد ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، والبغدادى فى كتابه « الفرق بين
الفرق ، والطبرى فى تاريخه .

ان القوم خرجوا من عند على بعد سبعة وأربعين يوما من التحكيم — وبعد أن
حاولوا مرات عديدة أن يتكثروا هذه الجراح ، أو يداؤوا هذا الذى أصابهم —
ونزلوا أرضاً بظاهر الكوفة ، تبعدها قرابة الميلىن اسمها « حروراء » .

ومن هذه القرية حملت جماعتهم اسم « الحرورية » واجتمعوا فيها يومئذ وهم
أكثر من خمسة عشرة ألف مجاهد ، من خيار الصحابة ، وكبار المهاجرين والأنصار
ورؤساء المسلمين وفقهائهم وقراءهم وعلمائهم ، وفيهم آنذاك شيخ الصحابة ،
وإمامهم عبدالله بن وهب الراسبى الأزدى — وهو أول إمام عقد له المسلمون آنذاك
ونصبوه — ، وفيهم حرقوص بن زهير السعدى ، وزيد بن حصن الطائى ،

وحمة بن مهران الأزدي ، وشريح بن أوفى العبدي ، وعبد الله بن سرح الأزدي السلمي ، والكثير جدا من اجلاء وأفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنصارا ومهاجرين ، واجتمعوا جميعا في بيت عبد الله الراسبي ، وعرضوا الامامة على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي - بهد أن تناجلوها وتجادب القوم أطرافها فيما بينهم - ، فقال ابن وهب: ها توها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعيها فرارا من الموت ،.. فبايعوه عليها ، وجعلوا الموعد بينهم الثروان ، شمال بغداد بالعراق ..

ليتهم ما فعلوها :

ويتحدث التاريخ على لسان شيوخه ويقول :

لقد خرج القوم إلى صفين منع على وهم أحياء ، وتوادون ، وسرعان ما رجعوا متباغضين أعداء . ، تنفت الفرقة سموما بينهم ، وما برحوا من معسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، وعمتهم بلوى التنازع والتصارع ، ولقد مشوا الطاريق كله يتدافعون ، ويتشائمون ، ويقول الخوارج لهم :

يا أعداء الله .. أو هنتم في أمر الله عز وجل ، وحكمتهم من حكمتكم ؛ ويقول الآخرون : انكم فارقة إمامنا ، وفرقة جمعنا !

ولما دخل على الكوفة لم يدخلوا معه ، وظلوا سائرين حتى أتوا حروراء . وكانوا يقاربون أو يتجاوزون أو يناهزون الخمسة عشر ألف رجل من خيرة المسلمين واتقياتهم ، وأهل التقى والفضل ، والزهد ، والورع فيهم والله الأمر من قبل ومن بعد !!

وينتهى الأمر بمخلع على من الامامة ، والخلاف على بقاء معاوية وثبوتها فيها أهمالا لنصوص الوثيقة ، واثمارة بمشورة الهد وبنوده التي تقضى بذلك ، راقى

جاء فيها: — كما قال ابن الأثير بعد المقدمة — هذا ما نقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . قاضى على بن أبي طالب على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن معهم ، أننا نزل عند حكم الله وكتابه ، وأن لا يجم — ع بيننا غيره ، وإن كتاب الله هو شرعنا ودستورنا من فاتحته إلى خاتمته ، نحى ما أحيا ، ونميت ما أمات ، فما وجد الحسبان في كتاب الله — وهما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وعمرو ابن العاص بن وائل السهمي — عملا به ، ومالم يجدها في كتاب الله ، فالسنة العادلة الجامعة غير المفترقة .

وإن للحكمين ما للمتحاكين من المنعة والنفوذ ، ولهما على الأمة العهود والمواثيق بأنهما آمان على أنفسهما وأهلها والمسلمون لهم — انصار في انفاذ أحكامهما . وأدوات عمل وإنجاز على الذى يتقاضيان عليه ، ويقضيان به ، وعلى عبد الله بن قيس الأشعري وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة — بدون تفرقة بين المتخاصمين — بما حكم به الله في كتابه الكريم وما حكم به النبي في سنته الطيبة الطاهرة ، وعلى جميع المسلمين أن يلتزموا بكل ما يحكم به الحسبان في اطار الشرع . وفي حدود الدين ، والله تحسير الشاهدين . . . ووقع على هذه الوثيقة وذلك العهد كل من الطرفين المتحاكين ، إلا أن ، الاشر ، أبى أن يوقع قائلا : لاصحبتى يمينى ، ولا تفتنى بعدها شمالى إن خطى لى فى ه — هذه الصحيفة اسم ، ولست على بينة من عدوى .. أو لستم قد رأيتم الظفر ، وصافحكم النصر ؟ فقال له الاشعث : والله مارأينا ظفرا ، ولا أصهنا نصرا ، هلم الينا ، أم لك رغبة بك عنا ؟ . فقال الاشر بلى . . . والله الرغبة عنكم فى الدنيا للدنيا . وفى الآخرة للأخرة ، لقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أتم والله خير

عندى منهم ، ولاد مك أحرم على من دماهم... وخرج الأشعث بالسكناج والوثيقة والعهد — يقرؤه على الناس ، ومر على طائفة من بنى تميم ، فيهم عروة بن أديه .
أخو أبي بلال ، وقرأ السكناج عليهم ، فنهروه عروة في غضب وقال له : أنتمكمون الرجال في أمر الله ؟ والله لاحكم إلا لله ، وشد بسيفه عليه فأصاب به عجز دابته .

تفرقة وأى تفرقة؟:

وحول قضية التحكيم ، وما جرى فيها ، وكيف كانت مدعاة لتفرق المسلمين واختلاف الكلمة بينهم ، يطوف بنا العلامة ، وأبو اسحاق الاطفيشى ، ويلوب في مجالها كل من الحسن البصرى ، ومالك بن أنس ، كما أسهم في ذكرها باسباب المبرد في الكامل ، وأحمد أمين في ضحى الإسلام ، ويجمع الجميع في مقولهم على صيغة تكاد تكون متحدة من حيث الباعث على التحكيم والترض منه ، والاختلاف الكبرى التي وقع فيها المتحاكمون بقدر الدهاء والحيلة والمسكر الذي اختبأ تحت عباوته معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ومن طالب بما يطلبان من الجرم وراء الدنيا ، والركض في مضمار الجاه وفوق الساحة الفسيحة والمساحة الواسعة والمدى الطويل الكبير البعيد الذي رسمته المطامع على جغرافية الشهوات ، وفي أطلس المناصب ، ومع المنحنيات والخطوط البيانية ، التي تغز لجأة وبلا مقدمات إلى التملك والسيطرة عن كانوا لا يملكون ولا يسيطرون ، وما كان ذلك في الحسبان أبدا ولا طاف مرة بالخطاير .. أو حلموا به وهم نيام .

ويتنخص رأى هؤلاء المؤرخين فيما يردده التاريخ في أكثر من مناسبة ، والذي

يقول في مجمله :

إن على بن أبي طالب بعد أن جاءته الخلافة ، وقام بشؤونها وأمرها قيا — ام الأئمة العدول ، وعمل بأوامر الله — رآن السكريم ، وها به أهل الباطل من رجال

الدنيا الذين يتهاكمون عليها ، وقاتل أهل الفتنة القامئين لقتاله ، والمتستترين عند العوام بطلب دم عثمان ، حتى قتل منهم الوفاء ، وهزم صفوفاً برجاله الأبرار ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان .. وشوش عليه بعض أهل الأغراض الديورية حين رأوه حليف ذى الفقار ، وأليف العدل والحق على كل طاغية جبار ، .. عند ذلك تأمروا عليه ، وقالوا فيما بينهم - وهم ينصبون له الأفضاخ والأشراك - : إن هذا الرجل لا يرى لنا من الحق شيئاً ، ولا يتقاد لرغباتنا ، فلم ندس له المسكائد ، ونزوع في حقه الألقام والمصائد ، ولسجوا له نسيجاً من الفتنة لا يفلت منه إلا بدماره ، وهكذا أمكن هؤلاء الأبالسة أن يمدعوا علياً الإمام المظلوم في قضية التحكيم من نواح عديدة ، إذ أرغموه على قبولها ، ثم فرضوا عليه أباً موسى الأشعري وهو لا يراه هناك ، وصبوا في حاقومه الكأس حتى الثالثة ، وهم يفضبونه على متابعة الفارين الهاربين في حروب متتالية أنهكت جنده ، وأنت على معنوياتهم ، ثم حاكوا له الدسائس وتبولوا عن الحق ، وتسكروا بذلك العمود الذى قامت عليه دولته ، وأنهار الصرح الذى فيه عزه وقوته ، وأوغلوا في الشقاق ، والجسوا في الخصومة والنفاق ، ورجع بعضهم يضرب رقاب بعض . وبقضية التحكيم هذه وجد الشيطان له مدخلاً بين صفوف المسلمين ، وكثر القيل والقال ، واشتد النقاش والجدال ، وأطلت الفتنة رأسها ، وأخرج معها طلاب الدنيا أدمغتهم ولحاهم ، وقد تطاولوا على الإمام وانضموا إلى أعدائه وخصومه ، وكان بعضهم يرى التحكيم ضرورة من ضرورات الدين ، فهو أمر واجب ، ويراه البعض الآخر آفة ومصيبة ، فهو محرم وجريمة وعار ، وقوم يرونه شيئاً مباحاً أو عملاً جائزاً ، فهم فيه بين الحل والربط ، والإبرام والنقض ، وانشقت بذلك عصا المسلمين ، وعن طريقه خرج عن أهل طاعته .

وهكذا وقع الإمام الخليفة على بن أبي طالب في ورطة شرسة جملة عاصفة

راعدة ، من ناحية التحكيم التي لسج خيوطها ، وغزل سدها ولحمها ما كرهها
أراد الدنيا من فوق ظهر الدين ، والله المستعان !!

ويقال أيضا إن عليا — أوشك أن يتخبط أكثر وأكثر في الخيوط
العنكبوتية التي برمها له — في غيش المكر وضبش الغدر — عمرو معاوية ،
حين عرض عليه معاوية — بعد أن خرج عليه قومه وفارقوه إلى النهر وان —
أن يجار بهم عنه ، ويقا تلهم له ، وكتب إليه في ذلك يقول : إنه بلغني أن طائفة
من أصحابك خالفوك وخرجوا من عسكرك ، وقد تعلم أن الأمر بيننا لا يتم
إذا كان له منازع ، فإن كان منهم أحد على غير رأيك ، وأجبت أن أكفيكم ،
وأغنى عليهم فعلت... إلا أن أهل الرأي في مشورتهم له كفوه عن ذلك ، وقالوا
له فيما قالوا : إن صار معاوية يدخل عليك في بلادك ، ويقتل أصحابك ، وعرف
مداخل الأمر ، وخبر مصادره وموارده ، قوى عليك ، ورفع يده فوق رأسك ،
وأذاتك ، وربما يتقرب إلى القوم دونك ، وماذا تنتظر من عدوك ؟ أو ترجى
عده ؟ وليكن عاجل القوم أنت وبأدرهم قبل اجتماعهم أو تفرقهم في القرى
والأمصار ...

له الله :

قال ابن عند البر النمرى القرطبي في كتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،
— حين تعرض لأمر التحكيم — :

إن علي بن أبي طالب — بعد طوفان الحوادث التي مرت به — بقي في سراع
أعنف وأشد عليه من ذي قبل ، خذله قومه ، وقاتلوه ، وقتلهم ، ومعاوية وقومه
يحتلون ممالكة شبرا شبرا ، وقترا قترا ، حتى أغسه الأمر ، وغام به الطريق ،
فكان إذا صلى الغداة يقنت في صلواته ويقول : اللهم ألن معاوية وعدرا وأبا الاعرر
وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليسد ، وبلغ ذلك معاوية

فكان يقول هو الآخر :- إذا أفنت - اللهم العن عليا وابن عباس والحسن والحسين
والأشتر ، وهكذا - ومن ذلك التاريخ - استمر بنو أمية حاكما بعد حاكم
يلعنون عليا على المنابر ، وفي خاتمة خطبة كل جمعة ، حتى استخلف الإمام العادل
عمر بن عبد العزيز فأبدل اللعن والسب بقول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون ، ... »

أبو موسى وعمرو والإمامان :

ثم إن الحكمين - كما يذكر ذلك صاحب « السيرة العمانية » ، الشيخ
أبو الحسن البیهقي ، وهو من علماء القرن الرابع الهجري - التقيا بدومة الجندل ،
وخلع أبو موسى الأشعري صاحبه علي بن أبي طالب من الخلافة ، وثبت عمرو بن
العاص صاحبه معاوية بن أبي سفيان ، ولما علم علي بذلك ندم أشد الندم على ما فعل ،
وكتب إلى أهل النهروان كتابا يستحثهم فيه الاصل - تعداد الحرب معاوية ويطلب
منهم الرجوع إليه ، وفيه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى زيد بن حسن
الطائي وعبد الله بن وهب الراسبي ، ومن معهما من المسلمين : سلام عليكم ،
فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .. أما بعد ، فإن الحكمين نبذا كتاب
الله وراء ظهورهما ، وحكما يغير ما أنزل الله ، فبرىء الله منهما ورسوله ، وأنا
منهما بريء ، فلملوا نعطيكم الرضى ، وفرجع إلى الأمر الأول الذى طلبتموه منى
وتقاتل عدونا وعدوكم ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، والموعود بيننا
وبيتكم نجران ، والسلام ..

فكتبوا إليه رداً على جوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي ،

وزيد بن حصن الطائي ومن معهما من المسـامين ، إلى علي بن أبي طالب
سلام على من اتبع الهدى ، وتجنب متائف الردى ، أما بعد ، فإننا نحمد الله
الله الذي لا إله إلا هو ، وبلغنا كتابك تذكرك فيه أن الحكيم نبذا كتاب الله
وراء ظهورهما ، وحكماً بغير ما أنزل الله ، وقد علمنا فالحمد لله أن أمرهما
كان عذافاً للحق من أوله ، وأنت بتحكيملك إياهما قد أخطأت كثيراً ، وعليك
أن تدخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وطاعة إمام
المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي ، فقد بايعناه بعد أن خلعتنا ولا يسمنا إلا
ذلك ، والسلام .

من هنا بدأ الخوارج :

ومن هنا ، وإطلاقاً من هذه المسيرة الصعبة انشأنا بدأ الخوارج مشوارهم
مع الحياة على صعيد الدعوة إلى الله .

والخوارج — كما ناقش ذلك صاحب السيرة شيب بن عطية وغيره من
المؤرخين — يسمون « المحكمة » و « الحرورية » و « الشراة » و « السرة » ..
أما لماذا غلبت عليهم التسمية باسم الخوارج ؟ فقد علم العلماء ذلك بأكثر
من علة وسبب ..

قيل : سموا بذلك لخروجهم عن الإمام علي بن أبي طالب ، وقيل : لخروجهم
عليه . وقيل : لخروجهم عن ضلالة التحكيم ، وقيل : لخروجهم بمجاهدين في
سبيل الله ، ... والخوارج هم أول الفرق الإسلامية ، خرجوا على علي بن أبي
طالب وصحبه ، رافضين التحكيم ، وتمحصوا في بعض المناطق بالعراق والجزيرة
العربية ، وقاموا بالدولة الأموية ، وصدرت من الدولة العباسية مقاومة عنيفة ،
وقد انقسموا إلى عدة فرق ، واشتهروا بالتشدد في العبادة ، ويرون أن الخلافة

لا بد أن تتم عن اختيار حر ، ولا تتعقد إلا بذلك ، وليس من حق الخليفة الذى اختير بإرادة الأمة أن يتنازل ، أو يحسب ، ويرون كذلك ، أن العمل جزء من الإيمان ، وأن تارك الفرض يحارب شرعاً على ذلك الترك ...

قال البغوى ، والبعقوبى ، والطبرى - فى موضوع الخروج للجهاد - :
إن المصريين هم أول من فتح باب الخروج بقيادة كل من جبلة بن عمر ، والساعدى الأنصارى ، وهما من شهدا أحداً ، وبايعا تحت الشجرة .

ثم البصريون ورئيسهم فى هذا حرقوص بن زهير السعدى الصحابى ، ثم الكوفيون - كذلك - برئاسة زيد بن صوحان ، وهو صحابى جليل .

وتبعهم على ذات الطريق طلحة ، والزبير ، وأهل النهروان ، ورئيسهم فى هذا المضمار الشاق عبد الله بن وهب الراسبى ، وهو الصحابى القاضى المجاهد الذى ذكره ابن حجر ، وعشرات وعشرات من المؤرخين والمحققين والعلماء والإعلام من أصحاب الحديث والفقهاء والشريعة ..

ومن الخوارج أيضاً - فى نفس المضمار - أهل المدينة والحسين بن على ، وكلهم من شيوخ الصحابة الفضلاء .

ثم سعيد بن جبير ، والشعبى ، وفقهاء العراق إذ خرجوا على الحجاج ، وجميعهم من أخصيار التابعين وصلحاءهم .

أما سر تسمية الخوارج بالمحكمة ، ، فلأنهم كانوا يقولون دائماً : لا حكم إلا لله .. وأول من قالها : عروة بن أدية ، ، أخو أبى بلال ، وأبو بلال هذا من أهل النهروان ولهما أخبار ذكرها ابن الأثير وغيره من المحققين الثقات ... وأما الحرورية ، فهى من أسماء الخوارج ، وسموا بها نسبة إلى حروراء ، وهو الموضوع الذى نزلوا فيه بعد انفصالهم عن جيش على .. ويقول ابن جرير الطبرى :

انه لما رجع على بن أبي طالب مزمرقة صفيين ، اقيه عبد الله بن وديعه الانصارى
فدنا منه ، وسلم عليه ، وسأيره .. ثم قال له : أما سمعت ما يقول الناس في أمرنا
يا ابن وديعه ؟ قال : نعم سمعتهم .. منهم المعجب بالأمر ، ومنهم الكاره له ..
قال على : فسا قول ذوى الرأى ؟ قال ابن وديعه : يقولون : إن أيا كان له جمع
عظيم ففرقه ١ ، وكان له حصن حصين فهدمه ، فتى يجمع على ما فرق ؟ ومتى بينى
ماهدم ؟ ويقولون أيضاً : ولو كان مضى على بن أطاعة — إذ عصاه من عصاه —
فقاتل حتى يظفر أو يقبر .. لكان ذلك أحكم وأحزم ...

قال ابن الاثير : ولما رجع على من صفيين فارقه الخوارج ، وأنوا حروراء
فنزله بها منهم أربعة عشر ألفاً ، قال العلامة الشماخي : وقيل أربعة وعشرون
ألفاً ، وقيل : سبعة وعشرون ألفاً وأكثر من ذلك ، وهم خيار أهل الارض
يومئذ وأقراهم للقرآن ، وأهل التقوى والصلاح فيهم ، وهم من يخافون الله الخوف
كله ، ويحرمون على [إنفاذ طاعته ، وإنجاز شريعته ، وتحقيق الإيمان في قلب كل
مؤمن ، لتسكون كلمة الله هي العليسا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ..

وهم القدوة والاسوة في الزهد والورع ، فيمن بقى من كبار الصحابة
والتابعين .

الله الأمر :

أما مقتلة النهروان : فيقول كتاب التاريخ — ومنهم
المنصفون العسود ، ومنهم المجنحون الغسالون — إن المعركة
دارت بين على بن أبي طالب من جهة ، وبين أهل النهروان من الجهة
الأخرى ، — وبالسبحان الله يدور القتال وتراق الدماء بين المسلمين من الجيوش
معا — ولعل التاريخ يعيد نفسه اليوم في حرب العراق وإيران !! أقول — على

ويستمر الحديث على السنة المؤرخين : وقتل يوم النهروان في ماحجة بين مسلم و مسلمة خمسة آلاف مقاتل من خوارج النهروان المسلمين.. إلى والله خمسة آلاف مسلم من أفاضل الصحابة ، وشيوخهم - بينهم - كما يروى الرواة - سبعون من أهل بدر ، وأربعائة من السوارى ، الذين كانوا يلزمون دائما مسجد الرسول ﷺ ويجلسون تحت سارياته للعبادة ، والصلاة ، وكان جباههم وركبهم من شدة اجتهادهم وكثرة سجودهم نهن الإبل ، فهم خيار الناس وفقاؤهم ، وأهل الشرف فى الدين والرأى والأولية فى الإسلام من المهاجرين والانصار ، والتابعين لهم باحسان ، وقتل فيهم الصحابى الفاضل الجليل ، حرقوص بن زهير ، - الذى أسلفت الحديث عنه قريبا - وهو الذى دفن دانيال ، الحكيم ، وكان دانيال هذا قد سأل ربه أن يدفنه رجل من أهل الجنة ، ولم يزل دانيال فى تابوته فى أيدى أهل الضلال والاهواء من أهل الكتاب يستسقون به إذا أمسك عنهم المطر ، أوشحت عليهم السماء ، حتى فتح أبو موسى الأشعري مدينة السوس فوجده فى تابوت هناك ، وكتب فى ذلك إلى عمر بن الخطاب رحمهم الله ورضى عنهم ، فكتب إليه عمر : إن يدفنه سرا ولا يشجر به أحد .

ويقال : إن أبا موسى سأل عن حرقوص بعد ذلك فقيل : أصيب فى أهل النهروان .. فقال - فى أسى - : والذى نفسى بيده لو اجتمع على الرمح الذى طعن به حرقوص كل من بين المشرق والمغرب لدخلوا النار كلهم ..

مظلوم وايم الله :

وعن الحصين بن نوفل عن ابن عباس قال : أصاب أهل النهروان السبيل ، أصاب أبو بلال السبيل ، وعنه - أيضا - قال : حدثنى مسعود بن عبد الله بن شداد ، أنه قدم المدينة فأرسلت إليه عائشة ، وقالت له : يا عبد الله .. لم قتل على أصحابه ؟ لخدمتها بالقصة كلها . . فقالت : مظلوم جميعا والله أهل تسمى أحدا ممن قتل ؟ قال :

نعم ، حر قوص بن زهير العدي ، فاسترجعت ، وقالت : أشهد أن رسول الله ﷺ كان في منزلي .. فقال : يا عائشة .. أنظري أول رجل يدخل من هذا الباب هو من أهل الجنة ، فدخل حر قوص — ولحيته تقطر ماء — وقال ذلك في اليوم الثاني .. وفي اليوم الثالث — كذلك — على التوالي ، فكان الداخل هو حر قوص في هذه المرات الثلاث ..

قالت عائشة : ثم من أيضا ؟ قلت : زيد بن حصن الطائي ... فبكت ... وقالت : لو اجتمعت الامة كلها على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقا على الله أن يكبهم جميعا في النار !! ولما التحم القتال في النهروان من الغداة إلى الأصيل ، وعلى بن أبي طالب واقف ومعه أبو العقيصة إذ سمعه يقول : والله أن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار ، وأصحاب الجبل يوم الجبل ، وأصحاب صفين يوم صفين ، وأصحاب القرآن إذا تلى القرآن !!

فقال له أبو العقيصة — وكانه يستيقظه من إغراقات تأمل آسية آسفة نادمة حزينة ، أو يلومه ويعتبه عليه — : فقيم نحن إذن ؟ ثم ضرب فرسه ، ولحق بهم وقتل في المعركة .

وعن ابن عباس قال : حدثني قتيبة — مولى علي — قال : قال علي بن أبي طالب : ويحك .. صرنا هنا هنا خياري هذه الامة وقراءها افعلت : أي والله فابني كثيرا وكثيرا ، وبني على ابن أبي طالب ماشاء الله له أن يبني . ثم قال — واللغة تمزق على لسانه ، والكلمات تقبعر في فمه هنا وهناك — :

لقد جدعت ، أنفي ، وأشقيت نفسي .. ثم أظهر الندامة على قتاله لهم ... وقال له رجل من الحضور الشهود — يجامل عليا — : هؤلاء الذين يحبسون أنهم يحسنون صنعاء . . . فنهره على . . . وقال له : ويحك . . . أولئك أهل التوراة والإنجيل ورهبان القرآن وفرسانه .

وقال له آخر : والله ما بين الطريقين طريق ، فان كان أمر الحكيمين هدى فقد ضلكت بنتضك عهدك ، وبراءتك منهما ، وإن كان ضلالة .. فلقد ضلكت اذن بتضلك أهل النهر إذ نكحك عن الضلالة .. فقال على رضى الله عنه : تلك مشيئة الله ، وما شاء الله فعل ، وأرجو من الله التوبة والمغفرة على ما قدمت وما فعلت !!
وفي السير - من كتاب النهر وان - عن جابر بن زيد : ، أن على بن أبى طالب أظهر الندامة للناس ، .. وقيل له - فى معرض المعاتبه - : قتلت قوما ، وأظمرت الندامة عليهم ، وطفقت تمدحهم ، وتزين أمرهم ؟ فوالله ليلتخنن أو لتقتان ... فلما أصبح قال : ابتغوا فى القتلى رجلا - وسماه - ، فوجدوا نافعا - مولى ترملة صاحب رسول الله ﷺ - قطع السيف يده ، ووزق جسده ، فقال : هذا هو ؟ فقال ابنه الحسن نعم ... هذا نافع مولى ترملة .

عفا وغفرا :

إن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه برىء الساحة ، براح المساحة فى معاملة المسلمين عموما .

وفى هؤلاء الذين خرجوا عليه على وجه الخصوص ، سيما وان الواجب الشرعى كان يحتم عليه أخذ القوم بالشدة وعدم ملايقتهم حفاظا على وحدة الامه ، وصونا لها من التمزق والتفكك .

وان التاريخ ليجدنا فى ثقة وأمانة ان عليا طاول الخوارج مرات عديدة ، وكانوا هم مع ذلك أميل إلى العودة اليه والالتزام بنصحه ، والانتخار فى مسيرة الجماعة ، والخضوع لرأى أمير المؤمنين ، وطاعة ولى الأمر ، لولا ما كان وراءهم من يؤرثون الأحقاد ، ويغزون الفساد ، ويشيرون الفتنة ، حتى يستطيعوا أن يتسللوا عبر غبارها ، ومن خلال دخانها إلى آرائهم الشخصية ، وأهوائهم المادية الدنيوية

ابتغاء إماره ، أو اقتطاع ولاية ، أو تحقيق غنم ذاتي ولو على حساب المصلحة العامة ، أو فوق تلال وفي أعماق بحور من جماجم المسلمين ودمائهم .

ولن يبرأ معاوية بن أبي سفيان أو عمرو بن العاص ، ومن التف حولهما ، أو تآمر معهما من هذه الجريمة البشعة التي قضت على الوحدة الإسلامية أولاً ، وقضت على آل محمد وأحفاده وذريته ثانياً وهزقت وحدة المسلمين ثالوثاً أخيراً .

إن التاريخ لن يغفر لمعاوية أو ابن العاص ما ارتكبا في حق علي بن أبي طالب ، من تأليب الناس عليه ، وخروج بعضهم عن طاعته ، وهذا الطوفان الرجيم من الشغب والتمرد الذي لوى ذراع الأمة ، وكاد يدق عنقها أو يخلع فقراتها أو يقضى عليها ، من أجل الحكم ، وفي سبيل الولاية وطعماً في احتشاش المغنم واقتطاب الدنيا ، وتحقيق الوجهة والجاه .

أما علي بن أبي طالب الإمام الشرعي ، وأمير المؤمنين المنتخب ، فكان زاهداً في كل ذلك ، ورعاً تقياً ، وكثيراً ما رفض الدنيا وطلقها حين كانت تتعرض له بالاغراء ، أو تحاول صرفه عن الحق ، أو تحميد به عن الطريق ، وكثيراً ما كان يقول : يا دنيا غري غري ١١ .

إن علي بن أبي طالب الإمام المظلوم كان أول من أسلم على يد النبي ﷺ ، وكان ابن عمه ، وصهره ، وزوج ابنته فاطمة ، وأباً الحسن والحسين ، وأصل النسب المحمدي الطاهر والنبي الإسلامي المرهف الذي ربط بين الاشراف وصاحب الرسالة ، وسيمظل نسله من بعده كذلك إلى أن تقوم الساعة .

إن علي بن أبي طالب كان يعيش مع الناس بجسده ، ويتعامل مع الدنيا بجوارحه ، فقط ، أما روحه ، أما وجدانه ، أما ضميره ، أما حياته كلها فكانت متعلقة بالسما . . كان دائماً مع الملا الأعلى ، والمسيرة الساجدة ، مع الحياة الروحية

في أعلا المماطها ، وأرقى أطوارها ، وأعمق أدوارها . . . كان دائماً يقول
لأصحابه : أيها الناس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لانا أعلم بطرق السماء
منى بطرق الأرض ، وأطيعوني قبل أن تشجر برجلها فتنة تطأ في خصامها ، وتذهب
بأحلام قومها ، ، ثم تسكون النهاية الفاجعة ، والله المستعان .

إن على بن أبي طالب لم يكن في يوم ما من طلاب الجاه أو الامارة ، أو المنصب
أو المعنى ، أو غير ذلك ، من هذه المآرب الشخصية التي كان يسيل لها لعاب معاوية
وعمر ، ومن هنا فان معاركه كانت خالصة لوجه الله لاقامة حدود الشريعة ، وكم
تمنى ألا تسكون هذه المعارك ، وكم نضحت عيون من عبرات ، وسالت من دموع
على شهداء هذه الحروب ، وكم بكاهم ورثاهم وترجم عليهم !! .

ولقد سئل مرة عن أم - ل النهران : أمشركون هم ؟ فهب فزعا ، وقال -
والاسى يتخلل مقولته - : لا .. والله ، هم أبعد الناس عن الشرك ، ومن الشرك
فروا ... قيل له : أمنا فقون هم ؟ قال كرم الله وجهه ورضى عنه - : المنافقون
لا يذكرون الله إلا قليلا ، وهؤلاء قولهم الناطق ، وهدمات قلوبهم ، واقتهم
التي لا تقطع هي ذكر الله .. ولكن إخواننا بغوا علينا !! .

وقال لأصحابه - والآهات تكاد تمزقه ، والمرارة تستبد به ، والحزن يسيطر
عليه - : لا تقاتلوا الخوارج وكفوا عن مناواتهم وحربهم ، فهم طلاب حق ،
وليس سواء من قصد الحق فأخضاه ، ومن قصد الباطل فأصابه . . . ويدأل الحسن
أباه عليا - رضى الله عنهما - وقد عاد من الكوفة : أقتلت القوم يا أبت ؟ ويحييه
أبوه على بن أبي طالب - في صوت متهدج حزين - : نعم قاتلتهم وليتنى لم أفعل ذلك
... فقد كانوا أسود النهار ودهبان الليل رحمهم الله جميعاً ويغفر الله لى . . . ويكي
ابن أبي طالب ، وما أصعب بكاء الرجال وما أمره !! .

وهكذا وقع الإمام على بن أبي طالب بين شقى المقص ، وعلى مفترق الطرق

بفعل طلاب الدنيا ، ومصدق نبوءات اليهود ... أما أنت أيها الإمام المظلوم ..
أما أنت يا ابن أبي طالب .. فعفوا و عفوا .. وعذرا وغفرا .. وكان الله معك
وعموما فان اتاريخ يعطى للإمام على بن أبي طالب العذر فيما أقدم عليه من
حرب الخوارج . خصوصا إذا كان هؤلاء الخوارج على الأمن هم جنود الأمن
أنفسهم ، وهم المنوط بهم حراسة الامة ، والقيام على شئونها الداخلية والخارجية .
أو ليسوا هم أصحاب على بن أبي طالب الإمام الشرعى المنتخب ، وأمير المؤمنين
باجماع أهل الحل والعقد ، والابرار والتقى ؟

لوبة - ير الماء حلقى شرق كنت كالنصان بالماء اعتصارى ا

ولما فقد على بن أبي طالب تلك الأصوات القارئة بالليل المرنة آيات الله
الذكرة له على الدرام ، وكأنها دوى النحل ، قال - مدهوشا مذهولا - : أين
أسود النهار ، ورهبان الليل ؟ فأجابه أصحابه : قتلناهم يوم النهر . فبكى
الإمام عليهم - وكانه يريهم أو يؤنبهم - وما أصعب بكاء الرجال وما أمره ا

وجاء في كتاب بيان الشرع : - وهو من الكتب العمانية القديمة المعتمدة -
قيل : لما قتل على بن أبي طالب أهل النهروان ، أمر أن تجمع كل متعلقاتهم ، فإذا
هى خمسة آلاف مصحف من كتاب الله تعالى .. فبكى على حتى كادت نفسه أن
تخرج ا ويقال : لأنه دخل على ابنته ام كلثوم فنهاه بالظفر والقلبة على اقوم ..
فقال لها - متمللا - : أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله !!

وهكذا كانت البداية مع هؤلاء الخوارج .

أهل الاستقامة والسنة :

روى الحالم والمسعودى - فى معرض الحديث عن أهل الاستقامة ،
و د أهل السنة ، و د الخوارج ، - : إن اسم د الخوارج ، كان فى أول الأمر
من دواعى المدح ومقتضياته ، .. ذلك لأن المراد بهم - كما سبق الحديث وتكرر

عنهم - الطائفة التي خرجت - وتخرج - في سبيل الله للجهاد والغزو ، وكما نوه القرآن الكريم بهذا في قول الله تعالى : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ... ثم صار هذا الاسم فيما بعد سمة من سمات الذم على السنة المتأولين والغالين والرافضين ، وأصبح سبة يعير بها من انتسب إلى هؤلاء القوم ، ثم ازداد الأمر واشتد سبة وتعيراً وقبحاً حين فُعل الأزارقة والصفريّة والنجديّة أفعالهم المتشددة المستبدة تحت عبادة الخوارج ، وباسم الدين ، حتى أصبح اسم الخوارج من هذه الزاوية اسماً قائماً معتماً ، وأصبح من الأسماء التي اختق سببها ، وقبحت لغيرها ، ومن ثم ، ولم - هذا السبب نفرت الاباضية - وهي الفرقة المؤمنة حقاً ، والمستقيمة صدقاً - من إطلاق هذه التسمية عليها ، وأصبحت من ذلك الحين ، ولذات السبب ، تسمى باسم « أهل الاستقامة » ، لاستقامة أتباعها على جادة الطريق ، وانطباعهم بضابغ الدين الصحيح الصريح ، وعكس هذا كانت تسمية « أهل السنة » إذ كانت من الأسماء التي قبحت آنذاك حيث كان المراد بها ، والمقصود منها .. السنة التي استنتها معاوية وأصحابه في سب علي بن أبي طالب ، وشتمه وآله على المنابر ، وصارت « السنة » التي ينشأ فيها الصغير ، ويموت عليها الكبير عبر المجتمع الإسلامي كله ، حتى جاء الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز ، فغيرها ، وأبدل ذلك السبب والشتم في نهاية خطبة الجمعة إلى قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، ويهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ،

وغام الأمر - آنذاك - أمام الطريق التي يجب أن تخطو فوقه أقدام المسلمين وخطواتهم .. وتسامل الناس - في لهفة - : من هم الخوارج ، ومن هم أهل السنة ، ومن هم أهل الاستقامة ؟ حتى أسعفهم الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز ، ووضع أقدامهم على أول الطريق وانجد تساؤلهم .. ومن هنا عرف

الناس حقيقة الأمر ، وإن أهل السنة ، هم أهل الاستقامة ، هم الخوارج في أصغر صورة، وأبهى شكل ، وأوسع معنى ، وأعقد ادراك وشمول واحاطة : وهم في الحقيقة والواقع أهل النوران . الذين هم نقعة الارتكاز ، ومحور الدائرة ، وقطب الرحي ، والمنطلق الذي انبعثت منه الحركة الاباضية في العالم كله ، وعلى المستوى الشمولى المستوعب لشتى حركات الحياة .

التروة الاولى للمذهب :

في الحقيقة إن الخوارج هم نواة الاباضية ، وهم نقطة البدء في مسيرتها ومشوارها ، والخوارج لم يأتوا من خارج النطاق الإسلامى ، ولم يأتوا أو يبشروا بدين جديد ، وإنما هم قد واطنوا الإسلام في كل موطنه ، وداخل حدوده وأسواره ، وعایشوه أو عاشروه في وطنه ، وفوق أرضه وبين ربهوته ، ومع أبعاده ومسافاتهما ، وآماده وساحاته ، وهم لذلك — أوبالتالى — من اتباع الإسلام الخالص الاوفياء الامناء ، الذين حرصوا كل الحرص على التمسك به ، والنهذب بطريقته سلوكا وعملا ، ورجاء وأملا ، وهم يريدونه — كما بدأ الرسل به صلوات الله وسلامه عليه ، وتلقاه من ربه على يد جبريل أمين الرحي — ديناً سلوكياً عقائدياً ، يتعاقب مع كل سلوك ، ويتلاحم في كل فكر ، ويتراعى مذهباً ومبدأً وحتمية وضرورة عند كل فعل ، أو عمل من خلال ما يفعله أو يقوم بأدائه ويعمله كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ..

فالقوم — إذن — مسلمون ، عایشوا الاسلام في كل موطنه ، وفي جميع حالاته ومواقفه ، إلا أنهم أخذوه مأخذ التشديد ، ولم يفرطوا فيه أبداً ، أو يتهافتوا في أدائه ، وممارسته ، والتعم — امل مع كلياته وجزئياته وهوميته وفردانه .. وفي مقابل ذلك — وتأدية للأمر على أكمل وجوهه — فقد وضعوا أرواحهم

على أسنة رماحهم ، وربطوا حياتهم في شبا أسياقهم ، حشداً وتهيئة ، واستعداداً
وتهيئة ...

كما فعل خوارج النهروان حين باعوا أنفسهم وأموالهم لله غزواً في سبيله
وجهاداً من أجل دينه .

وليس شرطاً أن ترتبط مسيرة الخوارج بأهل النهروان ..

وليس شرطاً أن يكونوا ممن خرجوا على علي بن طالب ، أو غيره ...
وليس شرطاً أن يكونوا ممن خرجوا على بدعة التحكيم ، أو خرجوا على
التقاليد والمبادئ والأعراف التي تواطأ عليها بعض القوم ، واصطدمت بالدين
في بعض تطبيقاته أو جزئياته ..

لماذا لا يكونون الخوارج الذين خرجوا جهاداً في سبيل الله ؟

أو الخوارج الذين خرجوا عن أموالهم وديارهم وأهلهم وكل متعلقاتهم
في الدنيا تلبية لنداء الدين ؟

أو الخوارج الذين خرجوا على المصطلحات والأعراف التي تمجدها المجتمعات
وتخفى بها الأمم والشعوب ولو كان فيها مساس بأمور الدين ؟

كل هذه المعاني وأكثر منها يتقبلها منطوق الخوارج ، وتسع لها تلك
التسمية ، ويسعها اللفظ في مدارلاته وإشارات .. وكلها أيضاً واردة فيما تستهدفه
هذه التسمية من مسميات .. وعلى هذا فليس للخروج وقت ينطلق منه ، ولا مكان
يتلاقى مع خوارجهم ، وإنما يصح ويجوز جـ ـ دأ أن تبدأ خريجة الخروج أو
الخوارج في أي زمان أو مكان على مدى الحياة كلها إلى أن تقوم الساعة متى اقتضى
الامر ذلك أو استدعاه الحال، أو حتمه المقام .. أو نادى به الضرورة .. وأعنى بها
الضرورة الدينية ..

الإسلام النقي :

وعموماً - وبعد استقصاء واستحصاء ، ودرس وبحث . وتحليل وتلليل -
نبين أن، الإباضية هي الطريقة المثلى في الأداء الاسلامي ، وفي تعاطي الحياة ،
وفي التعامل مع الناس .. وأتمتها ودعاتهم الذين واجهوا موكب النفاق
وناهضوا أعاصير الشرك ، وعواصف الالحاد ، وعمدوا - بكل صرامة وشدة
وبأس - تلك الافاعييل الهوجاء النسكراء التي تبدى في سلوك المبطلين أو
المستهترين من الحكام والباطشين، سواء على المستوى الديني أو اتعامل الدينوى
بين أفراد وجماعات الأهم والشعوب .. تمشياً مع منطوق الدين ، واستجابة لدعواته
ونادياته ومتطلباته ..

وما أحوح الدنيا اليوم إلى هذا اللون المتميز في الفقه الاسلامي ..

ما أحوح الدنيا إلى دعاة الإباضية وأتمتها الذين من مهمتهم - ومن أولى
وظائفهم - إصلاح المسار الديني ، ومواخذة التسبب ، والقبح بشدة على
خناق الاستهتار والانحراف واللااخلاقيات ، وإعادة الانضباط في شئ السلوكيات
إلى هذه الحياة .

ومن الثابت علمياً وتاريخياً أن المذهب الاباضى قد شق طريقه في غدار
الحياة ، ووسط أحداثها ، وترك بصماته على كل شئ فيها واضحة غراء ، تشير
إلى إيجابياته ، وتوضح ملاحظها في مقتضياته ومنجزاته ... وهدوئه - على أصح
الوجه - مرتبط تماماً مع مبدأ الاسلام وطلوعه ..

فهو حركة سلوكية دائمة قائمة في الأشخاص الذين أسلموا وتحركوا
بها ، أو داروا معها في إطارها الاسلامي الصحيح ..

والمتبع لهذا المذهب يراه وقد انتسب إلى العالم النقي ، والحجة الثابتة

والمؤمن المجاهد، والمسلم — لم الغيور الامام عبد الله بن اَباض بن تيم بن ثعلبة التميمي من بنى مرة بن عبيد رهط الاحنف بن قيس .

ومن المؤكد التاريخي، ومن المعلوم بالضرورة، أن الامام عبد الله بن اَباض جاهر بدعوته في عهد عبد الملك بن مروان المؤسس للمثاني للدولة الاموية ..

ومن المؤكد التاريخي كذلك ومن المعلوم بالضرورة ، أن مد المذهب الاباضى لم يبدأ في حركته من عبد الله بن اَباض ، ولا انطلقت مسيرته أو شرارته من لدته ، ولا تحركت أمواجه أو فاضت سيوله ومياهه ، إلا حين حركها أو أفاضها عبد الله بن اَباض ، وإنما المذهب كان قائما فعلا ، وفي حركة وفي جولان وفي نشاط ، وفي إدراك تام وصحوة كاملة متيقظة ، وهو يؤدي دوره في تحمل المسؤولية ، والقيام بهم تبعاته على أيدي أئتمته الذين عايشوه وزامنوه وحلوا أموره وبذوره في عقولهم وحقولهم من لدن حبر هذه الأمة ، وبحرها الزاخر عبد الله بن عباس ، أو في الحقيقة والأصح من لدن صاحب الدعوة — أو على يديه — محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

معاً في مضمار :

وأعني بهذا، أن الفكر الاباضى بدأ مع الدعوة الاسلامية ، ونشأ معها جنباً إلى جنب ، أو عاش في ضميرها وسلوكها جنبيناً حياً متكاملين سوياً ، مع فعل النبي وتقريراته وتوابعها الدينية والسلوكية، ومع أفعال وتقريرات وتأديبات الصحابة والتابعين في شؤونهم الدينية والسلوكية .

وكان ذلك شأن المسلمين جميعاً آنذاك في عهد الرسول ﷺ وفي عهود خلفائه من المحافظة على الدين ، وضبط السلوك الحياتي ، والبرنامج اليومي على إيقاع الشريعة ، وهداه العقيدة ، وتعظيم السهام .

وما كان العالم — آنذاك — في حاجة إلى الافصاح عن حركة مذهبية تقوم على ترجمة المعاني الدينية ، والوصايا الالهية ، إلى تطبيق وفعل وعمل وإتيان .. ذلك ، لأن الجميع كان صائراً في الطابور ، وكان منتظماً في الصف ، ويمشون معا لذات الغرض والهدف ... فلم يكن ثمة نزاع أو شقاق ، ولم تغل الفتن بعد من حجورها وشقوقها ..

وكما يقولون : لا يكون الاطباء إلا حيث تتكاثر الامراض والادواء . فلما استشرى المرض ، وكثرت الالل ، وبدأت الفتن تغل برؤسها ، وبدأت المناوشات والمصارعات على الحبحم ومقتضياته ، وظهر في الميدان طلاب الجاه والمنصب والحكومة والخلافة ، ظهر في مواجهة هؤلاء جميعاً — وبالتالي والضرورة أيضاً — هؤلاء الأئمة الهداة ، وكشفوا عز وجوههم وشخوصهم ، وحملوا أرواحهم على اكفهم ، تهمياً واستعداداً لساعات الروح والفرح ، وتسلوا القيادات والمواقع — بعضهم من بعض — كباراً عن كبار ، وعرف كل واحد دوره ، الذي يؤديه ، وواجهه الذي يقوم به ، وقد ربط كل واحد مصيره بدوره ، وحياته بواجهه ..

ومن هنا لا عجب إذا قلنا إن الأباضية بدأت مفعنة عجيبة في ضمير الإسلام ، ومع بدء دوره ، ثم ظهرت — فيما بعد — كاشفة سافرة حاسرة تؤدي دورها وتقوم بواجبها في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان .. وتقوم دائماً ضد — أو عند — كل جور أو ظلم أو تعسف .. ويمكننا أخيراً — وعوداً على بدء — أن نقول : إن كل سلوك تنظيم شريف يؤديه أي مسلم في أي زمان وفي أي مكان ، هو سلوك أباضي في الشكل والمضمون ، والغاية والوسيلة ، والمقدمة والنتيجة ..

وليسمه العلماء والمصنفون ما يشاءون من التسميات، ويسلكه المؤرخون في أى تشكيل يريدون، وتحت أى بند يرون، أو مع أى فكر يجدونه ملائماً، وأضمن أى اعتقاد مواكب مناسب، وليطلقوا عليه جميعاً - من عند ياتهم - ما يختارون من أدوات التمييز والتفخيز، والأساليب الدالة المعبرة التى تبرهج الأمر، وتضخ النقاط فوق الحروف، فهو أولاً وأخيراً، وقبله وبعده .. وهو فى البدء والنهاية، وفى الحقيقة والواقع ونفس الأمر سلوك أباضى مائة فى المائة ...

شهادة وتقدير :

وحول المذهب الأباضى ومنهجه التاريخى والعقيدى والسلوكى، ومدى ارتباطه العميق الوثيق بالخوارج فى أعلا انماطهم وعبر آدابهم يحدثننا العلامة أحمد أمين فى كتابه وضحى الإسلام، - الجزء الثالث - فىقول :

إنه كان الخوارج ليعناصرانى تكبرن الأدب وتجعلله عقيدة راسخة لا تززعها الأحداث، وتضفى عليه حماساً شديداً تمون بجانبه الأرواح والاموال، وصراحة فى القول لا تخشى بأساً ولا ترهب أحداً، وديمقراطية صحيحة لا ترى الامير إلا كأحدم ولا العظيم إلا كأخادمهم، ولقد رسم أدهم الطريق الذى ينبغى أن يسلكوه رسماً مستقيماً واضحاً لا عوج فيه ولا غموض... يجب أن يعدل الخليفة والامراء ولا يعزلوا ويقتلوا، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة، وإن حادوا يقاتلوا ولا يحل محلمهم مسلمون مخلصون طاهرون ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ولا مجاملة ولا مواربة، ويجب أن يقابل الواقع كما هو، ويشخص كما هو، ويعالج كما هو على طريقة عمر بن الخطاب لا على طريقة عمر بن العاص، وكان من وراء ذلك كله نفوس بدوية غالباً فيها كل الاستعداد للقول، وفصاحة اللسان، وفيها كل ما تمده فى البدوى من قدرة على البيان وسرعة فى البديهة وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ، من هذا كله

نرى الخارجى قد اجتمعت له العاطفة القوية والاداة الصالحة للتعبير عنها . وهذا الذى ذكرنا قد جعل لادبهم لونا خاصا غير لون الادب المعتزلى، وغير لون الادب الشيعى . فأدب المعتزلة أدب فلسفى، فيه عنصر المعانى أغاب وأقوى ، وأدب الشيعة أدب باك ، أو أدب حزين على فقدان الحق، أو أدب غضبان على أن الخلافة لم توضع موضعها ، أما أدب الخوارج فأدب القوة، أدب الاستماتة فى طلب الحق ولشره ، وأدب التضحية؛ فلانستحق الحياة البقاء بجانب العقيدة، وأدب التعبير البدوى الذى لا يتفلسف ولا يشتق المعانى ويولدها كما يفعل المعتزلة ، هو فى بعض الأحيان أدب غضبان ، ولكن ليس غضبه من جنس غضب الشيعة ، فالشيعة يفتضون لشخص أو أشخاص، ولكن الخوارج يفتضون للعقيدة والإسلام عامة بقطع النظر عن الأشخاص، وإن نظروا للأشخاص فى ضوء العقيدة، لا كما يفعل غيرهم من النظر إلى العقيدة فى ضوء الأشخاص ، وقد يرثون ويكونوا أسكنهم حتى فى رنائهم وبكائهم أقبوا . يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ، ويكون الميت ليشتجوا الحى، ويؤبنون المفقود ليرسموا المثل الأعلى للوجود ، لا يعرفون هزلا فى الحياة، وبالتالي فلا يعرفون هزلا فى الأدب، ولا يعرفون خمرأ ولا مجنوناً... فلانجد فى أدبهم خمرأ ولا مجنوناً، إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمنة القاسية التى تخرج رجلا أقبوا لا يحرصون على الحياة، فكذلك أدبهم، كالذى روى أن مروان - أخا يزيد لأمه - دخل وهو صغير على عبد الملك بن مروان يبكى لضرب المؤدب له فشد ذلك على عبد الملك، وكان عنده أحد الخوارج، فقال له الخارجى: دع يبكى فإنه أرحب لشدةه وأصح لدماعه وأذهب لصوته وأحرى الأتأبى عليه عينه إذا حشرتة طاعة ربه فاستدعى عبرتها... لا ينجون الكذب ولا ينجون المعاصى فكانوا كما قال المبرد : والخوارج فى جميع أصنافها تبرا من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة فكذلك كان أدبهم حتى حين قال قائل :

بناتى أمنن من الضعاف

لقد زاد الحياة إلى حبا

فقال عمران بن حطان الخارجى :

وحبسا للخروج أبو بلال

لقد زاد الحياة إلى بنضا

وأرجو الموت تحت ذرى العوالى

أحاذر أن أموت على فراشى

لها والله رب العرش قالى

فن يك همه الدنيا فانى

ويقول قائلهم :

لبناتى لمن السابغات من الصبر

ومن يخش أطراف المنايا فإتنا

إذا ما مزجناه بطيب من الذكر

فان كزبه الموت عذب مذاقه

أراحت من الدنيا ولم تخزنى القبر

وما رزق الإنسان مثل منية

ويقول عيسى بن فانك الخارجى :

إلى الجرد العتاق مسومينا

فلما أصبحوا صلوا وقاموا

فظل ذوا الجعايل يقتلوننا

فلما استجمعوا حلوا عليهم

سواد الليل فيه يراوغونا

بقية يومهم حتى أنام

بأن القوم ولوا هاربنا

يقول بصيرهم لما أناهم :

ويهزمهم بأسك أربعوننا ؟

أألفنا مؤمن فيما زعمتهم

واسكن الخوارج مؤمنونا

كذبتم ليس ذلك كما زعمتهم

على الفئمة السكثيرة ينصروننا

هم الفئمة القليلة غير شك

وما من طاعة للظالمينا

أطعتم كل جبار عنيد

ومن أجل هذا كان كلامهم كسبهم، وخطبهم كقلوبهم، يصفهم عبد الله بن

زيد فيقول: إن كلام هؤلاء الخوارج أسرع إلى القلوب من النار إلى الحشيم، وبروى

المبرد: أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه، فرأى منه ما شاء، ففما وعدا،

ثم يحثه فرأى منه ما شاء أربا ودهاما ، فرغب فيه واستدعاه للخروج عن مذهبه
فراه مستبصراً عمقاً، فزاده في الاستدعاء ، فقال له : الخارجى : يا عبد الملك ..
أنتنيك الأولى عن الثانية ؟ وقد قلت فسمعت ، فاسمع أقل ، قال له عبد الملك :
قل ، ففعل الرجل يبسط من قول الخوارج ، ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ
بديّة ، ومعان قريبة ... فقال عبد الملك لقد كاد يوقع في خاطرى أن الجنة خلقت لهم
وأنى أولى بالجهاد منهم ... لقد كانت ثقافة الخوارج بحكم غلبة البداهة عليهم
ثقافة عربية خالصة لا أثر فيها لفلسفة اليونان كما هو الشأن في ثقافة المعتزلة ، ولا
أثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن في الشيعة ، إنما ثقافة الخوارج ثقافة أدبية لغوية
على نمط العرب في ثقافتهم ، وثقافة إسلامية على انتمط اليهود في عصرهم من تفهم
للكتاب والسنة في سهولة ويسر ، فان جادلوا في الدين فاحتجاج بطواهر النصوص
وتمسك ببحر فيتها ، فكان على أدهم هذا الطابع المتميز ، لقد كان مظهر أدهم من جنس أدب
العرب ، لا كتب مؤلف ، ولا بحوث تصنف ، ولا موضوع يحال ، ولكنه شعر
كثير ، وخطب كثيرة ، وحكم مأثورة منشورة ، وقد أنتجوا في هذا تناجساع
كثيره وبقى قليله ، ولو لم يحفظ لنا المبرد في كتابه الكامل طائفة سالحة منه لعمى
علينا أمره ، وقد دلنا هذا القليل المروى على الكثير الضائع ، كما لم يبق في أيدينا -
على ما أعلم - من دواوينهم إلا ديوان الطرماح الشاعر . ومن العجيب الغريب أن
أن أكثر ما عيب به الخوارج ، وأخذوا منه ، إنما هو كثرة صلاتهم ، واستغراتات
قيامهم ، وتبطلهم الهاجد في غفلات الناس ، وفي غفوات السحر ، ومع قرآن
الفجر ، وممارسة صلوات الليل ، وتعاطى العبادات ، ومعاملة السلوكيات التي هي
من صفات الانبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين الذين قال الله فيهم وفي أمثالهم
من نماذج الخير في الانسان :

• تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم

ينفقون .

والذين امتدحهم وحبب في الافتداء بهم ، وانتهاج مسلكهم ، ودعا لى طريقهم وطريقتهم ، وجعل منهم النموذج والمثال في قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ... »

أما كيف بدأت الاباضية ودرها ؟

إن التشريع الإلهى يستهدف أول ما يستهدف - فى إلهياته ، وعباداته ، ومعاملاته - خدمة البشرية ، والنهوض بالإنسان ، والترقى بهذا النوع وحده الذى قال الله فيه : « ولقد كرمنا بنى آدم ، والذى ائتمنه على الدنيا ، واستخلفه دون خلقه فى الأرض . »

إذ قال عز من قائل : « وإذ قال ربك لللائكة إني جاعل فى الأرض خليفة ، فالإنسان هو ملئقى السماء بالأرض ، وهو مقصد التنظيم الإلهى الحسى ، وهو البدء والنهاية ، والوسيلة والغاية فى خلق الدنيا ، وابتعاث الديانات . »

وإن المتبع للحركات التشريعية الجائية من السماء على السنة الأنبياء والرسل يجدها كلها لا تعدى هذا الغرض السامى النبيل ، وقد تحدث مع تأدية هذه الرسائل والنبوات معارك طاحنة بين الأنبياء والرسل من جانب ، وبين أقوامهم ومن يعز أو يصعب عليهم تفقيها أو قبولها من الجانب الآخر ، والنصر دائماً وفى النهاية لدعاة الله . وأصحاب الشرائع ، « إن العاقبة للمتقين ، ... »

وفى حياة الاسلام ، أو فى حركات المسلمين وتحركاتهم ، نجد أن هذا النوع من الصراع قد بدأ مبكراً منذ عهد عثمان بن عفان ، أو فى السنة السادسة من حكمه ، حيث أطلت العصبيات برأسها ، ومدت الفتن أعناقها ، وتطاوات العشارى بعضها على بعض ، امتداداً للمعارك الأولى التى خاضها النبى ﷺ مع أقوامه من قريش ، والذى انتهى به الأمر معهم إلى أن أخرجوه من مكة ، وشرذوا أصحابه هنا وهناك .

وبما زاد الطين بلة ، والواقع فتنة ، والنار اشتعالا ، أمر الخلافة آنذاك ، وما اعتورها وأحاط بها ، وطوقها . من السابق إليها ، والتصارخ عليها ، وأد القيم ، والاستهتار بالأخلاقيات والمبادئ في سبيلها ومن أجلها ، خاصة وأن الاسلام كان آنذاك لا يزال وليداً وجديداً في عمر الحياة وفي عقول الناس ، بما أتاح الفرصة لاعدائه ، والمتربصين به - من المنافقين والكفار - أن ينفثوا السموم في طريقه ، وأن ينفخوا الكيد والغیظ - حقدوا وحسداً ، وفيلادقالات - بين صفوف المسلمين ، وضعاف النفوس ، وأصحاب الاغراض والاهواء .. وكان الامر من أوله كان تلاحماً ضارياً ، ومعارك رهيبية - في صور شتى - على الدنيا وحياتها ، وإصابة أكبر نصيب فيها من الغنم والسكب ، والجاه والمال ، والالاقاب والمناصب !

إلا أن الله اللطيف الخبير بعباده وخلقه - وما يصلح حالهم وبالهم ، وما يحفظ لهم ، أو عليهم إيمانية الوعي والبصيرة ، وإسلامية الفعل والسلوك ، ومنهجية المذهب والعقيدة - حفظ على الدنيا هذا الدين ، وأبقى على الحق واليقين ، وأبنت غصون الشريعة ، وأنضج ثمار العلم والمعرفة ، وأوصل ذلك كله إلى الناس عن طريق القنرات والجسور ، من لدنه إلى خلقه ، وعبر المواطنين والضمان ، والاحاسيس والمشاعر ، وفي أعماق هذه الحياة ... وتحمل مسؤولية القيام بهذه التبعة ، وتأدية ذلك الواجب ، وحمل هذه الأمانة ، وإنجاز تلك المهمة الصعبة - أو كان الأبطال في هذه الملحمة الشاقة ، وتلك المعركة الشرسة - هم على الحقيقة هؤلاء الرواد الاشارس الذين قطعوا ذلك الشوط الطويل ، واجتازوا تلك المسافة الواسعة البعيدة ، وارتادوا هذه الجاهل الكأداء العذراء ، وقادوا من خلالها تلك الزخوف الاسلامية الموحدة ، وهذه الجحافل المؤمنة المجاهدة . فوق خريطة العالم ، وجغرافية الاسلام ، وأعلى هؤلاء المؤمنين الذين خرجوا على الفتنة والباطل .

وفي العقد الفريد ، والجمهرة ، والكامل عن بعض نقاة المؤرخين والاثبات أن بعضاً من الصحابة سألوا النبي ﷺ وقالوا له : يا رسول الله ، صف لنا الفرقة الناجية ، فقال ﷺ : الناجي من اتبع كتاب الله وسنتي ، أما قرأتهم قول الله في كتابه الكريم : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ..

الفرقة الناجية :

فالأبائية أصبحوا في الواقع — وفي نفس الامر — وعلى الحقيقة ، هم اللغة الصحيحة النصيحة ، والصيغة المشرفة الوضاعة بين الله والناس ، والغسدة الفشطة السليمة التي تفرز للدنيا ماهيات الدين ، وتقدم على موائد الانسانية ما لذ وطاب من علوم الحق ، وطيبات اليقين ، فهم الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي ﷺ في كل أحاديثه ورواياته .. وكان وجود هذا الصنف — أو النوع — من البشر ضرورة ملحة ، أو حتمية مقتضية ، استقطبت رحمة الله بعباده ، واستوجبت منهم مقابلة هذه الرحمة بألوان شتى من العبادات والتقربات ، وألما الشكر الخالص ، والعبودية الصادقة الصافية ، والاحتفاء بنعم الله ، والاحتفال بالآلانه ، وترية ذلك كله إلى السلوك الذي يحبه الله ورسوله .. وكان من مظاهر رحمة الله للفايضة الحانية أنه لم يترك عباده هكذا — في هذه الدنيا — ضياعاً أو زاعاً أو هملاً ، أو كميات هابطة ساقطة ، تحت ركامات الشك ، وانقاض الفتنة ، وخرائب التيه ، وأطلال الحيرة والفاق والتخبط والاضطراب .

ولما كان من حتمية الوجود الانساني ، وضروريته — لتأكد فاعليته ، وينمو وجوده ، وتستمر معه الحياة — أن يعبر الطريق ، ويجتاز الجمر من الحاضر إلى الماضي ، ويصاحب التاريخ ، ويرافقه في كل خطواته ، ومع أبرز العناصر التي أثرت فيه بالإيجاب والسلب . والثبوت والنهي ، كان حتماً مقتضياً

أن يصطحب الإنسان مع التاريخ تلك الغثة الهادية المهذية ، التي حملت أرواحها على راحتها ، وحياتها على أصلحتها ، وهبت وقت الفزع والروع ، مطالبة بإنسانية الإنسان ، وكيونته البشرية في نفاق ما شرع الله ، وفي الإمار الذي خطته يد القدرة ، وحبك لسيجه الشرع ، وتكفلك به عبادة الإسلام ، وهمل على ترجمته وتطبيقه سلوك محمد عليه الصلاة والسلام ..

وهل هناك من هو أتمى وأنقى ، وأبر وأرفى في تأدية هذا الدور العظيم ، والقيام بهذه الرسالة الكبيرة الخطيرة غير الأباضيين ؟

وهل هناك مذهب يتلاحم في هذا الترقى الروحي ، أو يتلام مع ذلك السمو الثمريعى الفقهى غير المذهب الأباضى والاباضية عموماً ؟

وهل هناك فوق ظهر الأرض ، وفي جيوب ، وبين طبقات وطبقات الحياة من يمكنه أن يستوعب هذه التعاليم الإلهية ، أو يستطيع أن يستعطب تلك المواجيد السكونية السماوية ، غير إنسان أباضى — صادق الاباضية — مصدره من الله ، ومورده إلى الله ، وحياته بين المصدر والمورد ودائماً مع الله ؟

الأمانة العظمى والاباضية :

إن الاباضية — [نصافاً للحق — حملت الأمانة العظمى ، والواجب الذى يقتضيه الاسلام بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد خليفته [إبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين بدأ عمود الاسلام يتخلخل أو يتزلزل بعض التواء ، بل حتى — فى الواقع — مع اطلالة هذا الدين ، وإشرافه تلك الدعوة ، ضرورة أنها دعوة الفطرة والحلقة والجبلة التى يستقيم عاينها الأهر ، ويعتدل بها السلوك ، وهى بلاشك قد عملت فى أنفسهم العمل كله ، وامتزجت بهم وبكلياتهم امتزاجاً بصاحب الدعوة والذين معه ، إقتداءً بسلوكه وتمشياً أو تأسياً بمنهجية أصحابه ، ثم تشخصت أخيراً ، وتجسدت فى هؤلاء الذين جاهاوا بها ،

واعتقوها مذهبا ، وأعلنوها في إطارها المختوم المرسوم في عهد المؤسس الأول والمؤسس الثاني للدولة الأموية ، معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان. ومن المعلوم بالضرورة أن الذي سجل بظهور الدعوة الإباضية على مسرح الواقع هو ما اعترى العالم الإسلامي حينئذ ، وما أحاط به وطوقه من الاضطرابات السياسية ، والفتن الداخلية ، والطوفان الرجيم الهائل ، والاعاصير المعرودة المسعورة من المذاهب الفلسفية الواردة ، والنظريات الفاسدة الماحدة، والأفكار الغريبة الوافدة ، على محيط الدولة الإسلامية ، والتي جاء بها آنذاك الفرس والروم والهند واليونان ، والتي أدخلها مساعد على إنتشارها السوفطائيون وعلماء الكلام ..

ماذا كان قبل الإباضية؟

هذا .. ولقد ظهر على مسرح الحياة عبر المد الديني ، والحركة الاعتقادية أربع فرق أصلية ، وتفرع عن تلك الفرق فروع وجيوب ، بلغ عددها كلها لأئتين وسبعين ناحية أو فرقة أو منعتفا ، وكلها كادت تحطم كيان الدين ، أو تهز العقيدة ، لكثرتها وتعددتها، وثقلها ... أولى هذه الفرق ، أو الفرقة الأولى هي :

(أ)...المعتزلة:

والمعتزلة أربع عشرة فرقة كما يلي :

- ١ - الواصلية ... أصحاب أبي حذيفة وأصل بن عطاء الغزال
- ٢ - الهذيلية ... أصحاب أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة
- ٣ - النظامية ... أصحاب إبراهيم بن سيار بن هاني النظام
- ٤ - الخياطية ... أصحاب محمد بن أحمد بن خياط
- ٥ - البشيرية ... أصحاب بشر بن المعتز

- ٦ - المعمرية ... أصحاب معمر بن عباد السلي
- ٧ - المزدارية .. أصحاب عيسى بن صبح الملقب بالمازدار
- ٨ - الشامية .. أصحاب ثمامة بن الأشرس النميري
- ٩ - الجاحظية ... أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ
- ١٠ - الخياطية ... أصحاب أبي الحسين بن عمر الخياط
- ١١ - الجبائية ... أصحاب أبي علي محمد بن عبد الرهاب الجبائي
- ١٢ - الجهمية .. أصحاب جهم بن صفوان
- ١٣ - النجارية ... أصحاب الحسن بن محمد النجار
- ١٤ - الضرارية ... أصحاب ضرار بن عامر

(ب) ... الصفائية :

والصفائية خمس عشرة فرقة كما يلي :

- ١ - السكرامية ... أصحاب محمد بن الكرام
- ٢ - البيضمية .. أصحاب محمد بن البيضم
- ٣ - الأشعرية .. أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري
- ٤ - المالكية ... أصحاب مالك بن أنس الأصبحي المدني
- ٥ - الحنفية ... أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت
- ٦ - الحنبلية ... أصحاب أحمد بن حنبل
- ٧ - الشافعية ... أصحاب محمد بن إدريس الشافعي
- ٨ - الداودية ..
- ٩ - السكشمية ..
- ١٠ - العابرية ...

١١ - الثورية ...

١٢ - الرزنية ...

١٣ - الاصحاوية ...

١٤ - الواحدية . .

١٥ - الظاهرية ...

(ج) ... الخوارج :

والخوارج ست عشرة فرقة كما يلي:

١ - الوهبية . . أصحاب عبدالله بن وهب الراسبي الازدى

٢ - الازرقية . . أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق

٣ - النجدية . . أصحاب نجدة بن عامر الجنفى

٤ - العطرية . . أصحاب عطية بن الاسود

٥ - الاعمية . . أصحاب زياد الاعسم

٦ - الصالحية . . أصحاب صالح بن مسبروح

٧ - البيسية . . أصحاب أبي بهس البيضم بن جبار

٨ - العجرية . . أصحاب عبد الكريم بن عجرد

٩ - الميمونية . . أصحاب ميمون السعدى

١٠ - الصنرية . . أصحاب زياد بن الاصفر

١١ - الحنضية . . أصحاب حفص بن أبى المقدام

١٢ - الثعلبية . . أصحاب ثعلبة بن كاتم

١٣ - الاخفسية . . أصحاب الاخفس بن قيس

- ١٤ - الحازمية ... أصحاب حازم بن علي
١٥ - الحلافية ... أصحاب خلف بن يحيى الخارجي
١٦ - السعيدية ... أصحاب سعيد بن محمد الأباجي

(٥) .. الشيعة :

والشيعة سبع وعشرون فرقة كما يلي :

- ١ - الكيسانية ... أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب
٢ - المختارية .. أصحاب المختار بن أبي عبيد
٣ - الهاشمية .. أصحاب أبي هاشم بن محمد بن الحنفية
٤ - البنانية ... أصحاب بنان بن سمعان النهدي
٥ - الرزامية ... أصحاب رزام بن غيلان
٦ - الزيدية ... أصحاب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
٧ - الجارودية ... أصحاب أبي الجارود الهذلي ،
٨ - السليمانية ... أصحاب سليمان بن جرير
٩ - الصالحية .. أصحاب الحسين بن صالح بن يحيى
١٠ - الامامية .. القائلون بامامة علي بن أبي طالب بعد النبي نسا وتعييننا
١١ - الباقرية .. أصحاب محمد بن الباقر
١٢ - النوسية ... أصحاب ناويس بن جعفر الكناني
١٣ - الاسماعيلية ... القائلون بامامة اسماعيل بن جعفر بعد أبيه جعفر
نسا وتعبيا
١٤ - الأبطحية... القائلون بانتقال الامامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأبطح .
١٥ - الأسطية ... أصحاب يحيى بن الأسط
١٦ - الموسية ... القائلون بامامة موسى بن جعفر

١٧ - الغالية ... الذين غالوا في آثمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة إلى حدود الالوية

١٨ - السبئية ... أصحاب عبد الله بن سبأ بن عبد الله

١٩ - السكالية ... أصحاب أبي كامل الذي كفر جميع الصحابة بقرتهم بيعة على

٢٠ - العلائية ... أصحاب علي بن ذراع الأسدي

٢١ - المغيرية ... أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي

٢٢ - المنصورية ... أصحاب منصور العجلي

٢٣ - الختائية ... أصحاب أبي الخطاب محمد بن زئب الاجدع

٢٤ - السكيالية ... أصحاب أحمد السكيال

٢٥ - الهشامية ... أصحاب هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة

٢٦ - النعمانية ... أصحاب محمد بن النعمان المكتوب بشيطان الطاق

٢٧ - البصرية، والاسحاقية، والباطنية، والقرمطية، والمدركية، واليعلمية .

وهذه كلها فروع لفرة واحدة هي تكلمة السبع والعشرين فرقة هذا .. ويلاحظ أن بعض أفرع تلك الفرق ، أو بعض مذاهبا يلتقى تماما مع المذهب الأباضي في الشكل والمضمون، ولا يبعد عنه كثيرا أو يختلف كبيرا أو يتعارض مع الحق أبدا على أي شكل... وذلك من مثل المذهب الحنفي، والمذهب المالكي. والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي .. فكلمهم سار على الطريق الذي حدد النبي ﷺ منه نقطة الانطلاق، وتابعا في مسيرتهم تلك، شيوخ الصحابة وأجلاء التابعين رضی الله عنهم أجمعين. وكأذاهم على إخلاصهم في فهمهم ومعتقدهم بخير ما يكافأ به أئمة المسلمين... ولنا عودة في مؤلف آخر خاص بذكر الفرق الأربعة وشرح الفروع الاثنتين

وسبعين فرعا التي تفرعت عنها ، ودور التلاسنة والمتكابين معها ، واتقا الاضواء على خلفيه تلك الفرق ، وتوضيح مذاهبها ، وتبيين اتجاهاتها وملاعها ، وما تستهدفه وتتغياها في مسيرتها ، من حيث المنهج والسلوك ، ومناقشتها فرة فرة ، واجراء حوار ونقاش معها يتبين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود من النجر ، وات الموقف والهادى إلى سواء السبيل .

أحماض وأمراض :

ومن هنا — ومن ذلك المنطق والمنطق ، ونتيجة لكل هذا — كانت الاباضية أشبه بالهزات الايجابية التمسالة ، والزلازل المؤثرة العاملة ، التي تسقط الأوراق الجافة والأغصان الذابلة ، والاجزاء الضامرة الهزيلة من جسم الامم ، وهيولا الشعوب ، وكيونة الأفراد والمجتمعات والدول ، ونتيجة لذلك أثمرت تلك الهزات والزلازل حصصاً متميزاً ، وحاصلاً طيباً صحيحاً ، تمثل في القضاء على الخرافات والاباطيل ، والشعوذات والجهالات التي تعترى السلوك العقيدى الذى يدين الله به عباده ، والذي يتقرب العباد من خلاله — وعبر أنابيه وقنواته — إلى الله تعالى .. وفي الوقت نفسه ساهمت — أعنى الاباضية — في خبطة عملها ، وعلى خريطة برنامجها ، بالعمل الجاد على تحرير العقول وتخليصها من افتراءات المشعوذين والدجالين الذين يستترون تحت عباءة التقوى ، ويختبئون في ظل ما يزرعونه أو يبعثونه في وجوههم من شعيرات أو غابات اللحى والذقون التي يتخذون منها فخاخاً واشراً كالاكلاضياذ السذج ، وإيقاع البسطاء في حنائرها ومسئقعاتها ، .. فالأباضية هي الصورة الكبرى ، والنقطة العظمى ، والبعد المتيقظ الواعى لهذه الامة التي هد كيانها الخلف "سياسى ، وأنقل كاهلها الاستعمار النكرى ، ووافدت الهند واليونان ، والفرس والرومان — كما أسلفت — من المقولات الوضعية ، والآراء الرخيصة ، والاجتهادات النارغة التافهة التي تأمرت على إفشال الوعي الاسلامى ، وإفلاس الفكر العربى ،

وتصنية التقاليد والعادات والأعراف والموروثات التي يعتز بها المسلمون والعرب، والتي تهدد دائماً بامتلاك الأرض، وانتهاك العرض، والتي تمثلت أخيراً في الماسونية، والصهيونية، والشيعوية، والوجودية، والتي تمثلت قبلاً، وتجددت فعلاً في المائونية، والمزدكية، والديصانية، والمزقوبية، والمكثوبية، والصابئة، والدهرية، والبراهمة، والسكبلية، والبهادونية، والباشمونية، والناهودية، وعبادة السكواكب، واليعسوتية، والبوذعانية، والموسكانية، والعتانية، والنعنانية، والنسورية، واليعقوبية. والممكانية، والبلارصية، والمغتائوسية، والبرطونية، والسك الهائل من ذلك الطوفان الذي كاد أن يفرق أو يتلع الأمة الإسلامية جمعاء. بأثره المدمرة، وعدواه الغائلة القاتلة. . .

فالاباضية في الحقيقة — ومع الحياض التام، ودون تحيز — هم الذين حووا العالم الإسلامي كله، وأقاموا حوله ستارا ودارا، وأحاطوه بسياس قوي منبع، ونطاق محكم رفيع، حناظا عليه. وصونا له من هذه التيارات الجارفة، وهذه الأمواج الباطشة الزاحفة. . .

والاباضية — برجالها الأبطال — كما حووا الفكر الإسلامي العربي من التأمير عليه، والسكيد له، والعمل ضده، حوماً — كذلك — الوطن العربي المسلم، ودفعوا عنه عدوه، ودافعوه حتى حمل عصاه فوق كتفه، ورحل إلى غير رجعة فهم الذين حاربوا معركة الجزائر، وتونس، وليبيا، ولبنان، واليمن، ومراكش والمغرب العربي كله، وامتدت رماحهم وزحف سيوفهم خارج نطاق العروبة، وطالت بلادا إسلامية كاد أعداء الله أن يكيّدوا لها، أو ينالوا منها، أو يطأوا أرضها، أو يحتلو فيها الديار والاقطار، وبالذات في شرق أفريقيا وجزبار... وهم في طبيعتهم الأخيرة ولنسختهم الوحيدة التي لن تتكرر

وعلى وجه التعميم والتنميط ، - في كلهم وأحاديثهم ، وجمعهم وجميعهم -
تصحيح لمسيرة الإنسانية في معتقدها الديني ، وتصويب لكل ما يتورط الحياة ، أو
يعترض طريقها - وبالأخص في جانبها الروحي - من أخطاء وأغاليط .

قَالَهَا ... لا:

وهم هذه الطائفة المؤمنة الواثقة في الله التي استطاعت وحدها أن تقول -
في وقت يعز فيه القول - : لا ، للبلوك والأمراء ، واستطاعت بالتالي -
وبكل قوة وجسارة - أن تترجم هذه ، اللا ، إلى عمل وفعل ، فهي التي دفعت
إمامها عبد الله بن أباض المؤمن القوي لأن يرسل كتابه ، - الذي شرق التاريخ
وغرب ، وأرجز في ما تياته وأظنّب - إلى عبد الملك بن مروان ، ويقول
فيه ما تشعر له الأبدان ، ويشيب من هولته الأطفال والردان ! ... وهي التي
حرصت - كذلك - خطيبها المفوه ، وفارسها المغوار ابن فهر الأزدى أباحزة
الختار ، على أن يعتلى منبر المدينة ويخطب خطابه الذي كان ناراً وسعيراً ، وجهنم
وزفيراً . راح يحرق من يصادفه أو يلتقى به من أمراء بني أمية الجائرين على مدى
التاريخ الأموي في كل زمان أو مكان ؟!

والأباضية - في بحلمها - رد فعل عنيف لما شاب العالم وقت ظهورها ، وساده
وانتشر فيه ، من فساد وعبث ، وتسبب وانحراف ، ومادية ناهشة ، وطيفية
طاحنة ، واختلال في كل الموازين ، وعلى جميع المستويات ، وهي أشبه ما تكون
بصمام الامن أو د الفرامل ، التي تحمك السيارة ، وتتحكم في حركتها ، بالنسبة
لاوضاع العالم ، والتيارات المختلفة فيه ، والرياح العاصفة التي كانت تتناوح بين
جدرانها ، وتلطمه دائماً ، وتتصارع عليه لتعصف به وتبعثر ما فيه !

وإذن ، وبعد هذا الذي قدمت - وفي ضوء الرسالة الكبرى ، والامانة
العظمى التي ألزم بها الأباضيون أنفسهم - ينبغي أن نسلو في الأفق هذه

الاستنهامات والأسئلة ، كي تثير الطريق أمام الباحث أو الدارس أو المهتم بأمر هذا المذهب...

كيف ، ومتى نشأت الإباضية ؟ وعلى يد من قامت هذه الطائفة ؟ وما أهم وأوضح تعاليمها وأصولها ؟ وما الضرورة التي اقتضتها وحثمت ظهورها ؟ وما هي الظروف والملايسات والعوامل التي ساعدت في انتشارها على مستوى العالم بخطوات واسعة ؟ وما هو الدور العقيدى الصحيح الذى قامت به ، وتبنته ، ودعت إليه في الكيفية التي عبدت بها الله ؟ والطريقة التي يجب أن يمارس بها العبادة ؟ وما هو السلوك المنهجى لتلك الطائفة ؟ ١

أقدم من إسمه :

من الثابت تاريخياً أن المذهب الإباضى في عمان أقدم من إسمه ، كما أن الإباضية في عمان قديمة قدم الإسلام فيها ، كذلك تعتبر عمان الوطن الأم للإباضية في العالم الاسلامى .

ومن المحقق كذلك أن الإباضية لم تنسب إلى أى شخصية فقهية تشريعية عقيدية قبل عبد الله بن أباض الذى عاصر معاوية بن أبي سفيان - ٤٠ - ٦١ هـ - مؤسس الدولة الاموية الأولى ، وعبد الملك بن مروان - ٦٥ - ٨٦ هـ مؤسس الدولة الاموية الثانية ، ونحن نرى من خلال الرسائل المستوعبة ، أن الإباضية هي أول الفرق الاسلامية التي تعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجتهاد ، وأن الايمان في منظورها تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالاركان .. ومن يستوعب التاريخ الإباضى ، ويتبع دراسته ، يرى أن المسلمين في عهد الرسول ﷺ آمنوا بما أنزل على الرسول ، ولم تكن لهم حاجة إلى تأويل القرآن ، أو بحث المتشابه فيه ، وبعد وفاة الرسول - وبعد انتشار الاسلام - أخذت الجماعة الاسلامية تحاول فهم العقيدة ، وتحاول شرحها ، وظبغى جداً أن يختلف

المسلمون في الشرح وانهم ، وحين ظهرت الفتنة الأولى في الإسلام ، بعد السنين
الست الأولى من خلافة عثمان . وأدت ما أدت إليه من اختلال وخبال في الفكر
الإسلامي عامة...

وبدأ أهل اندعوة يتلصون الحلول من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث
النبوية ، والسنة الشريفة ، وبدأوا بالتالي يتسامون - فيما بينهم - عن المسلم
الحقيق ، وعن الإيمان ، وعن جوهر العقيدة ، وعن مسئولية الإنسان ، وعن
إرادة الله ، وصفاته وأسماؤه ؟

وطبيعي جدا ان المسلمين الأوائل كان تنكيرهم اسلاميا عربيا خالصا ، ثم
بعد ذلك اتصل الفكر العربي بثراث البلاد التي فتحتها هؤلاء العرب ، وبدأ يظهر
في تنكير المسلمين استيعابهم للفلسفة والفكر ، والدراسات القديمة السابقة على
الإسلام .

مع ملاحظة أن المذهب يعتمد كثيرا في مقوله ومنقوله ، وبحوثه ودروسه
على عبد الله بن عباس حبر الأمة ، وفقه السنة ، لاسيما في التفسير والأحاديث ،
فهو بحق كما يعتبره ، الأباضيون - وكما يعتبرون معاصريه معه كذلك من
أصحاب رسول الله - الحلقة الأولى لسلسلة المذهب الأباضي .

ولا شك أن الأباضية قد أصبحوا مرآة النهضة العلمية الإسلامية على مدى
التاريخ الإسلامي كله .

فالأباضية هم رمز الحضارة الإسلامية الأصيلة التي استمدت أصولها من
القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والحديث الشريف .

على مستوى العالم :

وعموما ، فلقد أسدت الأباضية إلى المجتمع الإنساني كله العلم والعمل ، والفكر ،
والإيمان ، والخلق . . . والمذهب الأباضي في جملته تارة يمثل الفكر السياسي

الإسلامى البحث ، وتارة يمثل الفكر الإسلامى المستمد من الثقافات والعقائد السابقة على الإسلام .

ومن ناحية التاريخ ، فإن الفكر الأباضى له نظرة عالمية إسلامية ، تقوم على مساحة واسعة ، وتعبّر عن فكرة وحدة الأمة العربية الإسلامية .

ثم ان من جملة المذاهب الإسلامية — بل أول المذاهب على خريطة التاريخ — مذهب الأباضية المعتمد على الكتاب والسنة والاجماع والقياس فيما لم يرد فيه نص ...

وهذا المذهب أقدم المذاهب تأسيساً ، وعلماؤه أكثر العلماء تأليفاً ، فهم أول من دون تفسير القرآن ، وأول من دون الحديث ، وأول من دون الفقه والأصول ، وكثيراً من العلوم والفنون .

ولم يكن عجيباً أن يزدهر عمان منذ فجر الإسلام ازدهاراً كبيراً ، فهى فى ذلك مكملته لمسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين ، وقد دفع الإسلام عمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة ، وساهم مساهمة فعالة فى إثراء الفكر العلمى ، وفى ارساء النهضة العمانية المجددة .

وأصبحت عمان العربية الإسلامية مركزاً علمياً هاماً فى الدولة الإسلامية ، والشامعة الأرجاء ، وظهر دورها الفعال الواضح فى مختلف نواحي الحضارة الإسلامية ، دون أن تفرط فى علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التى اتصلت بها منذ أقدم العصور ، حتى العصر الحاضر ، بحكم موقعها الجغرافى ، وصلاتها البحرية ، والتجارية ، والسياسية ، والثقافية ، والعلمية عموماً ...

وليس عجيباً أن يتواصى الأباضيون فيما بينهم — عن طريق فـكـرهم ومؤلفاتهم — على تنظيف عقول المسلمين ، وتطهير العقل البشرى العام ، بما

أصابه وعشش فيه من بقايا الكفر، وعبادة الأوثان، وما وفد عليه وأظله من ترهات المجوسية، وأباطيل البراهمة، وسقطات الصابئة، وأضاليل الدهرية وجهالات الفلاسة، وسفسطة المزيدين...

كما تواصلوا — بالتالي — على أن يضعوا الخطوط الحمراء، وكل الصيغ المنفرة المحذرة، تحت — أو فوق — الفكر الجريء الذي تورط فيه المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والمعطلة، والمشبهة، والجسمة، والصفائية، والحشوية، والمرجئة، وغلاة الروافض والخوارج والشيعة، والزيديين وغير ذلك من الفرق التي سأتناولها بالإطناب والاسهاب في مؤلف خاص ضمن سلسلة عمان والامبراطورية العربية.

أم المذهب :

ان عمان — بما تميزت من علماء وعالمات في المذهب الإباضي — قد أثرت الوعي الإنساني، وأتمته، واحتضنت التراث وصاغتته من عوادي الزمن وبعثت الفوضى وسلبيات الأيام... والمتتبع لتاريخ ومسيره الحركة الفكرية الإسلامية كانت أوعربية - على مدى الوعي العماني، ومن خلال أرضياته، وخلفياته، وفي كل الجيوب، وبين دها ليزه ومعطفاته، ليدرك تماما ما لعمان من اليد البيضاء، والفضل العظيم العميم، ويلمح قطعاً ما خلفته عمان عبر بصايتها، من المآثر والمفاخر، والمعطيات والإنجازات التي وقفت شاحنة شاهقة، شاهدة على مجد الإنسان، في وطنه عمان...

وكما أسلفت القول: فإن الآشريعة السماوية تستهدف أول ما تستهدف خدمة البشر، والنهوض بالإنسان، والعمل على إبعاده، واشباع نوازح الخير فيه، والنهوض به، إلى أرقى الاطوار، واعلا الأدوار في سلم التحضر والترقي،

ليتمكن عن جدارة من خلافة الله في الأرض ، واستعمار كل ذرة فيها ، واستنباط عناصرها ، واستخراج طبياتها لخدمة النوع ، وخير الحياة ..

وكان السبيل إلى ذلك كله ، هي شرائع السماء التي جاء بها الأنبياء والمرسلون ، وأوصلوها إلى أقوامهم وذريهم ، وتحملوا في ذلك ما تحمله مما قصه القرآن الكريم ، وأفاضت به كتب السنة ..

وكانت الشريعة الإسلامية هي خاتمة المطاف في رحلة الدعوة إلى الله من لدن آدم إلى نبينا محمد ، وما كان بينهما من أنبياء ورسول عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، وعاشت مفاهيم الرسالة ، ومضامين النبوة ، وتعاليم الشريعة في قلوب ، وفي سلوك المسلمين بدءاً من صاحب الدعوة والذين معه إلى يومنا هذا .. وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

وبدأ البحر الكبير ، أو المحيط اللامحدود - وأعنى به الإسلام - في توزيع روافده ، وشق قنواته وطرائقه إلى عقول وحقول الإنسانية في مسيرتها الكبرى ، وامتد زحف الإسلام دون توقف إلى كل مكان فوق جغرافية السكون ، وفي خريطة الوجود ..

ودخل الناس جميعاً في دين الله ، وتسابق العلماء إلى استقطاب مسائل هذا الدين ، حرصاً منهم على التوغل فيه ، واستيعابه ، وفرض تعاليمه وسلطانته على العقائد والسلوكيات التي يعتقدونها ويسلكونها كل إنسان على مدى - ومن خلال - الإنسانية جمعاء ..

ومن هنا ، أصبح للفهم الفردي ، أو الفهم السكلي الجماعي - المتمذهب بمذهب واحد - أسلوبه وطريقة تنكيهه في أخذ هذا المذهب ، وممارسته ، والتعامل معه ، مع ملاحظة البيئة والجو والمتغيرات التي يزامنها ، ويعيش فيها ، ويخضع لظروفها وملابساتها ، وأسلوب الحياة فيها ..

علاق بين الأقرام :

هذا .. ويلاحظ أكثر من ذى قبل أن المتتبع للمارك الأباضى ، والطريقة الأباضية عند معتقها، يرى أن هذا المذهب وهو يستعرض - في أفنة - بهز الانجاهات والعقائد التى جابها بعض المتفلسفين على الفكر الإسلامى ، واتى دخلت - هاجمة - على مقدسات البيئة ، واختلطت اعتباطاً - أو عن سوء قصد - بمعطيات الإسلام ومنجزاته ، من أمثال الفلسفات اليونانية ، والتصوف الهندى ، والمحاورات السوفسطائية ، والمنافسات البيزنطية ، والجدل الاغريقى ، وما تخلفه هذه العقائد فى النفس من رواسب وأوسار - قد تفسد النفوس ، وتهدد العقول - لا بد لها من مواجهة ومصادمة ، وقوة مضادة ، وإلا اكتسحت وزحفت ، ومن هنا كانت حتمية المذهب الأباضى الذى طلع مع مطلع هذه العقائد والمناسد ، فى أفق واحد ، وعلى أرضية واحدة ، وكان لا بد من التصادم والتضاد الذى يستطيع أن يدفع عن أرض العروبة وعقيدة الإسلام ما حاول هؤلاء الخبثاء الدهاة أن يثروه ، أو يذوره فى عقول وفى حقول المسلمين ، وكان قدراً مقدوراً أن يصادف خروج هؤلاء الفلاسفة الغازين الزاحفين خروج الأباضية الذين اتنهم الله على دينه ، واصطناهم حراماً على العقيدة ، حماة للإسلام ، دعاة له ، مجاهدين فى سبيله... أضف إلى ذلك ما كانت عليه الأمة - بعد وفاة الرسول ﷺ - من اختلاط الحابل بالنايل ، والعالم بالجاهل ، والارتداد ، والجاهلية ، مما أيقظ الفتنة ، وتصابح على العصبية ، وأحيا الشعوبية من جديد ، ونفخ فى بوق القبليات ، مما قد يكون له أسوأ الأثر على حياة الدعوة ، وقد يودى بها بالمرة ، ويقضى عليها تماماً...

ومن هنا. جاء الدور الأباضى فى وقته ، وفى الحساب المعلوم المرسوم

الذى قضى به الله ، وسارت عليه سنته ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً..

كانا على موعد :

ومع مجيء هذا الدور البطولي ، جاء إلى المسرح هؤلاء الأبطال والاباضية ،
— الذين تجردوا خالصين مخلصين منطلقين من عمان قاعدة الاسلام المتينة
ومن غيرها من البلاد الاسلامية — رجالا أشداء العزيمة ، أقوياء الشكيمة ،
نذروا أنفسهم لله ، وباعوها بيع السماح ، وحلوا الأرواح على الراح ،
وامتشقوا السيوف والرماح ، خارجين كالليوث الكواسر ، والسباع الضواري
بجاهدين في سبيل الله ، ومن أجل الدين والعقيدة ، تحت الراية الاسلامية المهودة
في آفاق الحياة ، والتي كتب الله خطها ، ورسم خطوطها ، وزين أبعادها
وأماها ، وجمل نطاقها وحدودها بقوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم
سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ، ١١

وهكذا .. يمكننا الاعتقاد تماماً ، والجزم الأكيد اليقين ، إن هذا المذهب
الاباضي لم يأت من فراغ ، ولم تقذف به الظروف على شاطئ الكون اعتباراً
ومصادفة ، بل إن له خلفياته التاريخية الواسعة ، وأرضياته الثابتة الشاسعة ،
ومنطلقاته العريضة التي مكنت الفكر الاسلامي ، أن يتحرك من خلالها ، وأن
ينطلق عبرها وبين جنباتها غازياً مجاهداً ، متخففاً ، تتجرداً هدفه الله ..

وهكذا كانت الاباضية — فوق أرض عمان — نجدة المستغيث ، وغوث العائذ
اللائذ ، ورجاء الصارخ المكروب ، وأمل الأمة ، ووحيدة الاسلام في أول
مخاضه ، ونصيرة الدعوة في الوقت الذي تناثرت فيه الآراء ، وتبعثرت الأفكار ،
وغام الوعي ، وضل الطريق تحت أقدام الغزاة الدعاة ، المجاهدين في سبيل الله ،
وصدق الله إذ يقول : « وإن جندنا لهم الغالبون ، ١

وهكذا مرات عديدة ، خرج هؤلاء المغاوير من النهروان ومن عمان إلى
مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، حيث زردوا الماء من مناهله ، وتلقوا

خالص الدين من الانتصار والمهاجرين وأمّات المؤمنين ، وعلى رأسهم عبد الله ابن وهب الراسبي - فيما بعد - ، وجابر بن زيد الفرقي النزوي - أولاً - وفي زمن متباعد بعض الشيء . وغيرهما ، وتلذذوا هناك ما شاء الله ، وما يسر لهم من أصول هذا المذهب وفروعه ، وتزودوا بالكثير من آياته وبناته ، وأمکن - بالتالي - لسكل من الراسبي والنزوي - كل في زمنه ووقته - نشر هذا المذهب بين الصفوف العمالية المتراصة ، وذهب به تلامذتهما غرباً وشرقاً ، وفي جهات العالم الاصلية والفرعية ، يؤدون الرسالة ، ويلغنون الامانة ..

وفي مستهل القرن الثاني بدأ انتشار غرس جابر وازدهاره في عمان وفي غيرها حتى نضج وأينع ، وأشتى وأربع ، في المغرب العربي كله ، وفي مصر ، واليمن ، وحضرموت ، ومكة ، والمدينة ، وليبيا ، والجزيرة العربية كلها ، والشرق الاوسط من الخليج إلى المحيط ، ثم انتظم صفه ، وامتد زحفه ، حتى شمل الدنيا ، وامتدّ عتب العالم في صورته التي أصبحت عليها ، وفي شكاه المتعارف عليه الآن .. وهو المذهب الاباضي ..

وفي هذا يقول بعض المحققين من المؤرخين والفقهاء وعلما التفسير والحديث قولتهم المشهورة : بارض العلم بالمدينة ، وفرخ بالبصرة ، وطار إلى عمان ، ومن عمان انطلق إلى كل بقاع العالم وأصقاعه .

عبد الله بن أباض :

أما الامام الذي انتسب إليه هذا المذهب الاباضي ، فهو : عبد الله بن أباض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي ، ومن بنى مرة بن عبيد ، رطه الاحنف بن قيس ، وهو الذي فارق جميع الفرق التامة عن الحق ، البعيدة عنه - ولوبعض الشيء - كالمعتزلة ، والقدرية ، والصفائية ، والجممية ، والحوارج الغلاة ، والرافض ، والشيعة ..

والإمام الأباضى هو أول من بين هذه الفرق ، ونقض مذاهبهم ، وكشف التناقض عن فساد معتقداتهم ، بالحجج الباهرة ، والبراهين النيرة ، والمنطق الصحيح ، والأسلوب الواضح الصريح ..

نشأ ابن أباض في زمن معاوية بن أبي سفيان ، وعاش إلى عهد عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه ونصح ، واتقد تصرفاته ، ووجهه — ووجهه مع كل ولاية الأيوور — في رسالته المشهورة الذي تناقلها السمار ، ومشت بها الأحاديث والأخبار .

وقال عنه العلامة الشماخي — وأيده في مقولته المحقق الرقيشى — : إن عبد الله ابن أباض المرى التيمى ، امام اهل التحقيق ، والفيصل عند اختلاف الطرق . والعمدة في مواجهة أولى الأهواء والتفريق ، سلك بأصحابه ، والمتمذبهين بذهبه بحجة العلم والعدل ، وفارق سبل الضلالة والجهل .

وكان — رحمه الله — من خرج إلى الجهاد لمنع بيت الله وحرمة من لا مبالاة مسلم عامل يزيد واستهتاره .. وله مناظرات طوليات مع الخوارج المتشددين وغيرهم من الفرق المندرجة ضمن الاثنتين والسبعين فرقة ، عساه يعيدهم إلى الصواب ، أو يربط المسيرة بأقدامهم على طريق الحق والهداية .

وللامام عبد الله بن أباض مع عبد الملك بن مروان مواقف عديدة ، وكثيرا ما كان يبدى له النصائح ، وإن تعرض بسببها إلى كثير من المصاعب والمتاعب ، وتلك هي أولى الأحراف في أبجديات الدعوة إلى الله ، والتبشير بدينه ، والعمل لنشر الوية الإسلام عالية خفاقة .

وفي حياة ابن أباض دروس وعظات لأصحاب الدعوات والرسالات . قال القطب في شرح العقيدة : إن المسلميز بعد قتل أبي بلال اجتمعوا بجامع البصرة ، وعزموا على الخروج ، وفيهم عبد الله بن أباض ، ونافع بن الأزرق ، ووجهو المسلمين

فلما جن الليل وسمع عبد الله دوى القراء ، ورتين المؤذنين ، وحين المسبحين ،
وضرعات الداعين الباكين . قال لأصحابه : لم لا أكون مع هؤلاء وأخرج
معهم ؟

فرجع وكم أمره ثم اختفى في خرقة كبرى أصلحت فيما بعد موازين
الحياة ...

قال العلامة البرادى — صاحب كتاب الجواهر — :

إن عبد الله بن أباض هو الذى فارق جميع الفرق الضالة عن الحق من المعتزلة
والقدرية والصفائية والجهمية والخواارج والروافض والشيخ ، وهو أول من
بين مذاهيبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج الباهرات ، والآيات المحكمات النيرات
والروايات البينات الشاهرات . نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، وعاش إلى
زمان عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه السير المشهورة والنصائح المعروفة
المذكورة . ورفع المذهب عن عبد الله بن العباس ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ،
ونقل عن أهل النهروان والنخيلة وعن التابعين من أهل صفين والجل ، وعن
الصحابه مثل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، ومحمد وعبد الله
ابن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ
ابن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، و سلمان الفارسى ، وبلال ، وصهيب الرومى ،
وعائشة أم المؤمنين ، والخليفتين الرضيين أبى بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار
رضى الله عنهم أجمعين .

وذلك أنه فارق جميع الفرق الغالية والمتشددة وقال : إن الإيمان قول ،
وعمل ، ونية ، واتباع سنة ، وإن ليس فيه مساومة أو مقايضة بالجنات ولا ميولة
إلى هوى ، وإنما هو اتباع سبيل التقوى ، والإيمان أن تؤمن بالله ولا تنكته وركبه

ورسله وجنته وناره ووعده ووعيده والبعث والحساب واليوم الآخر ، وتصديق ما جاء به الأنبياء من ربهم ، وان القرآن كلام الله ووحيه وتزيله على نبيه محمد ﷺ ، وان الله نواباً لا يشبهه نواب ، وعقاباً لا يشبهه عقاب ، وان نؤمن بالقدر خيرهُ وشمرهُ ، وان الله خالق كل شئ ولا خالق سواه ، وأنه لا يخالف وعده ولا يبطل وعيده ، وأنه صادق فيما قال ، وان كل ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين ، ولا شك فيه ولا ارتياب ، وان الله سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا تحويه الأقطار ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد القهار ، الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، الخالق البارئ المصور الباعث الوارث المحي المميت الباقي الذى لا يموت ، القوى الغنى العلى الولي الجبار المتكبر الواحد الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، عالم خبير عزيز حكيم ، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، أول ليس قبله شئ ، آخر ليس بعده شئ ، خالق كل شئ ومحيط بكل شئ ، وعالم بكل شئ وهو بكل شئ عليم ، لا تدركه الأوهام ، ولا يشبهه بالأجسام ، ولا الحركات والسكون ، حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، عالم بما يكمن قبل كونه أن لو كان ، كيف يكون بالقدرة الظاهرة والعظمة الباهرة ؟ منزهة الفناء الأولى والنشأة الآخرة ، لا تحويه الامكنة ، ولا تغير الأزمنة ، ذو العزة والملسكوت والقوة والجبروت ، الحى الباقي الذى لا يموت ، البرى من الأشباه والأضداد ، المقدس عن الصاحبة والأولاد ، المنزه عن صفات أهمل الشرك والإلحاد ، المتعالى عن ادراك النواظر ، وتحصيل الأرواح والنواظر ، القادر بلا أعوان وأنصار ، الناظر بلا خواطر وأفكار . العالم لا باكتساب ولا اضطرار ، الدائم لا بزمان ومقدار ، المطلع على خفيات الأسرار ، لاتراه العيون والأبصار ، العالم بما يكون قبل كونه أن يكون

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»، وفسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ، ...

وان الإسلام من الإيمان : وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وان ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين ، لا شك فيه ولا ارتياب ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور .
ويحدثنا التاريخ فيقول : إن عبد الله بن أباض كان مثلاً أعلا للفكر الإسلامي الصحيح ، كما كانت تهتدي دائماً منه العبارات الرائقة ، والإشارات الوضیة الشيقة ، والسلوكيات التي تبهج الخاطر ، وتسر الناظر ، مع تداخل علومه وحكمه ، وتناسب حروفه وكلمة ، إذ كله داخل في كله ، وأوله مرتبط بالآخر من قوله ، بل كل مسألة من مسأله تسكمله لما قبلها ، وتوطئة لما بعدها ، وكل باب في فقهه كالشرح للذي قبله ، والذي قبله أيضاً كأنه شرح له ، فكل حكمة له أو كلمة منه ، إنما هي كالتسكمة أو المقدمة ، فأوسطه طرفاه ، وآخره مبتداه ، وأوله منتهاه ..

وقال عنه الكثير من أفضلاء الاجلاء : إن عبد الله بن أباض كان آية في التحقيق ، وكان ذا تجمل وزهد ، وتواضع وعفاف ، كثير الوفاة والحياء ، رضى الخلق ، جميل اللقاء ، لا يرى لنفسه مزية على مخلوق ، لما غلب عليه من هيئة الجلال ، وهيبة العلم والسكمال .

وكان رضى الله عنه من أولياء الله الذين خلق الله عليهم الخلق العظيمة ، وتولاهم بمنته الجسيمة الوسيمة ، فاصطفاهم لنفسه ، واختصهم بحبته وأنسه ، وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار ، وصان قلوبهم بما أودع فيها من الأنوار والأسرار ، فسكان لذلك ضمن صفوته في عباده ، وخباياه الغالية في بلاده ..

لقد ابتداء ابن أباض .. كما تبتدىء الصفة المختارة — باحثاً متقبلاً عن الله فوجده — سبحانه — ظاهراً في آثاره، ووجده في النسمة العاقلة ، في الزهرة الندية ، في النجم المتألق ، في شعاع الشمس ، ووجده في الخير ، في الجمال ، في السكامل والجلال ، وجد الله في كل شيء حين نظر إليه بعين الوجد والحب والوله والتقرب فأحبه وهام به ، وكانت حالته مع الله كما يصف هو ذلك فيقول : والمحـب يتعلـل إلى محبـوبه بكل شيء ، ولا يتسلى عنه بأى شيء ، ويتبع آثاره ، ولا يدخ مشورته أو استخباره ...

وكان ابن أباض عبداً لله إلى الحد الذي قال عنه : كل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك من الحظوظ — وإن عظمت — سوى الله قليل ... وكان لابن أباض منهج في عبادته لربه ، وحببه له ، يعبر عنه دائماً في قوله: ينبغي أن يكرن فرحك في العطاء بالمعطي ، ولذتك في اللذات بمخالق اللذات ، وتنعك في النعم بالمنعم دون النعمة ، لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ورؤية النعمة عند رؤية المنعم ساتر له وباب .. :

وكان كثيراً ما يقول : واعجباً لمن لم ير محسناً غير الله، كيف لا يبيل بكليته إليه ؟ وفي الاتجاه إلى الله نعيم لا يعد له نعيم، ولذة لا تعدلها لذة ، وإذا نعم الناس بلبس يبلى ، أو بمطعم لا تلبث حللته أن تزول ، فإن لأولياء الله وأصفياؤه نعيمهم المبرأ من الأوضار، ومحبتهم الخالصة عن الشركاء والأغيار . إن لهم نعيمهم الروحي ، ؛ ولكن مع هذا — أيضا — لهم نعيم أبدانهم الطيب الظاهر ..

المقامات والطريق :

وكان الامام عبد الله بن أباض يرى أن أول الطريق إلى الله هو مقام التوبة، وأن مقام التوبة هو أول الطريق إلى مقام الخوف ، ... وأن مقام الخوف هو

أول الطريق إلى مقام الرجاء ، ... وأن مقام الرجاء هو أول الطريق إلى مقام الصالحين ، . . . وأن مقام الصالحين هو أول الطريق إلى مقام المرئيين ، . . . وأن مقام المرئيين هو أول الطريق إلى مقام المطيعين ، ... وأن مقام المطيعين هو أول الطريق إلى مقام المحبين ، ... وأن مقام المحبين هو أول الطريق إلى مقام المشتاقين ، وأن مقام المشتاقين هو أول الطريق إلى مقام الأولياء ، وأن مقام الأولياء هو أول الطريق إلى مقام المقربين .

وذكر الإمام الأباضى أن لكل من هذه المقامات آدابها التي إذا أداها المؤمن واتهم بها ، أفتردت نفسه بالذکر ، وجالت في ملكوت عز الله بخاص العلم به ، واردة على حياض المعرفة ، قارعة لبايه ، خاشعة في رحابه .

ولقد سلك الإمام الأباضى حياته مع رجال جاءتهم دعوة الإسلام ، فآمنوا بها ، وصدقها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: « ربنا إننا سمعنا متناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ،

ووضعوا أيديهم في يد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهانت عليهم نفوسهم ، وأموالهم ، وعشيرتهم ، واستطابوا المرارة والمسكاره في سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحب لله والرسول ، والرحمة على المؤمنين ، والشدّة على الكافرين ، وإيثار الآخرة على الأولى ، والآجل على العاجل ، والغيب على الشهادة ، والهداية على الجباية ، والحرص على دعوة الناس ، وإخراج الخلق من عبادة العباد إلى عبادة الله خالق العباد ، ومن جور الأديان إلى سماحة الإسلام وعدالة الإيمان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدين ، والاستئانة بخوارق هذه الفانية وحطامها ، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة ، وعلو الهمة ، وبد النظر في ثمر روافد الإسلام وخيراته في العالم .

ولقد انتشرت تلك الصفة من هؤلاء الرجال الأبطال في مشارق الأرض ومغاربها ، ونسوا في سبيل ذلك لذاتهم ، وهجروا راحتهم ، وغادروا أوطانهم وبذلوا مهجهم ، وحر أموالهم ، حتى ألقى الدين بجرائه ، ونساء بسلكه ، وأقبلت القلوب إلى الله ، وهبت ريح الإيمان والأمان قوية طيبة مباركة ، وقامت دولة التوحيد الخالص ، والإيمان الناصح ، والعبادة والتقوى ، وانفتحت سوق الجنة ، وانتشرت الهداية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولقد ضمت وقائهم كتب التاريخ ، وحفظت أخبارهم وأيامهم دواوين الإسلام ، وكانت دائما مادة التجديد ، والبعد الجديد في حياة المسلمين ، وعبر أشواطها ، وعلى مدى مشوارها تطويل العريض ، الواسع العميق . . .

وذكر ابن الأثير ، والمقرئ ، والطبري ، والمبرد ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ، خروج الخوارج إلى مكة المكرمة -- لصونها وحمايتها من أهل الشام الذين حرقتهم أهواء بني أمية ومطامعهم -- وعلى رأسهم عبد الله بن أباض ، ، كما ذكر هؤلاء المؤرخون كذلك افتراق الخوارج فيما بينهم ، وأن نافع بن الأزرق كتب إلى كل من ابن الصفار ، وعبد الله بن أباض يدعوهما ومن معهما إلى معتقده ... فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه ، خشية أن يتفرقوا عنه ، أو يختلفوا عليه .

وأما ابن أباض فحين قرأ كتاب ابن الأزرق قال : قاله الله ، أى رأى رأى ؟ لقد كذب نافع فيما يزعم .. وأن القوم برآء من الشرك ، ولستهم كفار بالذم والأحكام ...

يالها من رسالة :

ولقد وجه الإمام عبد الله بن أباض رسالة إلى الحاكم عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني لدولة بني أمية ولقد صب في تلك الرسالة ثقافته العقيدية ، ونخل

فيها مكنون سره ، وأراق على سطورها تجارب عمره ودمره ، ونفض من خلالها حصاد حياته وممارساته ، وأزجى من ثباياها الصيحة الخاصة صادقة ، وساق على ساحتها ومساحتها مواليد الحقيقة الناصحة الواضحة . . وأخذ بتلايبب نبي أمية منذ جدتهم الاكبر أبي سفيان بن حرب ، وراح يطوح بهم في الفضاء ، ويكشف عن أعمالهم كل غطاء وخفاء ، وأشهد العالم عليهم ، ولقنهم الدروس البالغات ، والعظات البينات ، وأبان لهم أن الحق واحد لا يتعدد ، وأن له صولة ودولة .

وان الناس جميعاً سواسية أمام سلطانته وبرهانه . . وان كلمة الحق لا بد أن تقال في أى مواجهة ، وعلى أى صعيد . . وإلا كان الناس - في سكرتهم عن قولة الحق - شياطين خرسا .

ولقد امتعرض الإمام ابن أباض في هذه الرسالة كثيرا من المواقف والأشخاص ، خاصة من كانوا في دائرة الضوء .

ومن كان لهم تعامل أكيد ، وممارسات وإنجازات على مستوى الأفراد والجماعة والمجتمع . .

وكان مما جاء في هذه الرسالة - ردا على عبد الملك بن مروان فيما كان يزعمه - :

وأما قولك في شأن معاوية بن أبي سفيان : أن الله قام معه وعجل نصره ، وأفلج حجته ، وأظهره على عدوه ، بعالب دم عثمان ، فإن يكن يعتبر الدين من جهة الدولة أن يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا ، فانا لا نعتبر الدين بالدولة ، فلقد ظهر المسلمون على الكفار ، لينظر كيف يعملون ؟ وقد ظهر الكفار على المسلمين ليبينوا المسلمين بذلك ، ويكون عقابا على الكافرين . . وقال وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويحق الكافرين ، فإن كان الدين

إذا ظهر الناس بعضهم على بعض ، فقد سمعت الذى أصاب المشركون من المسلمين يوم أحد... وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار ، وظهروا أيضاً على أهل البصرة ، وهم شيعة عثمان ، وظهر المختار على ابن زياد وأصحابه ، وهم شيعتهم ، وظهر مصعب على المختار ، وظهر ابن السجف على أخنس بن دجلة وأصحابه ، وظهر أهل الشام على أهل المدينة ، وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استباحوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم ، فان كان هؤلاء على الدين فلا يعتبر الدين من قبل الدولة ، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ، ويعطى الله رجلاً كافرأ ملكاً فاندنيا ، كما أعطى فرعون ملكاً ظهر فى الأرض ، وقد أعطى الذى حاج إبراهيم فى ربه .

ثم إن معاوية إنما اختلس الإمارة من الحسن بن على بعهد عاهده ، ثم لم يف له بالذى عاهد عليه ، وقال الله : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كَيْفِيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة ، إنما يلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون .

فلا تسأل عن معاوية ، ولا عن عمله ، ولا عن صناعيه ، غير أنا قد أدركناه ، ورأينا عمله ، وسيرته فى الناس ، ولا نعلم أحداً أترك للقسمة التى قسم الله ، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرام منه ، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان فى ذلك ما يكفره بنعم الله .

ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا من الناس ، أحيانا يشرب الخمر المسكرة ، فيكفيه من سوءه ، وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله : ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لا يهدى القوم الظالمين . فلم يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذى عقل من الناس .

فاتق الله يا عبد الملك ، ولا تخادع نفسك في معاوية ، فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون في معاوية ، ويزيد ، ويعيبون عليهما كثيراً بما يصنعون .

فمن يتول عثمان ومن معه فإننا نشهد الله وملائكته وكتبه ورسله بأننا منهم برآء ولهم أعداء بأيدينا ، وألسنتنا ، وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ، ونموت عليه إذا متنا ، ونبعث عليه إذا بعثنا ، ونحاسب بذلك عند الله .

وكتبت إلى تحذرنى الغلو فى الدين ، وإنى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ماهو الغلو فى الدين إذا جهاته ؟ فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بتغير كتابه الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن ، وقال الله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، كما فعل عثمان ، والآئمة . من بعده ، وأنت على طاعتهم ، وتجامعهم على معصية الله ، وتبجهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها ، وقال الله عز وجل : ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .. فليس من دعا إلى الله ، وإلى كتابه ، ورضى و غضب لله ، حين عمى أمره ، وأخذ بحكمه حين ضيع ، وتركت سنة بيته . وكتبت إلى تعرض بالحوارج تزعم أنهم يغلون فى دينهم ، ويفارقون أهل الإسلام ، وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين .. وإنى أبين لك سبيلهم واثرت عليك جهادهم ، وارفع فوق هامات الحياة أعلامهم .. وألويتم ..

كانوا يتولون فى دينهم وسنتهم رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر بن الخطاب ويدعون إلى سبيلهم ، ويرضون بسنتهم ، وعلى ذلك كانوا يخرجون ، وإليه يدعون ، وعليه يتمازقون ، وقد علم من عرفهم من الناس ، ورأى من علمهم ، أنهم كانوا أحسن الناس عملاً ، وأشد قتالاً فى سبيل الله ، وقال الله : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين .

فهذا خبر الخوارج تشهد الله ، والملائكة ، انا لمن عاداهم أعداء ، وانا لمن والاهم اولياء ، بأيدينا ، وألسنتنا ، وقلوبنا ، على ذلك نعيش ما عشنا ، ونموت على ذلك إذا متنا ، غير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظنهم ، ولكنهم ارتدوا عنه ، وكفروا بعد إيمانهم ، فنبأ إلى الله منهم .

أما بعد: فإنك كتبت إلى تطلب مني أن أكتب بجواب كتابك ، وأجتهد لك في النصيحة ، وأن أبين لك، ألا... فإني قد بينت لك بجهد نفسي وأخبرتكم خبر الأمة ، وكان حقا على أن أنصح لك ، وأبين لك ما قد علمت . إن الله يقول : «إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا ويبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ، .

إن الله لم يتخذني عبدا لا كفر به ، ولا أخادع الناس بشيء ليس في نفسي ، وأخالف إلى ما أمى عنه .

أدعركم يا آل مروان إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، لنحلوا حلاله ، وتحرموا حرامه ، ولنرضوا بحكمه ، وننبئوا إلى ربكم ، وتراجعوا كتاب الله ، وأدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم في الذي اختلفنا فيه ، ونحرم ما حرم الله ، ونقسم بما قسم الله ، ونحكم بما حكم الله ، ونبرأ من برأ الله منه ورسوله ، ونتولى من تولاه الله ، ونطيع من أحل لنا طاعته في كتابه ، ونعصى من أمر الله بمهيبته أن نطيعه ، فهذا الذي أدر كنا عليه نبينا ﷺ .

وإن هذه الأمة لم تحرم حراما ، ولم تسفك دمأ ، إلا حين تركوا كتاب ربهم ، الذي أمرهم أن يعتصموا به ، ويأمنوا عليه ، وإنهم لا يزالون مفترقين مختلفين ، حتى تراجعوا كتاب الله ، وسنة نبيه ، ويطبّقوا كتاب الله على أنفسهم ،

ويحكموه إلى ما اختلفوا فيه، فإن الله يقول: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب .

وإن هذا هو السبيل الواضح ، لا يشبهه به شيء من السبل ، وهو الذى هدى الله من قبلنا محمداً ﷺ والخليفتين الصالحين من بعده ، فلا يضل من اتبعه ، ولا يهتدى من تركه ، وقال : و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

واحذر أن تفرق بكم السبل عن سبيله ، ويزين لك الضلالة بإتباعك هواك فيما جمعت إليه الرجال ، فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، إنما هى الأهواء ، إنما يتبع الناس فى الدنيا والآخرة إمامين : إمام هدى ، وإمام ضلالة .

أما إمام الهدى ، فهو يحكم بما أنزل الله ، ويقسم بقسمته ، ويتبع كتاب الله ، وفيه وفي جماعته قال الله تعالى : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم ، ونهى عن معصيتهم .

وأما إمام الضلالة ، فهو الذى يحكم بغير ما أنزل الله ، ويقسم بغير ما قسم الله ، ويتبع هواه بغير سنة من الله ، فذلك كفر ، كما سعى الله ، ونهى عن طاعته وطاعة جماعته ، وأمر بجهادهم ، وقال : ولا تطعمهم وجاهدكم به جهاداً كبيراً ، فانه حق أنزله بالحق ، وينطق به ، وليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون . ولا تضر بن الذكر عنك صفحاً ، ولا تشكن فى كتاب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فانه من لم ينفعه كتاب الله ، لم ينفعه غيره .

وكتبت إلى أن أكتب اليك بوصول كتابك ، فاني قد كتبت اليك ، وأنا أذكرك بالله العظيم لما قرأت كتابي ، وتدبرته ، واكتب إلى إن استطعت بجواب كتابي إذا كتبت إليك بما أتنازع فيه أنا وأنت ، انزع عليه بيته من كتاب

الله أصدق فيه قولك ، فلا تعرف لي بالدنيا ، ، فإن لا رغبة لي في الدنيا ،
وليست من حاجتي ، ولكن لتسكن نصيحتك لي في الدين ، ولما بعد الموت ، فإن
ذلك أفضل النصيحة ، فان الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة ، فانه لاخير
فيمن لم يكن على طاعة الله ، وبالله التوفيق ، وفيه الرضى ، والسلام على من اتبع
الهدى ...

وهكذا :

وهكذا كان الايمان بالله والثقة فيه ، والاطمئنان إلى عدالته ، والرغبة
فيما عنده ، كل هذه المعاني هي التي جعلت الامام عبد الله بن أباض — إمام هذا المذهب
الاباضى — يكتب رسالته ، ويوجهها إلى عبد الملك بن مروان ، وقد ضمنها
كل تعليماته وتوجيهاته ، ونصائحه وتوصياته ، في أسلوب جرىء مهذب ، وصيغة
شريفة عفة ، ومنهج عقيدى ينصاح به شأن الدنيا وأمر الدين ، وشتى المعاملات
بين الناس ، ولاسيما بين الحاكم والمحكوم ، في حسن الاداء ، وصدق الالتزام ،
وخالص النيات ، والأعمال .

هذا . إلى جانب ما في هذه الرسالة من تصحيح وتوضيح إلى أن ولاية أمر
المسلمين ، وحكمهم وحكومتهم ، ليست شيئاً هيناً ، وليست بالامر اليسير الذي
يتلوه به ، أو ينصرف عنه ، أو يتاجر فيه ، لحساب الحاكم وبطائنه ، وسماسته
وعملائه ، بل إن الولاية والحكومة والامامة مسئوليات وتبعات ، وعبود
ووعود وأمانات .

ومن هنا ، انطلق صوت الحق في ضمير عبد الله بن أباض ، وجاجت كلماته
الصارخة في وجدانه ، وجعل الايمان يتدفق على لسانه ، ويفيض على شبا براعته ،
وعيداً وتهديداً ، وتحذيراً وإنذاراً لهذا الحاكم الأموى ، وكل من سار على دربه ،

أو اتهم مذهب، أو وضع قدمه على أول خطوة في طريقه من ولاية أمور المسلمين وحكامهم .

مع بيان أن المناصب العامة — على مستوى البيئة الاسلامية — ليست مغنما ، ولا مربحا ، ولا حائوتا ، ولا مزرعة ، يتكسب منها اللصوص ، ويتعيش عليها الخوثة ، ويتوارثها الإبناء عن الآباء ، والأحفاد عن الأجداد . وهكذا يجب أن يكون علماء المسلمين وأئمتهم في مواجهة الحكام ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ...

لأنى مهاجر إلى ربي :

قال أبو الفرج في كتابه « الاغانى » : « إن عبد الله بن يحيى الكندي — أحد بنى عمرو بن معاوية — كان مجتهداً عابداً ، قال قبل أن يخرج للحرب بنى أمية — بعد أن استجار به الناس من ظلمهم — : لقينى رجل فأطال النظر إلى ، وقال : بمن أنت ؟ فقلت : من كندة .. فقال : من أيهم ؟ قلت : من بنى شيطان .. قال : والله لتهلكن ، وتبلغن خيلك وادى القرى ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك .. فذهبت أخوف مما قاله ، واستخبر الله ، فرأيت باليمن جوراً ظاهراً ، وعسفاً فاجراً ، وتسلطاً شديداً ، وسيرة في الناس قبيحة .

قال أبو الفرج : ثم قال لأصحابه : والله لا يحل لنا المقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصبر عليه... وكتب من فوره إلى أبي عبدة مسلم ، وهو مولى بنى تميم ، الذى جمع أصحابه من الاباضية يستشيرهم .. فكلهم قال له :

إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ..

ولست تدري متى يفتى بك أجملك ، والله يبعث دائما خيرا عباده إذا شاء لنصرة دينه ، ويخص بالشهادة منهم من يشاء : ومن كتبها له ..

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سليمة ، وباج ابن عقبة الفرهودي في رجال أوفياء أمناء من الإباضية ، وحشوه على الخروج ، وأمدوه بالكثير من كتب المذهب .. والتي جاء فيها : .. واقعدوا بأسلافكم الصالحين ، وسيروا مسيرتهم ، ولقد علمتم أن الذي أخرجهم على الحاكم ، وذوهم منه ، وأبرمهم به ، وزهدهم فيه ، إنما هو العيب والظلم ، والموبقات التي يمارسها هذا الحاكم وأعدائه ...

وهنا تجمع الناس جميعا على مبايعة أبي يحيى عبد الله بن يحيى الكندي ، وقصدوا معه إلى دار الامارة ، وعليها إبراهيم بن جبلة بن مخزومة ، فأخذوه ، وحبسوه ، ثم أطلقوا سراحه ، وغضوا عنه ، فأق إلى صنعاء ، وأقام عبد الله ابن يحيى في حضر موت ، وأمته الناس من كل فج ، وكثر جمعه واتباعه ، وسموه منذئذ طالب الحق . .

قال أبو الفرج : فلما استولى عبد الله بن يحيى على اليمن ، خطب الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ ، ووعظ ، وذكر ، وحذر .. ثم قال : أيها الناس . إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما .. الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بدिला ، ولا نشترى به ثمناً قليلا ، وحرمتنا الحرام ، ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شك في إياه كافر فهو كافر ، أقول : لاشك أن المراد بالكفر في هذا المقام

-- على رأى الاباضية -- هو كفر النعمة الذى ورد ذكره فى أكثر من مكان
فى القرآن الكريم .. والحديث النبوى الشريف ..

قال تعالى : • والله على الناس حج البيت من استطاعَ إليه سبيلا ، ومن كفر
فإن الله غفى عن العالمين ، .

وقال تعالى : • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرين ، .. وهو
عام لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو قادر ، ولكل من ترك الحج وهو مستطيع
وفى صحيح البخارى حديث امرأة ثابت بن قيس المختلعة التى قالت : إني أخاف
السكفر فى الاسلام ..

وفى صحيح مسلم : • لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، .
وفى صحيح مسلم أيضا : • إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما ، ..
والاحاديث كثيرة فى الصحاح حول هذا كله ..

قال أبو الفرج : وفى رواية أخرى ، قال طالب الحق فى خطبته : فانا ندعوا
إلى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار مقتدى بها ، ونشهد ان الله صادق
فيما وعد ، عدل فيما حكم ، وندعو إلى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد والوعد ،
وأداء الفرائض والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية
الله ، والعداوة لأهل عداوة الله .

أيها الناس .. إن من رحمة الله أن جعل فى كل فترة بقية من أهل العلم ، يدعون
من ضل إلى الهدى ، ويصبرون على الألم فى جنب الله تعالى ، يقتلون على الحق فى
صانف الدهور ، شهداء فما نسيم ربهم • وما كان ربك نسيا ، ..

أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فابلوا بلاء

حدثنا في أمر الله وذكره... أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم . .
قال المقرئى : وأقام عبد الله بن يحيى في صنعاء أشهراً يحسن السيرة بين الناس
ويلين جانبه لهم ، ويكف عنهم .

ثم جاءته الشراة، من كل جانب يباعونه ، وينضمون إلى صفه ، وينضمون
في جيشه وزحفه . وتحت لوائه..

قال : فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة ،
وابرمة بن الصباح إلى مكة المكرمة في تسعائة ، وقيل في ألف ومائة ، وأمر
المختار أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، وأن يوجه بلجا إلى الشام .

وأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية ، وعليها عبد الواحد بن سليمان بن
عبد الملك ، وأرسل الولى الخطباء والفقهاء من قريش وغيرهم إلى أبي حمزة
ليناقشهم فيما جاء من أجله ، وليشرح لهم المبادئ التي تقوم عليها دعوة الخوارج
عامة ، والاباضية على وجه الخصوص ، وأهم تعاليمهم ..

وخرج أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي - على الجميع - وقد تنكب
قوسه ، حتى إذا خطب الخطباء ، وتكلم الفقهاء ، وانتهى كل من خطابه وكلامه
- بعد أن عظموا حرمة الحج ، ويرم عرفة ، ما قدر لهم ، وما قدروا عليه -
تكلم أبو حمزة المختار ، فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال - للخطباء والفقهاء والامة
المستمعين والمشاركين - :

أما ما قلتم وذكرتم من تعظيم هذا اليوم ، فإنكم لم تبلغوا بعد أى بلاغ إلى
ذلك... ثم ذكر جور بنى أمية ، وما هم عليه من ظلم الناس ، والتعسف بهم ، والتحكيم
فيهم ، والنسق والجور والفجور .. وما زال بهم ومعهم حتى أفحهم جميعاً ، وحتى
أسمعهم من لم يكونوا قد سمعوه قبلاً أبداً ، ومن لم يسكنوا يعرفونه بالمسرة ،

فرجعوا إلى الوالي — الذي سلطهم وحرصهم — وأعلموه بأمر الرجل وخطورته واعترفوا جميعاً ببعجزهم عن مباراته ومجاراته فيما ذهب إليه من عجائب القول وغرائبه... قال لهم الوالي: فاسألوه الموادة في هذه الأيام ، على أن يستأنف معه الحديث فيما بعد ، وعلى أن لا تعرض له ، ولا يعرض لنا .. فأعظاهم أبو حمزة ما طلبوه ، ووادعهم إلى ما بعد الحج وأداء المناسك ..

حتى إذا فرغ الناس من مناسكهم وصاروا إلى مكة .. خرج الوالي عبدالواحد وخلق مكانه ، قال أبو صفيان : وصار بلج بن عقبة يأتي لرمي الجرات في الخيل والسلاح ، وكان أبو حمزة كثيراً ما يقول له : رحمك الله يا ابن عقبة ، ما بدعوك إلى هذا ؟ وماذا عليك لو جئت متكرراً حتى ترمى جمارك ؟

وكان بلج يرد عليه بقوله : لا ... والله لا أفعل ، إلا ما أفعل الآن وأكثر من هذا ..

ان القوم غادرون ، ولا آمن غدرهم بنا ، ونقضهم ما قطعوه من عهد أو ميثاق . . وهذا ديدنهم ، وتلك طبيعتهم ورجبتهم ، فان فعلوا كنافد استعدنا لهم ...

وأقام أبو حمزة في ذي طوى ، وأقام من حوله خلق كثير ، واجتمع إليه من نواحي مكة رجال من خزاعة . وبعد ذلك توجه إلى المدينة فدخلها .

وخطب من فوق منبر النبي ﷺ في مسجده الشريف ، وقال : يا أيها الناس إنا نخيركم في ثلاث خلال ، أيما شئتم فخذوا لأنفسكم ، رحمات الله أمرأ أخذ الخيار لنفسه ، إما قابل لما ندعو إليه ، وبعبد الله على طريقتنا ، وحملته نيته الصادقة على أن يجاهد معنا في صفنا وبفسه ، فيسكون له من الأجر ما للجاهد منا ، ومن قسم هذا القويء ما لأفضانا . ومن أفضله ...

وإما عارف بهذا الأمر مقيم في داره ، يدعو اليه بقلبه ولسانه ، فعهاه —
وارجو — أن يكون أحسن منزلة منا .

أما الثالث فهو الذي كره قولنا ، .. فإننا آمناه على أهله وماله إذا كف عنا يده
ولسانه ، فإن ظنرنا به ، ولم يعرض نفسه لخصبتنا لم نسهك دمه ، وان نحن
قتلنا كان قد كفى مؤنتنا ،

ثم وجه أبو حمزة بلج بن عقبة الأزدي ، وابرهة بن الصباح الحضرمي إلى
السام ، في سبعمائة من الرجال ، فلقيهم في الطريق بوادي القرى عبد الملك بن عطية
رسول مروان بن محمد في أربعة عشر ألفاً ، فيهم خمسة آلاف فارس ، وهزمهم
بلج بن عقبة ، ودارت بهم دائرته الثائرة الغضبي ، وقتل منهم الكثير والكثير
جدا . فصاح ابن عطية في أصحابه : يا أهل السام .. يا أهل الحفاظ ، . يا أهل النصر
والجدة .. يا أهل القتال والنزال ، هلدوا واثبتوا .. فعطف القوم على بلج وابرهة ..
وتكاثروا عليهما — وهم كثير — فقتل بلج ومن شاء الله من أصحابه . .

وتوجه عبد الملك بن عطية بعد ذلك إلى اليمن يريد الإمام عبد الله بن يحيى
فقاتلهم وقاتل حتى قتل ! !

وفي موسوعة العصور القديمة ، — التي ألفها العلامة البرتغالي المستر جيمس
هنري ، — :

إن عبد الواحد بن سليمان كتب إلى مروان بن محمد يعتذر من عدم قدرته
واستطاعته على اخراج المختار من مكة ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر —
عامله على المدينة — بأمره بتوجيه الجيش إلى مكة لقتال أبي حمزة المختار الاباضي ،

وتجمعت هناك وحدات عارمة من الجيش الاموى فى أكثر من ثلاثة عشر ألف مقاتل من أهل المدينة ، ولما بلغ أباحزة أقبال أهل المدينة عليه استخاف على مكة ابراهيم بن الصباح وشخص هو اليهم فى جيش يتقدمه بلج بن عقبة ، فلما كان فى اللينة التى وافاهم فى صبيحتها ، وأهل المدينة هناك بتقيد . . قال لأصحابه : أنكم لا قون القوم غدا ، وقد وضح الصبح لذى عينين ، فأكثروا ذكر الله تعالى ، وتلاوة قرآن ، ووطنوا أنفسكم على الصبر ، . ومع الصباح غداة السابع من صفر ستة مائة وثلاثين أرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة فى ثلاثين راكباً وسطاء صالح - ، فذكرهم الله وسألمهم أن يكونوا عنهم ، وقال لهم : خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم ، وجار فى الحكم عليكم ، ولا تجعلوا لقاءنا بكم ، ولا آخر شوطنا عنكم ومعكم ، فانا لا نريد قتالكم أبداً ، وكيف نقاتلكم وأنتم جيرة رسول الله ، وفيكم أهل بيته ؟

فشتتمهم أهل المدينة ، وتعدوا عليهم ، وقالوا : لن نكنكم بما تريدون ..
يا أعداء الله . نحن نخليكم ندخلون الديار ، وندعكم تفسدون فى الأرض ، وتعيشون فيها الفساد ؟

فرد أصحاب حمزة المختار وقانوا لهم : ومن أعداء الله يا أعداء الله ؟
أنحن نفسد فى الأرض ؟ كلا .. ثم كلا . وكلا ... إنا خرجنا مجاهدين فى سبيل الله ، لنقضى على الفساد ، ونقل أيدى المفسدين ، ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر بالنفى . وأكله وحده غنيمة باردة . وتلصص عليه من وراء ظهور

المسلمين . فراعوا الله في سلوككم ، وانظروا بعين واعية وقلوب باصرة إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين .

الخطاب الثاني :

ودارت المعركة التي انتصرت فيها جيوش الحق ، وتقدم الأباضية الخوارج في مسيرتهم صوب المدينة المنورة .

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام .. ورقى أبو حمزة المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أهل المدينة .. سألتكم عن ريلاتكم هؤلاء ، وأسألتكم — لعمر الله — فيهم القول ، وصألتكم : هل يستحلون المال الحرام ، والفرج الحرام ؟ فقلتكم : نعم... فقلنا لكم : تعالوا — نحن وأنتم — فتأشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسامون لأنفسهم... فقلتكم : لا تفعلوا.. فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نلقاكم ، فإن نظهر نحن وأنتم تأت بمن يقم فينا كتاب الله وسنة نبيه ؛ وإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحماسكم على سنة نبيكم ، ونقسم فيشك بينكم ، فإن أبيتم وقالتمونا دونهم فقلنا لكم ، فأبعدكم الله وأسحقكم ا

يا أهل المدينة.. مررت بكم في أزمان الاحول هشام بن عبد الملك وقد أصابكم عاهة في ثماركم ، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعه عنكم فزاد النبي غنى ، وزاد الفقير فقرا ، فقلتكم : جزاء الله خيرا ، . . فلا جزاء الله خيرا ولا جزاكم .

أتعلمون يا أهل المدينة.. أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ، ولا بطراً ،
ولا حبثاً ، ولا لهوآ ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه . ولأننا قديم نيل
منا ، ولسكننا لما رأينا مصاييح الحق قد أطفئت ، وعنف القائل بالحق ، وقتل
القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعتنا داعياً يدعو إلى طاعة
الرحمن ، وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز
فى الأرض ، فأقبلنا من قبائل شتى ، التفر منا على بعير واحد ، وعليه زادهم وأنفسهم
يتماورون لحافاً واحداً ، قليلون ، مستضعفون فى الأرض ، فأوانا الله .
وأيدنا بنصره ، وأصبحنا - والله - بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد ،
فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، ودعوتونا إلى طاعة الشيطان ،
وحكم مروان ، وآل مروان ، وشتان - لعمر الله - ما بين الفى والرشد ...
ثم أقبلوا يهرعون ويذفون ، وقد ضرب الشيطان فيهم بهجرانه وغلت بدماهم
مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند
وحسام ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطون .

وأتم يا أهل المدينة.. إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب
من عنده أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين .

يا أهل المدينة.. إن أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر .

يا أهل المدينة . . الناس منا . ونحن منهم ، إلا مشركا عابدين . أو كافرين .
أهل الكتاب . أو اماما جائرا .

يا أهل المدينة.. من زعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها . أو سألها عالم
يؤتمها ، فهو لله عدو ، ولنا حرب .

يا أهل المدينة.. أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القرى -- على حبه -- للضعيف ، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد . فأخذ جميعها لنفسه ، مكابراً عاربا لربه ، ما تقولون فيه وفيمن عاوناه على فعله ؟

يا أهل المدينة.. بلغنى أنكم تفتقصون أصحابي وتعييونهم وقلمتم : هم شباب أحداث ، وأعراب حفاة ، ومحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابا أحداثا ؟ شبابا والله مكتملون في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، نقيلة عن الباطل أفدامهم ، قد باعوا أنفسا تموت غدأ بأنفس لا تموت أبدا ، فد خاطروا كلالهم بكلالهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلاهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية خوف شقوا خوفا من النار ، وإذا مروا بآية شوق شقوا شوقا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف وقد انتضيت ، وإلى الرماح وقد أشرعت ، وإلى السهام وقد فوقت ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفروا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطروني لهم وحسن مأب .

فدكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله !

ركم من يد قد أبيت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكها
وساجدأ في محراب الله !

أقول قولي هذا، واستغفر الله من تقصيرنا ، و ما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب .

وقال — أيضا — صاحب الأغانى عن أبي علقمة : سمعت أبا حمزة يخطب
بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة.. مالى رأيت رسم الندين فيكم باقيا ، وآثاره دارسة ؟ لا تقبلون

عليه عظة ، ولا تفقهون من أهله حجة ، قد بليت فيكم جدته ، وانطلمت عليكم
سفته ، ترون معروفه منكراً ، والمنكر من غيره معروفاً.. إذا انكسفت لكم
العبر ، وأرضحت لكم النذر ، وعحيت عنها أبصاركم ، وصمت عنها أسماعكم ،
ساهين في غمرة ، لاهين في غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا لشر ، وتنقبض
عن الحق إذا ذكر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجبل ، كلما وقعت عليها
موعظة زادتها عن الحق نفوراً ، تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة
من الحجارة ، ولم تأن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً
متصدعاً من خشية الله !

يا أهل المدينة.. ما تغنى عنكم صحة أبدانكم إذا سقت قلوبكم ، إن الله قد جعل
لكل شيء غالباً يقاد له ، ويطيع أمره ، وجعل القلوب غالبية ، فإذا مال
القلوب ميلاً . كانت الأبدان لها بتعاون القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها ،
ولا يصححها إلا المعرفة بالله ، وقوة النية ، ونفوذ البصيرة ، ولو استشعرت نفوى
الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم ..

يا أهل المدينة .. داركم دار الهجرة ، ومشوى رسول الله ﷺ ، لما نبت
به داره ، وضاق به قراره ، وآذاه الأعداء ، ونجم له الحنثاء ، فهاجر إلى قوم
— لعمرى — لم يبكونوا أمثالكم ، متوازين مع الحق على الباطل ، مختارين
للجل على العاجل ، يصبرون للضراء رجاء نوابها ، نصروا الله ، وجاهدوا في
سبيله ، وآووا رسول الله ﷺ ، وآذروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ،
وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة .. قال الله تعالى لا تأملمنهم
ولمن يجتدي بهداًم — : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وأنتم أبناءهم ومن بقي من خلفهم ، تتركون أن تقتدوا بهم ، وتأخذوا
بسنهم ؟ عفى القلوب ، صم الآذان ، اتبعتم الهوى ، فأرداكم عن الهدى ، وأسأكم

فلا مروا عظ القرآن تزجركم فتزدجروا ، ولا تعظمكم فتعتبروا ، ولا توفظكم فتستيفظوا ، لبس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ، ما سرتهم بسيرتهم ، ولا حفظهم وصيتهم ، ولا احتذيتهم مثالمهم ، لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف الله العذاب عنكم ؟

وروى أيضا أن أبا حمزة بلغه أن أهل المدينة يسمون أصحابه لخدانته أسنانهم وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر - وعليه كساء غليظ - وهو مكتكب قوصا عربية - فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ وآله ، ثم قال : يا أهل المدينة .. قد بلغتني مقاتلتكم في أصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم ، وقلة عقولكم لاحسنت آدابكم ، وبحكم : إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب ، وبين له فيه السنن ، وشرع له فيه الشرائع ، وأوضح له فيه ما يأتي وما يندر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يحجم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه . . . ، وقد أدى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة ، ثم من بعده أبو بكر ، فأخذ بسنن الله ، وقاتل أهل الردة ، وشر في أمر الله حتى قبضه الله إليه ، وأبناء الأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرتة .

ثم ولى بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه ، وجند الأجناد ، ومصر الأوصار ، وجاه القبي ، فقسمه بين أهله ، وشمر عن ساقه ، وحسر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه . وأهل الأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرتة .

ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم أحدث

أحدانا أبطل آخر منها أولاً ، واضطرب جبل الدين بهدها ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه .. حتى مضوا على ذلك .

ثم ولى معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ ، وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب - مؤلف طابق - فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خوفاً ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً ، وأحل الحرام ، وعمل بما يشتهي .

قال في العقد الفريد : ولما دخل معاوية مكة أراد أن يعلن علياً على المنبر ، فأنكر ذلك سعد بن أبي وقاص ، ولما مات سعد لعن معاوية على بن أبي طالب على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلعنوه .

وروى ابن الأثير وغيره من الثقات عن الحسن البصرى قال : أربح خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : انتزؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذوا الفضيلة ، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خمسيناً ، بلبس الحرير بالظناير . وادعائه زياداً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجر بن عدي وأصحاب حجر . وهم خلق كثير . . »

فيا ويل له من حجرا ، ويا ويله من حجر وأصحابه !

وقد ثبت أن معاوية رأس الفئة الباغية ، التي قتلت عماراً - كذا في البخاري وغيره - ولقد جعله النبي ﷺ من المؤلفعة يوم هوازن ، وأنه من الذين أسلبوا يوم الفتح - فصيرهم النبي ﷺ من الطلقاء ، وأنه جاء يقر دأباه فلما رأها رسول الله ﷺ

لعنهما.. وصارحه بشيء من هذا أبو قتادة الأنصاري، والإمام علي بن أبي طالب شهيد الحق والواجب... كفاي ابن الأنير، والطبري، وغيرهما .

وقال صاحب الاغانى - بحكى خطبة أبي حمزة - :

ثم ولى معاوية بعده لابنه يزيد، يزيد الخور، يزيد الصقور، يزيد القهود، يزيد الصيود، يزيد القرود، فخالف القرآن . واتبع السكهان، ونادم اقردة، وعمل بما يشتميه، حتى مضى على ذلك .

قال : ثم ولى مروان بن الحكم طريد ولعين رسول الله ﷺ وآله ، وابن لعينه .

ثم تدارلها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة ، طرداه رسول الله ﷺ وآله ، وقرم من الطلقاء ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا من التابعين لهم باحسان.. فأكلوا مال الله أكلا ، ولعبوا بدين الله لعبا ، واتخذوا عبدا لله عبدا ، يورث ذلك الأكبر منهم الاصغر ..

فيا لها أمة ما أضعفها وأضعفها !

ثم مضوا على ذلك من أعمالهم ، واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وتحكموا في عباد الله .. وأذكر قتل عبد الله بن الزبير ، وقتل سعيد بن جبير ، وقتل عدد من المهاجرين والأنصار على يد عبد الملك ، والحجاج ، وما يصنعه الوليد ، ويزيد ، مما أجمع على إنكاره المؤرخون .

وانظر أيها أفتيح: قول أبي حمزة وفعله ؟ أم قول أولئك وأفعالهم ؟ أم ترى أن قتل الحسين بن علي هين عند الله ؟ ومعاوية هو الذى استخلف-يزيد قاتل الحسين كما أنه هو نفسه الذى قتل الحسن أيضا بالسهم! يا لها من مهزلة مروعة قام بها بنو

معاوية على مسرح الحياة ، ومع من ؟ مع آل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه !!

قال : وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ، ولم يكده ، وعجز عن الذى أظهره من الحق والعدل ، حتى مضى لسبيله راضيا مرضيا !! ..

قال : ثم ولي يزيد بن عبد الملك وهو غلام ضعيف -فيه- غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤانسن رشده ، وقد قال الله عز وجل : « فان آتستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم .. » ولشأن أن أمر أمة محمد في أحكامها ، ودمايتها ، أعظم من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، فهو يشرب الحرام ، ويأكل الحرام ، ويلبس الحرام ، يلبس بردين قد حيكنا له ؛ وقومنا على أهلها بألف دينار وأكثر ، قد أخذت من غير حلها ، وصرفت في غير وجهها ، بعد أن ضربت فيها الإبشار ، وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ، ولأنني مرسل ، ثم يجلس وحياً ، وسلامة عن شماله ويمينه تغنيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بهينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وخالطت روحه ، ولجته ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزق حلتيه ، ثم التفت إلى مغنيته وقال - بالسوء ما قال - أنا ذنان لى أن أطير؟ نعم . فطار إلى النار أياها المعتوه ، وإلى لعنة الله أياها المفتون ..
حيث لا يردك الله !

ثم ذكر بنى أمية ، وأعمالهم ، وسيرهم ، فقال : أصابوا إمرأة ضائعة ، وقوماً طغاماً جبالاً ، لا يقومون بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباباً لهم ، فلحكوا الأمر ، وتسلطوا فيه تسلط ريبوية . بطشهم بطش الجبابرة ، يحكمون بالهرى ، ويقتلون على الغضب ، يأخذون بالظن ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمنون الخونة ، ويقصون ذوى

الإمامة ، ويأخذون الصدقة على غير فرضها ، ويضعونها في غير موضعها .

فتلك هي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله !!

تلك هي الفرقة التي ظهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، أهلها وأتباعها لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن ، ولا عقل بالغ في الفقه ، ولا تفكير يش عن حقيقة الصواب ، قد لدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصية لحزب لزومه وأطاعوه ، في جميع ما يقوله لهم — غيا كان ، أو رشداً ، أو ضلالة أو هدى — ينتظرون القول في رجعة الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه ، يتعمون المعاصي على أهلها ، ويعملون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة في الدين ، قليلة عقولهم ، قد لدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ، فأنتم الله أنى يوفكون ؟

فأى هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون ؟ وبأى مذاهبهم تقتدون ؟ وقد بلغني مقالكم في أصحابي ، وما عيتموه من حدائث أسنانهم ...

ويحك .. وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله المذكورون في الخير إلا أحدانا شيا بآء والله مكتوبون في شياهم ، غضبضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقاً ، وكلما مر بآية من عذاب الله شق خوقاً ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض جيبهاهم وركبهم ، وصلوا كلال الليل بكلال النهار ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام ، وكثرة الصيام ، أنضاء عبادة ، موفون بعهد الله ، منتجزون لوعده الله ، قد شرروا أنفسهم ، حتى إذا التقت السكتيتان ، وأبرقت سيرفها ، وفوقت

سهاها ، وأشهرت رماحها ، لقوا شبا الأسنه ، وشأنك السهام ، وظباء السيوف
بمحرورهم ، ووجوههم ، وصدورهم ، ففضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على
عنتق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وغر جبينه بالثرى ، وانحطت
عليه الطير من السماء ، وتمزقته سباع الارض ، فكم من عين في منقار طائر طالما
بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله ا وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق
قد فلق بعمد الحديد ، وضربات العدو في سبيل الله ...

ثم بكى وقال : آه اوآه على فراق الإخوان ارحمة الله على تلك الأبدان ا
رضى الله عنهم وأدخلهم دار الجنان !!

وفي العقد الفريد - من رواية الامام مالك بن أنس - قال : خطبنا أبو حمزة خطبة
شك فيها المستبصر . ومن لم يتثبت في مذهبه رجع إلى مذهب أبي حمزة . قال أبو حمزة :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، وصلة الرحم
وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله ، وتصغير ما عظمت من الباطل ، وإمانة
ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أوتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ، وبعض العباد
في طاعته ، فالطاعة لله ، ولاهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والتسم بالسوية ، والعدل بالرعية ، ووضع
الاحساس في مواضعها ، التي أمر الله بها .

إننا والله ما خرجنا أشرا ، ولا بطرا . ولا هوا ، ولا عبثا ، ولا لدولة ملك ، نريد أن
نخوض فيها . ولا لثأر قد نزل منا . وانكن لما رأينا الارض قد أظلمت . ومعالم
الجور قد ظهرت . وكثر الادعاء في الدين . وعمل بالهوى . وعطلت الاحكام .
وقتل القائم بالقسط . وعنف القائل بالحق . وسمعنا مناديا ينادى إلى الإيمان . وإلى

طريق مستقيم ، أجبنا داعى الله وأمانا به ، وأقبلنا من قبائل شتى ، وتجمعنا من كل فوج .. قليلين مستضعفين فى الأرض ، فأوانا الله ، وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا .

يا أهل المدينة ... أو لكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أظعتم قراءكم ، وفقهاءكم ، فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يا أهل المدينة . . . يا أبناء المهاجرين والانصار ، ما أصح أصلكم ، وأسلم فرعكم ، كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدنيا ، فأذلتكم ، والامانى فأضاتكم ؛ فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتنتموه ، سرعنا إلى الفتنة ، بضامنا عن السنة ، عمينا عن البرهان ، صمنا عن العرفان ، عبید الطمع ، حلفناه الجشع ..

نعم . ما ورثكم آباؤكم - لو حفظتموه -- وبشما تورثون أبناءكم - إن تمسكوا به ، نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ، كان عدد آباءكم قليلا طيباً ، وعددكم كثيراً خبيثاً ، انبعث الهوى فأرداكم ، والهبو فأسأكم ، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزددجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون ..

سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ، فقلتم : والله ما فيهم الذى يعلم ، أخذوا المال من غير حله فوضعوه فى غير حقه ، وجاروا فى الحسك فحكموها بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بغيرنا لجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمتنا وحقوقنا فى مهور النساء وفروج الإمام ، وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظللونا ، وظلموكم ، وجاروا فى الحسك ، فحكموها بغير ما أنزل الله . . فقلتم : لا تقوى

على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا من يكفيننا ، فقلنا : نحن نكفيكم ، ثم الله راع علينا
إن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه ، وجئنا فاتيننا الرماح بهدورنا ، والسيوف
بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ، وقائلتمونا ، فأبعدكم الله ، فوالله لراقلم :
لا نعرف الذى تقول ولا نعلمه ، لسكان أعذر ، مع أنه لا عذر للجاهل ،
واسكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ، وأخذكم به فى الآخرة .

الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما بغير ما أنزل الله ، أو متبعا له ،
أو راضيا بعمله

وقال - أيضا - أما بعد : فإنك أيها المستمع فى ناشئ فتنه . وقائد ضلالة ،
قد طال جشوما ، واشتدت عليك غموما ، وتلوت مصادد عدو الله وما نصب
من الشرك لاهل الغفلة ، همى فى عواقبها فلن يهد عمودها . ولن ينزع أوتادها
إلا الذى بيده ملك الاشياء وهو الرحمن الرحيم .

ألا .. وان لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمها . ولم يشايعوا أهلها على
شبهها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق . ركبوا
منهج السهيل . وقاموا على العلم الأعظم .. هم خصماء الشيطان الرجيم . يصلح الله بهم البلاد
ويدفع عن العباد ، طوبى لهم وللمستصحين بنورهم . وأسأل الله أن يجعلنا منهم
أنه سميع مجيب الدعاء .

قال صاحب الأغاني : ثم خرج أبو حمزة وخلف بالمدينة بعض أصحابه ،
فسار حتى نزل الوادى . وكان مروان قد بعث ابن عطية - قائد جيوشه فى مكة
والمدينة - فى جيش خضم للمقاتنه . وبعث أبو حمزة ببلع بن عقبة لملاقاة جيش ابن عطية

وقتل بلج وأكثر أصحابه . ولم ينج منهم إلا ثلاثون رجلا فقط رجعوا إلى أبي حمزة .. وقد نصب ابن عطية رأس بلج على رمح !!

واغتم الثلاثون الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة . وجرعوا من انهزامهم وقالوا : فررنا من الزحف ، فواويلتاه ، فقال لهم أبو حمزة : لانجزعوا فانا لكم فنة ، وإلى انصرفتم ..

وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف والمفضل ، عليها .. وخطب أهل المدينة وودعهم .. وكان فيما قال :

يا أهل المدينة : انا خارجون للحرب مروان ، فإن نظهر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم بينكم . وان يكن اما تمنون لنا ، فسيهلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون !!

وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا وأبو حمزة مقيم بمكة... وواتبه على بن حصين العنبري — وهو من أخلص أصفياه — وقال له : انى كنت قد أشرت عليك يوم وقديده — وقبله — أن تقتل هؤلاء الأسراء فلم تفعل ، وعرفتك أنهم سيغدرون بك وأنت لا تبالي بهم حتى قتلوا ، بلجا ، وأصحابنا المقيمين بالمدينة .. وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء الغادرين الفجرة ، ولو قدم ابن عطية لكانوا أشد عليك منه .. فقال أبو حمزة : لا أرى ذلك ، لأنهم قد دخلوا في الطاعة ، وأفروا بالحكم ، ووجب لهم حق الولاية .

قال ابن حصين : انهم سيغدرون بك .. فقال أبو حمزة : ابعدهم الله ، ومن نكك فإنما ينكك على نفسه ، .

وقدم عبد الملك إلى مكة فصير اجناده فرقتين .. فرقة بالابطح .. والفرقة الاخرى بازاء أبي حمزة وتحت قيادته هو ، وصار أبو حمزة أسفل مكة ، وصير

قائد رجاله د ابرهه بن الصباح ، في الابطح حيث قتل هبار القرشي ، في كمين على جبل دمشق عند بئر ميمون .

أما أبو حمزة ، فلقد اتقى وابن عطية بأسفل مكة في معركة ضارية خشنه . وخرج أهل مكة جميعا مع ابن عطية ، في مواجهة أمي حمزة . حيث قتل أبو حمزة على د فم الشعب ، وقتلت معه امرأته وهي ترتجز وتقول :

أنا الجعيداء وبنت الاعلم من سأل عن اسمي فاسمى مريم

بعث سوارى بسيف مخذم

وتفرقت الخوارج الاباضية ، وتبعهم ابن عطية وقتلهم جميعا ، وصلب أبا حمزة وأبرهه بن الصباح على فم شعب الخيف ، ودخل ابن حدين دارا من دور فريش ، فأحرق أهل الشام بالدار وأحرقوها .. فلما رأى ابن الحصين ذلك رمى بنفسه من فوق سطح الدار ، وقاتلهم حتى أسر وقتل ، وصلب مع أمي حمزة وصاحبه ، ولم يزالوا مصلوبين معلقين على الأعراد تعتورهم الرياح حتى أفضى الأمر إلى بني العباس ، وحج د مهلهل المهجيمي ، في خلافة أبي العباس فأنزل أبا حمزة ليلا ودفنه وفعل كذلك بأصحابه .

وهكذا يلاقى الأحرار من الصعاب والنكال ما تنوء به راسيات الجبال .

والمشقة والمحنة والعذاب والنكال والقيل ، كل ذلك أول خطوة في طريق الجهد والخلود وهو أول بند في قاموس التضحية ، وأول باب يفتح على دنيا الأحرار الأبرار عن اصطفاهم الله لإصلاح هذه الحياة .

التبع الذي فاض :

أما عن خلفيات المذهب ، فلقد رفع هذا المذهب الأباضي الشيخ أبو الحسن على ابن محمد البسياوي ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، وسعيد بن عبد الله بن

محمد بن محبوب ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن بشير وعبد الله ابني محمد بن محبوب ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، وسعيد بن محرز والوضاح بن عقبة ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن موسى بن علي ، وهاشم بن غيلان ، ومحمد بن محبوب ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن موسى بن أبي جابر ، ومنير بن النير ، وسليمان بن عثمان ، ومحبوب بن الرحيل البهمري ، وخاف بن زياد البحراني ، وشيب بن عطية العماني ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن الجلند بن مسعود العماني ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسو ، وجعفر بن السمان ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن المختار بن عوف العماني ، وعبد الله بن يحيى الحضرمي ، وعلي بن الحصين ، وهلال بن عطية الخراساني ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن أبي عبيدة مصام بن أبي كريمة البهمري ، وفروة بن نوفل ، وداع بن حوثة ، ومن بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن أباض ، وعروة والمرداس ابني حندير ، ومن بعصرهم من المسلمين ، عن أبي الشعماء جابر بن زيد ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن صوحان العبدي ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن العباس ، وخزيمة بن ثابت ، ومحمد وعبد الله ابني يديل ابن ورقاء الخزاعي ، وعمار بن ياسر ، وبلال ، وصهيب وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وأبي ذر ، وعائشة أم المؤمنين ، والخليفة تين أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، عن النبي ﷺ ، عن جبريل الأمين ، عن رب العالمين .

مع أهل عمان :

إن مذهب أهل عمان متسلسل من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بنقله نقات وأئمة هداة وعلماء أثبات ، اشتهر بقاءهم بين رجالات الإسلام ، وعرف منهاجم بين نداة الأنام .

إن مذهب أهل عمان تناقله فضاحل الرجال الذين هم في الدين أسهر من نار

على علم ، وأول نأفل له مازن بن عضوبة السعدى ، وهو معروف فى التاريخ العمانى ، فهو صحابى عمانى ، ثم كعب بن برشة الطاحى أو العودى الصحابى ، ثم صحار بن العباس العبدى العمانى الصحابى الثالث ، ثم أبو شداد العمانى الصحابى الرابع .

هؤلاء الأشياخ الأجلال . والهداة الأدلاء ، والعمالقة الأزلونم الذين حملوا إلى عمان الدين الإسلامى ، وعلّموا أهل عمان أصوله ، وفروعه ، وواجباته ، ولوازمه ، ومقتضياته ، وتفقه أهل عمان منهم قبل كل أحد ، وبعد ذلك انتشر الإسلام فى عمان انتشار ضياء الشمس بعد الظلام ، حتى عم عمان أولها وآخرها ، ولقد رسخ برجالها الأبطال وعلماؤها الفضائل كالإمام أبى الشعثاء ، والإمام الربيع بن حبيب راوى المسند الصحيح ، وضمام بن السائب التندبى العمانى ، وجملة من أهل العلم العمانيين ، ومنهم السبعون راكباً الذين خرجوا مع عبد بن الجندى إلى المدينة المنورة .

عن .. من .. نقلوا؟

ومن نقلت العلم من أهل عمان إلى عمان ، وإلى العراق ، كثيرون لا يحصون عدداً إلا أن طبقاتهم متفاوتة ، أما عن نقلوا ؟ فقد نقلوا عن النبى ﷺ ، ونقلوا عن أمى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، ونقلوا عن عائشة أم المؤمنين السيدة المصونة التى تحوى شطر الدين عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، ونقلوا أيضاً عن العبادة الثلاثة ، وهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وبجرها الزخار ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، ونقلوا أيضاً عن ألس ابن مالك وأمى هريرة راوية الدين ، وعن أمى سعيد الحدردى ، وعن عبد الرحمن ابن عوف أيضاً كذلك ، وعن عمار بن ياسر ، وعن عبد الله بن مسعود حضيرة الفقه ، وعن أمى ذر ، وأمى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وأمى بن كعب ، وسلمان الفارسى ، وصهيب إمام الشورى ، وزيد بن صوحان المقتول

شيداً يوم الجمل ، وقلوا أيضاً عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، وعن محمد
وعبد الله ابني بديل ، وحر قوص بن زهير السعدي أحد المشهود لهم بالجنتة ،
وعن زيد حصن الطائي الذي نعمت السيدة عائشة والمقتول في النهروان .

هؤلاء هم علماء الصحابة ، وسادة أمة الإجابة ، رحمهم الله ، ورضى عنهم
وللاباضية مصادر أخرى كثيرة ، فلقد أخذوا أيضاً عن كثير من رجال العلم
وأعمدة الحق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن أنكر المنكر
على أهله ، ومن شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين ، ومن شهد النهروان مع
المسلمين ، ومن لم يشهد هذه المشاهد بمن مات على دينهم ، ومن مات قبل اختلاف
الامة ، فهم الأئمة والأولياء ، رحمهم الله ، لا ينكر فضلهم ولا يجهل شرفهم ...
وهم أهل الطبقة الأولى .

ثم من بعدهم الطبقة الثانية وهم : عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه الذين
جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا رحمهم الله على الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .

ثم أهل الطبقة الثالثة وهم : فروة بن نوفل الأشجعي ، ووداع بن حوثة
الاسدي ومن كان معهما يوم النخيلة رحمهم الله .

ثم أهل الطبقة الرابعة ، وهم : قريش ، والزحاف وأصحابهما الذين جاهدوا في
الله حق جهاده ، ذكرهم الإمام أبو إسحاق الحضرمي .

ثم أهل الطبقة الخامسة وهم : المرادس بن حدير ، وأخوه عروة ومن معهما
وهم الأربعون الذين شاع ذكرهم في عالم الإسلام بكل فضل في الدين ، ومن باعوا
نفوسهم لله حتى سالت أنفسهم على الحق .

ثم الطبقة السادسة وهم : عبد الله بن أباض ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ،
وصحار بن العباس العبد ، وجعفر بن السماك ، وحتات بن كاتب ، وأبو عبيدة
الضريير وهو أبو عبيدة الكبير العالم النحرير ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان .

ثم الطبقة السابعة وهم : عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق
لإمام أهل اليمن ومن معه من الرجال، كالختار بن عوف المدروف بأبي حمزة أحد
أبطال العلم، وأقيان السنان، وأبو الحر على بن الحصين، ومن استشهد معهم في
جهاد أهل البغي رحمهم الله .

ثم الطبقة الثامنة وهم: ابن حبيب بن عمرو والفراهيدي البصرى، وضام بن
السائب الندبي، وأبو منصور الخراساني ومن معهم في أيامهم .

ثم الطبقة التاسعة وهم : الجلندي بن مسعود الإمام، وأبو الخطاب لإمام
أهل المغرب، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي، ومن كان في طبقتهم وهم أفاضل
الامة في زمانهم .

ثم الطبقة العاشرة وهم : محبوب بن الرحيل، وهاشم بن عبد الله الخراساني،
وموسى بن أبى جابر، وبشير بن المنذر، وميز بن النير الجملاني، وهشام بن
المهاجر، وعبد الله بن أبى قيس، وسعيد بن الميثر، وعلى بن عزرة، وهاشم
ابن غيلان، وسليمان بن عثمان، وعبد المقدر بن الحكيم ومحمد بن هاشم بن
غيلان، وموسى بن على، وسعيد بن محرز، والوضاح
ابن عقبة وأضرابهم، فهؤلاء الائمة الأجلال والاساطين النخام هم مقدمة
رجال الاباضية الذين يأخذ بعضهم عن بعض من معاصريهم وغيرهم، ذكرناهم
لاعلى الترتيب الزمنى كما ينبغي، لان هذا يحتاج إلى فراغ واسع بأنى على ذكر
منازلهم العلية، وطبقاتهم الزمنية وأسمائهم القبائلية، وأعمالهم النقية وهولقاتهم
الشمينة التي يحق لها أن تسكتب بماء الذهب على وجنات الخور، فقد قاموا رحمهم
الله ورضى عنهم مقاماً يحق له الإكبار، وجاهدوا واجتهدوا في حق دين الله
عز وجل، وأدوا واجبهم حتى انقضت أيامهم، وجاء من بعدهم من أقاموا
منار الدين، وكشفوا عن منهج سيد المرسلين، وابتلوا بالامة حينئذ الدهر،

هذا والله يجزئهم رضاه ويهديهم إليه سبيلا ، إذ ما من قرن إلا ولاهل عمان فيه أبطال عديدون ، وفقهاء كثيرون ، وعلماء عمان هم فقهاء الشريعة ، لم يتخصص منهم أحد في غير الفقه ، وإن نال بعضهم من غير الفقه أيضا .. وقد اشتهر بالطب منهم جماعة كمحمد بن هاشم الطيب الرستاقى المشهور ، وهو صاحب لامية الطب ، وإن كان لبعضهم في الطب أياد إلا أنها بالمعنى المعروف عند العرب ولهم في الطب النبوى نصيب ، لأنه شرعى ، فهم في علوم الشريعة الرعية الأول ، ومن بعدهم غيرهم من علماء الأمة ، فهم رواة الحديث ولهم فيه السبق على غيرهم فإن الإمام الربيع بن حبيب أول من أنف فيه المسند الشهير بالجامع ، إذ جمع فيه أمهات الأحكام من جوامع كالمعنى الصلاة والسلام ، وعليه بنى المسلمون قواعد مذهبهم الصحيح . ولم يذكره المؤرخون لعدم إطلاعهم عليه ، فإنه لم ينشر وبالأخص لم يطبع ، فانظر ما يقوله العلامة التنوخى فيه ، ولهم في علوم الأدب المقام الأكبر بالخليل بن أحمد الفراهيدى ، وابن دريد وأضرابهم وفى التاريخ كذلك ، وفى سائر العلوم والمعارف الإنسانية لهم اليد البيضاء الطولى .

ذرية بعضهم من بعض :

وإذا أردنا أن نذكر علماء عمان في كل قرن .. أعنى مشاهيرهم الاجلاء ، فالإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، وأبو عبيدة ومن معهم ، فهم عنماء القرن الأول للهجرة ، ولا يرد علينا أن هؤلاء بصريون ، بل نقول : هم عمانيون بغير شك ، وإن أقاموا بالبصرة ، فقد صارت البصرة عمانية بكل معنى الكلمة ، إذ كان علماءها هؤلاء ، وهم عمانيون ، وأميرها المهلب بن أبي صفرة وهو عماني بغير شك ، فهى عمانية به وبقوه الأزد من أهل عمان .

أما علماء القرن الثانى ، فهؤلاء وآخرون جاؤا من بعدهم ، فإن الإمام الجندى

ابن مسعود رحمه الله في أول علماء القرن الثاني: قال المؤرخ أبو الحسن البستاني: وكان في أيام الإمام الجلندي حاجب، والربيع بن حبيب بالعراق، وعبد الله بن القاسم وهلال بن عطية الحرساني، وخلف بن زياد البحراني، وموسى بن أبي جابر الأزكاني، وبشير بن المنذر النزواني، ومنير بن النير الجعلاني،

ومنهم أيضاً، أبو صالح الوضاح بن عقبة، ويحيى بن نجيج، وكلهم عيال فقه وأئمة هدى، بل كاد أن يكون أيام الجلندي كل أهل عمان علماء، أو قل على الأقل أهل ذلك القرن.

ومن علماء القرن الثاني أيضاً: شبيب بن عطية العماني الذي قام بالامر احتساباً، وكان من مشاهير أصحاب الامام الجلندي رحمه الله، وعبد الوهاب ابن جيفر، ومحمد بن عبد الله بن حساس، وأبو جعفر سعيد بن محمد، وسعيد بن محرز، ومحمد بن محبوب الرحيلي القرشي، ومحمد بن هاشم.

وقد سبق ذكر أبيه هاشم بن غيلان، والأشعث بن محمد، ومحمد بن الملقى السكندی، ومحمد بن عبد الله زميل الشيخ موسى بن علي، وعبد الله بن محمد بن روح، ووائل بن أيوب، والصلت بن خميس المعروف بأبي المؤثر البهلوي وهو خروصي النسب.

وأما علماء القرن الثالث فهم: هؤلاء المذكورون ومن اتبعهم، وهم زياد بن الوضاح، ومبارك بن جعفر، والحكم بن بشير، والأزهر بن علي، وعلي ابن عزرة، وجعفر بن زيادة، وعبد الله بن أبي قيس، وعبد الله بن نافع، ورابح بن يزيد، وأبو مالك بن هزير، والأشعث بن عمدة، والأزهر بن عبد الملك، وعبد العزيز بن عبد الرحمن، وعمر بن الأحنس الذي صلى بالناس الجمعة وغيرهم وغيرهم أكثر من أن يحصى أو يستقصى.

وعموماً :

وبالجملة فإننا إذا ذهبنا إلى ذكر علماء عمان في كل قرن يضيق بنا الوقت، فهو لاء العلماء المعدودون، وأرلهم زياد بن الرضاح، ومبارك بن جعفر، والحكم بن بشير، إلى غدانة بن محمد، وهم إلى عهد الإمام الصلت بن مالك، والإمام الصلت المذكور كان قد بويع له بالإمامة لسة عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وماتين فهو في صدر القرن الثالث، وكان العلماء المشاهير الذين لهم في الأمة الحل والعقد، والارام والنقض لا يحصون عدداً، ثم طال عهد الصلت بن مالك، إذ عاش في الإمامة إلى سنة اثنتين وسبعين وماتين، فكانت إمامته خمسا وثلاثين سنة، نشط فيها العلم، وقوى سوقه، وطالت أغصانه، وأثمرت أيام الصلت بن مالك الثمر الحلو في عمان، وانتشر العلماء فيها، وانتشروا من عمان إلى سائر بقاع العالم، وساروا فيه كما تنتشر الشمس، ويسرى الهواء .

ففي كل بلد تجد أجلة العلماء، حتى لقد غصت العواصم العمانية بهم، وكان سلطان الامامة بالغاً حده، وعمان في ذروة الشرف، وأهلها يتسابقون على العلم، إذ تواتر أيام الامام وازدهر عهدها، وقامت لهم في أرجاء عمان ككببة مشرقة، وضيئة (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فلما طال العهد بالامة، تجاسروا على الامام الصلت بن مالك حتى صارت أيامهم حديث سمر الناس، وحيرة أهل الفضل، ولم يزالوا على ذلك حتى تخلى الصلت رحمه الله عن الأمر تسكيناً لثورة الثائرين، واخذوا للفتنة وقضاءا على الاضطراب، وتهدة للخواطر والمشاعر . .

إمامة..وأئمة:

إن الإمامة في عمان فسكرة مذهبية خالصة، أساسها عقيدة دينية، واختيار

الامام وتنصيبه مردود أمره إلى أهل الاستقامة ، في الدين ، الذين يتشاورون فيما بينهم ، ويختارون لانفسهم ، اماما ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر وفق ما جاء في القرآن الكريم . والسنة النبوية المطهرة ، وأفعال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، كما كان يفعل من إجراءات في اختيار الخليفة ...

وبالتالي ، فإذا اختار المسلمون لهم اماما ، وجبت عليهم - بالضرورة - طاعته ، فيما يأمرهم به ، وفيما ينهاهم عنه ، فهو لهم الراعي الأمين ، وكل راح مستول عن رعيته ، وطاعة الامام واجبة له على رعيته ، وفي أعناقهم وذماتهم في أمور الدنيا . وفي أمور الدين ، واليه ترجع كل الشئون ، وتؤول المهام الجسام ، والتبعات الضخام .. فهو الذي يولى الولاية ، وينصب القضاة ، ويجبى الأموال ، ويقيم الحدود ، وفق قواعد الدين .. أداماً للامانة ، ووفاء بالعهد ، وقياماً بالمسؤولية التي ربطها الله في عقده ، ووضعها فوق عاتقه ، وانتارا بأمر الله الذي أزمه به في معاملة الناس .

وان المتتبع لحركة الامامة وتاريخها في عمار ، عبر الكتب والمؤلفات والواقع - يجد أن الامامة قد عاشت حياتها . كما يعيش الأفراد حياتهم ، وان عمر الامامة - تماما - مثل عمر الأفراد ، طفولة ، ومراهقة وشبابا ، وكهولة وهرما ، وشيخوخة ..

وهي كالأفراد - أيضاً - بعضها يولد هزيلة مريضا ، وبعضها يولد صحيحا معافى ، تمتد حياته ويطول عمره .. والامامة - كذلك - مثل الأفراد يصيبها داء الفجاءة أحيانا . وأحيانا يدب فيها الفناء تدريجيا ، فتموت عضوا عضوا ، حتى يقضى أجلها وتنتهى أيامها ، فهذا شأن كل موجود ، ماديا كان ذلك الموجود ، أو معنويا ..

وكما يحدثنا التاريخ، فإن الإمامة شكل من أشكال الخلافة ، أو هي - وفي
عمان بالذات - امتداد للخلافة الإسلامية في عهدها الأولى، منذ الخليفة الأول
أبي بكر الصديق رضی الله عنه

وأول إمام بويع له في عمان الإمام الجلندي بن مسعود جينغر بن بن جلندي ،
وهو أحد بني الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عز بن معولة بن
شمس - ملك عمان بعد أولاد مالك بن فهم - وكان الجلندي في جيش الإمام
طالب الحق ، فلما قتل الإمام جاء إلى عمان فبايعوه فيها ، وكان في زمانه حاجب ،
والربيع بن حبيب في البصرة ، وكان أبو عبيدة مسلم غير موجود في ذلك الوقت ،
وقد حضر البيعة حملة العلم الأربعة ، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقتل سنة
أربع وثلاثين ومائة ، كذا قال ابن الأثير: وبقي في منزلة الامام بعده شبيب بن
عطية الأباضى العماني ، ومحمد بن أبي عفان ، حتى اجتمع المسلمون على تقديم
الامام الوارث بن كعب الخروصي ، وهو أول إمام من بني خروص ، وهم من
اليحمد، وذلك في سنة تسع وسبعين بعد المائة ، وكان القائم بإمامته والبيعة له موسى
ابن أبي جابر الأزكوى - أحد حملة العلم إلى عمان - وكانت إمامته ثلاث عشرة
سنة رضی الله عنه وأرضاه .

ثم بويع للإمام غسان بن عبد الله الیحمدي من الفحج ، بويع له في اليوم
الذي مات فيه الامام الوارث من عام اثنتين وتسعين ومائة ، وكان على رأس العلماء
الذين تولوا بيعته العلامة سليمان بن عثمان ، والعلامة مسعدة بن تميم ، وكانت
بيعته بنزوى وتوفي سنة سبع ومائتين ، وكانت إمامته حوالي خمس عشرة سنة
وبويع بعده للإمام عبد الملك بن حميد ، وهو من بني علي بن سودة بن علي بن
عمرو بن عامر ماء السهام الأزدي، وكانت بيعته بدموت الامام غسان يوم واحد،

وكان على رأس العلماء يومئذ موسى بن علي بن الحسين البهبهري ، وتوفي الامام سنة ست وعشرين ومائتين ، وكانت بيته وموته بزوى .

ثم بويغ الامام مهنا بن جبير ، وهو من اليحمد ، بويغ له في اليوم الذي مات فيه عبد الملك بزوى ، وعلى رأس العلماء يومئذ موسى بن علي المذكور ، وفي زمانه توفي موسى بن علي رضى الله عنه لثمان ليال خلون من ربيع الاول سنة ثلاثين ومائتين ، وبويغ للامام الصلت بن مالك في اليوم الذي مات فيه المهنا ، وكان على رأس العلماء بشير بن المنذر أحد حممة العلم لعمان ، ومحمد بن محبوب ابن الرحيل القرشى .

وكانت إمامة الصلت خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ومات ودفن بزوى ، وصلى عليه عزان بن نعيم ، قبل أن يكون عزان إماماً ، ووقع بعده اضطراب كثير ، واشتاق عريض ، أدى إلى إنقسام أهل عمان إلى نزوانية ورستاقية .

وما زالوا كذلك حتى أمدهم انه بالامام العادل سعيد بن عبد الله بن محبوب وكانت بيته سنة عشرين وثلاثمائة . وكان على رأس العلماء يومئذ أبو محمد الحواري بن عثمان ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر ، ومحمد بن زائدة السيمالي .. وقتل شهيداً بعد ثمان سنوات من إمامته ، وبويغ للامام راشد بن الوليد السكندى ، وكان على رأس العلماء المبايعين له ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر الخروصي ، ولبت في إمامته حوالي أربع عشرة سنة ، وصارت عمان بأيدي الجبابرة ، فاعتزل الامام دار الخلافة إلى منزله حتى توفاه الله والعلماء موجودون ولم تقطع الدعوة ، وربما يقدمون إماما ويعاجل بالقتل وهكذا حتى بويغ للإمام الخليل بن شاذان بن صلت بن مالك سنة سبع وأربعمائة وكان في زمانه من العلماء محمد بن المنفى السكندى والحسن بن أحمد شيخ صاحب

كتاب بيان الشرع ، وفي زمانه وزمان الامام راشد بن سعيد زار عمان
الامام الشاري ابراهيم بن قيس الحضرمي ، وتوفي في أوائل سنة خمس وعشرين
وأربعمائة .

ثم بويغ بعده الإمام راشد بن سعيد ، وهو من اليحمد ، بويغ له بعد موت
الخليل ، وبقي في الامامة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

وكان في زمانه أبو الحسن البستاني ، وأبو محمد بن بركة ، وأبو سعيد الكندي
والحسن بن سعيد بن قريش ، وبويغ بعده لولده حفص بن راشد ، وبويغ بعده
الإمام راشد بن علي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وكان في زمانه الحسن بن أحمد الهجاري ، ومحمد بن عيسى السري ، ونجاد بن موسى
وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وبويغ بعده للامام محمد بن أبي غسان ولأبي
المعالى وغيرهما من الائمة ، مع اضطراب الاحوال واقتراق الكلمة النزوانية
الرساقيية .

ومنذ ذلك الحين اختفى صوت الامامة في عمان أكثر من قرنين من الزمان
وتولى الأمر ملوك التباينة ، وقتلوا كثيراً ودمروا كثيراً ، ومن ضحاياهم العلامة
الجليل أحمد بن النظر الشاعر العالم صاحب كتاب الدعام ، ورسالك الجمان في مسيرة
أهل عمان .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بويغ الامام الحواري أبي مالك ، وكان في
زمانه العلامة سليمان بن أحمد مفرج البهلوي ، ولبت في الامامة حوالى ثلاث
وعشرين سنة ، ثم بويغ بعده للامام أبي الحسن بن خميش بن عامر سنة تسع
وثلاثين وثمانمائة ، وبقي في إمامته سبع سنين وشهرين ، وكان في زمانه العلامة
ورد بن أحمد بن مفرج البهلوي المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، ثم بايعوا

عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت بن مالك ، وذلك في سنة خمس وثمانين وثمانمائة ، وعضى بتفريق أموال بنى نهبان .

وكانت إمامته تسع سنين ودفن بزوى ، ثم بايعوا محمد بن سليمان بن مفرج ثم بايعوا لإبي الحسن بن عبد السلام ، وكان في زمن هؤلاء الأئمة بعض ملوك بنى نهبان الذين تصارعوا كثيرا فيما بينهم على الملك . . حتى استتب الأمر للإمام محمد ابن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضرى ، وهو رجل من قضاة وبتصل نسبة بالنبي هود عليه السلام ، وكانت بيعته سنة ست وتسعمائة ، ولبث في إمامته ستا وثلاثين سنة ، وتوفى رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة . .

ثم بويح من بعده لولده بركات بن محمد بن اسماعيل في اليوم الذى مات فيه أبوه ، وكان على رأس العلماء المبايعين عبد الله بن عمر بن زياد الشقى ، ومحمد ابن أحمد بن غسان ، وصار بين الإمام وبعض ملوك التباهة ورؤساء القبائل بعض التناقس ، وتوفى الإمام وأهل عمان في صراع شديد ، حتى أدرك الله الأمة بالدولة اليعربية ، فجاء الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى الدرب من ولد نصر بن زهران فجمع شملها ، وداوى جراحها ، وأصلح شأنها ، وزالت التفرات النزوانية والرساقية ، وأصبحت دولة مسلمة فطرية عمدية ذات أسطول عالمى هزم البرتغال وطهر الخليج من الجنوب إلى الشمال ، وأعدت اليعربية لعمان الشرف الباذخ والمجد الشامخ ، فقد بويح الإمام ناصر سنة أربع وعشرين بعد الألف ، وكان على رأس العلماء الشيخ خيس بن سعيد الشقى الرستاقى مؤلف منهج الطالبين ، وفيهم من العلماء الشيخ مسعود بن رمضان النبهانى الزوى ، وصالح بن سعيد الزاهلى العقرى وكان عدد العلماء الحاضرين أكثر من أربعين عالما وذلك في بلدة الرستاق وتوفى سنة خمسين بعد الألف .

ثم بويح بعده للإمام صالطان بن سيف بن مالك بن عمه في اليوم الذى مات

فيه الإمام ، فغزا الهند ، واستمر في نضاله ضد البرتغال، وعمل على تقوية الأساطيل،
وتعمير البلاد ، وتأمينها ، ولبت في إمامته حوالي إحدى وأربعين سنة، وكان في زمانه
عدد كبير من العلماء منهم الشيخ درويش بن جمعة المحرقى المؤلف، والشيخ
خلف بن سنان الغافرى .

ثم بويغ بعده لابنه بلعرب بن سلطان في اليوم الذى مات فيه أبوه من عام
واحد وتسعين بعد الألف ، وكان على رأس العلماء في ذلك الوقت محمد بن عبد
الله بن عبيدان .

وفي زمانه الشاعر المشهور راشد بن خميس بن جمعة الحبسى ، ومات الامام سنة
أربع ومائة بعد الألف، ودفن بقمصره الذى بناه .

ثم بويغ لآخيه سيف بن سلطان قيد الأرض ، واستمر في جهاده ، واحتل
شرق أفريقيا متابعة لجهاد سلفه ، وتوفى سنة ثلاث وعشرين بعد المائة والألف
بالمستاق، وكان في زمانه عدد كبير من العلماء كالعلامة الجليل سعيد بن بشير الصبحى
وناصر بن خميس الحراشدى وخلف بن سنان الغافرى وعدى بن سليمان الذهلى
وناصر بن سليمان بن مداد .

ثم بويغ بعده لابنه سلطان بن سيف سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد الألف،
وبنى حصن الحزم .

وتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ، وبوته تفاقم الشر فى عمان
وكثرت الفوضى والفتن .

فقد بويغ بعده الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب فى ذلك
العام ، ولم يبق فى امامته أكثر من ثلاث سنوات ، ثم خذل وقتل .

وبويغ بعده للإمام يترب بن بلعرب بن سلطان بن سيف فى ذلك العام ،

وقامت الحروب بين القبائل ، وحرقت عدة مكاتب ، وقتل عدد كبير من رجال العلم والإصلاح ، واعتزل الامامة ، وقدموا لها سيف بن سلطان وكان صغيراً ، إلا أن محمد بن ناصر الغافري أخذ البيعة .

وهنا انقسم أهل عمان إلى غافري . وهناري ، فالغافرية اتباع محمد بن ناصر ، والهنارية اتباع خلف بن مبارك الهنائي ، وبقيت حزازات في قلوب القبائل العمانية ، يتقاتلون باسمها ، وأدخلوا العجم في البلاد فثأروا في الأرض الفساد، حتى أغاث الله البلاد بالامام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدى ، وبويج له سنة سبع وستين ومائة بعد الالف ، وبه انقرضت دولة اليعاربة بعد صراع دام بينهم حوالى أربعين سنة ، وكان في ذلك الوقت من العلماء العلامة الصبحي المذكور الذى توفي قبل دخول العجم إلى عمان ، والعلامة حبيب بن مسلم ابو سعيد النزوى ، والشيخ سعيد بن أحمد الكندى ،... وكانت أيامه أيام راحة واستراحة ، وتوفي بعد تسع وعشرين سنة من إمامته ، وبقيت عمان حوالى تسعين سنة لم يكن بها إمام متفق عليه ، ولكن العلماء الاختيار فيها كثير، كالشيخ العلامة الرباني جاعد بن خميس بن مبارك الخروصى صاحب التأليفات الكثيرة والأمرار المنيرة والسكرامات الشهيرة والفتاوى الثيرة وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ، والعلامة ناصر بن أبى نهبان الذى توفي بزنجبار سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ، وعمره سبعون سنة ، وأخوه نهبان ، والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدى من أهل مسكد والشيخ العلامة جميل بن خميس السعدى مؤلف القاموس فى تسعين جزءاً ومنهم الشيخ سلطان بن محمد البطاشى المتوفى عام واحد وسبعين ومائتين بعد الالف والشيخ سالم بن سعيد الصايغى مؤلف الأرجوزة والباب ، والعلامة خميس بن راشد العبرى والد الشيخ ماجد بن خميس .

ثم بايعوا للامام غزان بن قيس بن غزان بن قيس بن الامام أحمد ، وذلك

سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، وكان على رأس العلماء العلامة المحقق سعيد ابن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي ، والشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليم الغاربي السعدي، وغيرهم من أفاضل العلماء .

ثم بويع للإمام سالم بن راشد الخروصي سنة واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وكان على رأس العلماء يرثه العلامة الجليل نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، وحضر البيعة العلامة عامر بن خميس المالكي، والعلامة أبو زيد عبد الله ابن محمد الريامي، والعلامة محمد بن سالم الرقيشي والشيخ عبد الله بن راشد الهاشمي، والشيخ عامر بن علي الحبسي، ثم قتل الإمام بعد سبع سنوات من إمامته في بلدة الخضراء ، وبايعوا بعده للإمام محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي بعد أيام من قتل الإمام ، وكان القائم بإمامته العلامة الأمير عيسى بن صالح بن علي الحارثي المتوفى سنة خمس وستين عن عمر يبلغ خمسا وسبعين سنة ، وحضر البيعة عدد من العلماء كالشيخ ماجد بن خميس العبري الذي أدرك الإمام عزان والإمام سالما، وهذا الإمام الثالث .

ولبت الإمام في إمامته إلى سنة ثلاث وسبعين، وتوفي ليلة ٢٩ من شعبان من السنة المذكورة ، واستخلف على المسلمين الإمام غالب بن علي بن هلال الهنائي، وبايعه كل من العلماء والزعماء، وكان على رأس العلماء العلامة محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي المتوفى سنة ثمان وسبعين عن عمر يناهز الثمانين .

وبقي الإمام غالب في الإمامة حوالي عشرين شهراً، واعتزل الإمامة وأعمال المسلمين وأقام في بيته، وذلك في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف في آخر ربيع الثاني... لم تزل عمان إلى اليوم معمورة بالعلماء والفضلاء والصالحين باركها الله وحماها .. وزادها وزانها ..

قال صاحب كتاب عمان :

الامامة منشأة قديمة عريقة في عمان ، تترد إلى القرن الثاني من العصر الهجري
الموافق للقرن الثامن الميلادي :

وقد نشأ الاباضيون من المسلمين هذه المؤسسة ، وصانوها هناك ، ودافعوا
عنها طويلا ، وأمدوها بأرواحهم ، واستودعوها شبابهم وحياتهم .

والاباضيون فرخ من الخوارج المعتدلين ، الذين قاموا بحركات دينية محافظة ،
وانفصلوا عن علي بن أبي طالب ، وقد قصد بعضهم إلى شرق الجزيرة العربية ،
واستقروا ببجبال عمان ، حيث نشروا مذهبهم الذي تعرض لتغييرات يسيرة على
مدى القرون المتتالية ...

ويمكن اعتبار امامة الاباضيين في عمان من الآثار الحية التي خلفتها الخلافة
الإسلامية الأولى ، في ثوبها القشيب ، وشكلها الزاهي الحبيب .

فهي حركة إسلامية واعية متيقظة ، ترعى مصالح الإسلام ، وشؤون المسلمين ،
ولا يزال الامام الاباضى يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الراشدين
في القرن الهجري الأول ..

وليس مما يغفل شأنه مجال ، أن نعرف أن لقب الامام ، نفسه كان يطلق
على الخليفة أحيانا في تلك الايام ، وكانت رسوم واجرامات انتخاب أو تعيين
الامام ، أشبه ما تكون تماما بانتخاب أو تعيين خليفة المسلمين على مستوى الامة
الإسلامية جمعا ..

ليس لها مثيل :

أعدت شغلت عمان حيزا كبيرا في ذهن النبي ﷺ وفي وجدانه ، إلى حد أنه

صلوات الله وسلامه عليه قال فيها ، وفي أهلها ما لم يقله — وماأله — في غيرها ،
وفي أهل غيرها أبدا ..

وكذلك فعل أصحابه السكرام رضى الله عنهم ، وفعل النابهنون من هــنه
الامة .

وإن عمان كانت — وستظل — الامر للعظيم العالى ، والشوء الثمين العالى
الذى شغل بؤرة الشعوب في التذكير الاسلامى العام .

فأهل عمان — كما حدثتنا كتب التاريخ مجتمعة بجمعة — أسلموا الله طوعا ،
ورالوا رسول الله ، وتولوه ، فسمعوا له ، وأطاعوه ، على بعد دارهم ، وكثرة
عددهم ، ومنعتهم في أفرامهم ، وقالوا لرسوله وعامله : أهلا ومرحبا ، ولم يرمهم صلوات
الله وسلامه عليه — طيلة حياته — إلا الخير الذى يحبه ، ومكارم الاخلاق التى
امتدحها الله في كتابه الكريم — وهو يخاطب رسوله — : و انك لعلى خلق
عظيم ، ..

لاشك أن شفاية الروح العمانية ، وشفاء النفس فيها ، وحساسية الشعوب
منها ، وأريحية الفعل في سلوكها ، ومنهجية الاسلوب في معتقدها ودينها ، كل ذلك
— وأكثر منه — كان له الفضل كل الفضل في سبق عمان بين أشواط هذه المعاهير
وفوزها الساحق الشاق في قسط هذا المشوار الطويل ، من أزلها إلى أبعدها ، مما
كان له — وما ترتب عليه — من ردود الفعل المبهرة ، على جميع المستويات .

وفي شتى الأنشطة والأصعدة ، ومع ذاتية العمل الصادق المخلص ، التى تخضت
عنه — بعد أن حملت فيه طويلا — الارادة العمانية الا محدودة ، والمشيئة
القوية الفاعلة ، التى يتميز بها كل عمانى في صفوف الحياة ، وبين مواكب
الاحياء ...

الله جميعا ، ورضى عنهم - عن أزور، قال : إن نسوة من نساء أهل عمان
أستأذن على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فأذنت لهن .. فسلمن عليها -
وفي رواية ، فسلمت عليهن - ثم قالت : من أنتن ؟ قان : من أهل عمان ...
قالت لهن : لقد سمعت جيبى عليه الصلاة والسلام يقول - فى مقام المدح على
عمان وأهل عمان - : ليكثرن وراى حوضى من أهل عمان ، ..

طوبى للغرباء :

وحول ذات المعنى ، وفى نفس الموضوع ، من روايات الربيع عن أبى
سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنهمسا ، وأخذ يسألها عن
مسائل لم يسألها أحد عنها من قبل ، - وأكثر من السؤال لها ، وطلب الاجابة منها -
وقالت له فى نهاية اللقاء : ومن أنت ؟ قال لها جابر : من أهل المشرق .. من بلد
يقال لها عمان .

قال أبو سفيان : فامتدحت السيدة عائشة عمان كثيرا ، وقالت له : إن النبى
ﷺ دعا لأهل عمان بالخير ، والبركة ، وكثرة الرزق ، وحلاله ...

وفى اجتهادات بعض العلماء الثقات ، وجمهرة من رواة الحديث ، ورجال
الفقه ، إن رسول الله ﷺ حين قال : بدأ الدين غريبا ، وسيعود غربيا كما بدأ ،
فطوبى للغرباء من أمق ، ، وصاله أصحابه ، وقالوا له : ومن هم الغرباء يا رسول
الله ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه : الغرباء هم الذين يعمنون بكتاب الله حين
يترك ، وهم الذين يتمسكون بحبل الاسلام حين يقطع ، ا

فلقد أكد هؤلاء العلماء ، وتلك الجمهرة الثقات من رواة الحديث وأئمة الفقه
أن الغرباء هم أهل عمان .. وقالوا : من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله
ﷺ دائما وعلى مدى الحياة ، فليتنظر إلى الصالحاء ، الاتقياء ، من أهل عمان .

ينظر إليهم في أخلاقهم ، في سلوكهم ، في تعاملهم مع الحياة ، في منهجيتهم العقيدية .

في صدقهم وأمانتهم وعفتهم ، في كل شؤون الدنيا ، وفي كل أمور الدين .
وفي بعض كتب الصحاح ، قال رسول الله ﷺ : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان ، » .

وقال ﷺ — عن طريق أحمد والترمذي والنسائي — : « من أعيته المكاسب فليأت عمان ، فإن خيرها كثير ، وبرها وفير ، » .

وفي رواية — عن أبي داود — أن النبي عليه السلام قال : « يوشك أن يقتل الناس في آخر الزمان إلى عمان ، » .

وفي رواية أخرى له — أيضاً — قال صلوات الله وسلامه عليه : « من أحب أن يسكن عمان فليسكن ، فإن أهلها القناعة ، والرضى باليسير ، وعليهم من الله أمن وسكينة ، » .

وسمع عبد الله بن سلمة رجلاً يودع آخر ، فقال له : « أين تريد ؟ قال : أريد عمان .. »

قال : فالحق بها يا ابن أخي سراعاً .. فإن بها أمان الليل ، وأمان النهار . يوشك أن ينتقل إليها الناس في آخر الزمان — كما قال رسول الله ﷺ — وفراراً من جور الظلمة ، وأعوان الحاكم ، وحطاط النبط ، » .

وعن النبي صلوات الله وسلامه عليه — فيما يرويه البخاري ومسلم في صحيحهما — :

« يوشك أن تكفر أمتي ، ويلي عليهم أعوان الظلمة ، الذين يدسون القوانين

ويتاجرون بها ، ويرفضون البراهين ، ويتبعون الاهواء ، ويقدمسون الاقوى ،
وحينئذ يلتجئ الناس إلى عمان ، وإن عمان عند اقتراب الساعة يعمر
خرابها ، ويكثر سكانها ، ونفيض خيراتها ، وتضييق بن فيها ، من كفرة من يهاجر
إليها ، حتى ليباع مريض الشاة ، ومقعد الرجل بعشرة دنانير ، أو بعشرين ديناراً
فلا يقدر على ذلك إلا خواص الناس ، وذلك لكثرة الاموال في أيدي أهلها
واتساع الأرزاق بينهم ، بما ينضحه البحر ، وتأتي به الأرض الطيبة الخصبة ،
آمن ليلهم طيب نهارهم .

لئن أعاشني الله :

وحول هذا المعنى الآمن الهادئ المستقر الذي يسود عمان ، ويتواكب دائماً
مع أهلها ويلازمهم ، يقول سلطان بن سيف اليعربى ، — أحد أئمة عمان
العدول — : لئن أعاشني الله ، وأطال حياتي ، وأمد في عمري ، لأنزكن المسافر
يذهب من عمان إلى مكة بغير زاد أو ماء ، وسأؤن الطريق ، وأزوده بالطعام
والشراب ، وكل ما يحتاجه الظاعن ، .

قال الإمام سالم بن حمد بن سليمان الحارثي — تعليقا على ما سمع وشاهد ،
وعلم وأدرك — :

ولا ريب في هذا كله ، فإن أهل عمان شاركوا في كل فضل ، حتى دعا لهم
رسول الله ، وباركهم خليفته وصديقه أبو بكر ، ولقد ظهرت دعوات النبي لهم ،
وتوسمات أصحابه فيهم .

وفي هذا يقول جمع كثير من علماء عمان ، وفي مقدمتهم شيخهم الامام
السالمي — رحمهم الله جميعا — حيث يقرر في دروسه الجامعة ، وعظاته النافعة
ومؤلفاته الثرة الخزيرة :

فأتى النبي ﷺ ، وعرف نبوءته ، واستيقنتها نفسه ، وصدق برسالته ،
إذ كان ممن قرأ الكتب ، وعلم عن النبوات ، وطالع ما تشير إليها من علامات
وارهاصات ...

فعاد إلى القوم ، وأخبرهم بصحة نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه ،
ولذلك ، فإنه حين أخبرهم وطالعهم بالآيات ، قالوا له - مبهورين مأخوذيين - :
هذا أمر ضخم ، وحدث جلل ، نريد أن نشافه فيه كسرى ، ونخبره بحظيانه
وما يتأته ، إذ كانوا يعلون يقيناً صدق كعب ، وأنه لا يقول غير الحق ، وإن
نبوة محمد صحيحة ، وإنه رسول الله إلى الناس كافة .

فكان كعب - بذلك - أول أو ثاني داعية إسلامي في عمان ، بعد مازن
ومن اقتدى به .

والثالث صحار بن العباس العبدي من عبد القيس من أهل عمان ، وكان من
أجله العلماء الاتقياء الأوفياء .

والرابع : أبو شناد العماني المعروف بالذماري ، كان يأتي ذماراً فقالوا فيه:
العماني الذماري ، ذكره صاحب الاستيعاب وغيره ممن كتبوا عن الصحابة
رضوان الله عليهم .

وإن أنكر فضل أهل عمان من أنكره من أعدائهم ، فبهذه
حقائق واضحة في أفق التاريخ وضوح الشمس في رابعة النهار ، لا ينكرها إلا
أعمى عن الحقائق ، وأى فضل أعظم من أتى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذلك الشاء العظيم؟ ثم أتى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ذلك الشاء العظيم؟
ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه ، وأنتف عليهم الانصار في ملا من

المهاجرين والانصار؟ ولذلك لم يزلوا ثابتين على الحق رغم عاذيات الدهر الذي من طبعه
التقلب .

فأهل عمان أهل خير لم يتزعزعوا عن دينهم منذ أسلموا ، ولا نقضوا
عهدا ، ولا ذمة ولا بدلوا من الأوامر الشرعية شيئا أبدا . بل هم على الحق
ثابتون ، وعلى المذهب الصحيح عاضون التواجد تبعاً لوصيته عليه السلام .

إن عمان أشبه ما تكون بيؤرة الشعور التي يتزاحم عليها الفكر الاسلامي ،
وتتواكب فيها عناصر نهضته ، وعوامل تقدمه وحضارته . بمن ولدت
وتمحضت من عباقرة العلماء ، وبما قدمت - وتقدم - للعالم من أساليب
السياسات ؛ والمنهجيات السلوكية الموفقة... حفظها الله حصنا الاسلام والمسلمين .

ومنهم الخطباء والشعراء :

قال عمرو بن بجر المعروف بالجاحظ - وهو يرد على من ينكر فضل أهل
عمان - : ربما سمعت من لا علم له يقول ، ومن أين لأهل عمان البيان؟ فقال الجاحظ
- وهو يرد على هذا القائل - : إنه لا علم له ، وهل يعد هؤلاء الجاحدون لبلدة واحدة
من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟ ولا شك أن هذه أكبر شهادة من هذا
العالم الوحيد الفريد المتميز في علمه وسعة معارفه :

ثم أخذ الجاحظ يذكر فضائل أهل عمان فقال - ضمن ما قال - : ومنهم -
أى أهل عمان - مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائماً ، وقاعداً ، ومفرداً ،
ومتافساً ، ومجيباً ، ومبتدئاً ، أى في كل هذه الأحوال ، ونحو ذلك .. كان أخطب
الناس ، أى أوسعهم مقالا ، وأسرعهم بيانا ، وأفواهم حجة ، قال : وابنه من بعده
كرب بن مصقلة . ولهما خطبتا العجوز في الجاهلية ، والعدراء في الإسلام ، أى

هاتان الخطبتان شاعتا عند العرب.. الأولى في الجماهيلية ، فتأقلمها الأدباء ، والثانية في الإسلام ، وقد جمعتا من العلم والأدب ما خضعت له أعتاق فطاحل العرب ، ولولا أن ذكرهما يطول بنا لجئت بهما . .

قال الجاحظ : ومن خطباء عمان وعلمائها صحار العبدى ، أبو إسحاق وهو ابن العباس العبدى ، وهو الذى سبق عده في الصحابة ، فهو الصحابى الثالث من همان ، قال ابن إسحاق : قيل إنه أدرك النبي ﷺ وروى عنه ثلاثة أحاديث ، وهو من أئمتنا وشيخ أمى عبدة مسلم صعصعة بن صوحان . بين أعلام الأدب ، وأبطال العرب ، وما زالت خطبه مأثورة متداولة ، مشهورة متناقلة ، يتناقلها العلماء الأعلام ، وتزدان بها المؤلفات .

قال : ومن خطبائهم ، مرة بن البليد الأزدي ، ولم يكن في الأرض أجود منه ارتجالا وبدية ، ولا أعجب فكراً ومجبراً منه ، وكان رسول المهلب إلى الحجاج ، ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ، ولم يكن في أرض عمان أنطق منه ، ومنهم خطيب المصرىمى بن يعمر ، وأصله من عمان ، وكذلك الجحاف بن حكيم وغيرهما .

قال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء : رأيت أعرابياً بمكة فاستهضتته أى أعجبتنى فصاحتة ، فقلت : من الرجل ؟ فقال : من الأزدي ، قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان بن شمس ، فقلت : من أى البلاد ؟ فقال : من عمان ، قلت : صف لى بلادك ، فقال : سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صلوح ، ورمل أسيح ، فقلت : أخبرنى عن مالك ؟ قال : النخل ، قلت : وأين أنت عن الإبل ؟ ، أى ، ولها الشهرة إذ ذاك عند العرب ، فقال : كلا.. إن النخل أفضل ، أما علمت أن النخل حملها غداء ، وسعفها صياح ، وكرها صلاه ، ولينها رشاء ، وجذعها غمام ، وفروها إزاء ، قلت : وأنى لك هذه النصاحة ؟ أى من أين لك هذه النصاحة البليغة التى تجابى بها فى موقفى هذا بداهة ؟ قال : إنا بقطر لا نسمع

فيه هدير التيار ، أى نحن بعيدون عن ساحل البحر الذى لا يزال الأعاجم والأنباط يحتفلون بأهله ، بل نحن بعيدون منهم حيث منابت الشيخ والقيصوم من عمان أى فى داخلها .

وفى خير الحجاج بن يوسف الثقفى ، حين خرج إلى القواسم ، وإذا بأعرابى فى زرع له ، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال من أهل عمان ، قال : فى أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزد : قال : فكيف عليك بالزرع ؟ قال : إني لأعلم منه علما . قال له الحجاج : أى شئ خيره ؟ قال : ما غلظت تصبته ، واعتم بفته ، وعظمت جثته ، قال : فأى العنب خيره ؟ قال : ما غلظ عوده ، وعظم عقوده قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لحاه ، ودق نواه ، ورق شحاه ، فأدهشه ، أبداه من فصاحة علمية .

قال : ومن أهل عمان ، كعب بن صوّر قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، قال : وهو أول من قدم على البصرة بعد تمصيرها .

وأيضا . . . فقهاء ومحدثون :

ومن أهل عمان أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي رحمه الله تعالى ، وكان غاية فى العلم والورع ، مثالا للنزاهة والتقوى ، ومرجعا للمشاكل ، ومنتهى الطالب للثقافة الإسلامية بجميع معانيه فى أيامه ، أجمعت الأمة على ثقته وعدالته وضبطه وصيافته ، وعاش عمرا طويلا قضاه فى تحصيل العلم وحفظه وجمعه ونشره فى الأمة ، فطلبة العلم فى عهد التابعين عبال عليه ، فأين رجال العلم عند جابر تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما ؟

ومن أهل عمان الإمام الربيع بن حبيب الفريدى صاحب المسند الصحيح ، انتقل إلى البصرة ونسب إليها ، وعاش فيها عمداً إذ هى آنذاك حضيرة علم

ودوحة فقه، ومعدن فضل، ثم رجع إلى عمان في آخر عمره، فعاش قدوة الأمة وعمدة أهل المذهب، وكان يضرب به المثل في العلم، ومن أهل عمان أبو حمزة الشاربي المختار بن عوف السليمي من أهالي مجز من أعمال الصحار، صاحب الإمام عبد الله بن يحيى السكندی المعروف بصالب الحق في حضر موت، وكان المختار عنده السيف البتار، والضيغم الزآر الذي تحدث عنه وعن أصحابه صاحب الأغاني، وذكر طرفاً من تاريخهم الزاهر، وذكرهم العاطر، فكانوا جبال الكتب وزينة الدفاتر.

وهو خطيب مصقع، قال عنه المؤرخون: إن خطب أبي حمزة الشاربي لا تخفى على أحد من أهل العلم، ولقد رواها أجلة العلماء، كمالك بن أنس، وقال فيها مقالته المشهورة: خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر، وردت المرتاب، وهذه أعظم شهادة من ذلك العالم الجليل بحق أبي حمزة، وأنه على الحق حيث ردت خطابه المرتاب عن ارتيابه، وحيرت المبصر الذي يرى أنه البصير في دينه.

حتى علم العروض:

ومن أهل عمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولقد اشتهر بالعلم بين أعلام الأمم، وهو في مقدمتهم فقهاً وأدباً وتاريخاً وشعراً، وله بدائع علمية لم تكن لغيره من رجال العلم، ولا عرفها أحد قبله، فهو صاحب العروض الذي لم يكن له سبق وجود في عالم العلم، وقد سماه باسم المسكان الذي فتح له به فيه وهو العروض، فرتب أبحر الشعر ستة عشر بجزاً، ورتب قوافيها على غير مثال سبق، فكانه من آيات أفكاره الرقادة، وقد ذكره ابن خلكان وغيره، وله كتاب العين، الذي هو إمام الكتب في اللغة، وشهرته تغنى عن ذكره، وما سبقه إلى تأليفه أحد، وإليه يتحاكم أهل الأدب، فإنه إمام فيما يختلفون فيه، وهو صاحب

النحو ، وإليه يفسب ، وهو أول من بوبه وأوضح ترتيبه وشرحه وهذبه ، وهو شيخ سيديويه في النحو ، وسيديويه أنحى أهل الأرض في أيامه ، وكان الخليل المذكور قد أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وهو أيضا صاحب الشكل والقط في الانفاط العربية ، ولم تكن قبله مشكولة ، فأزال الخليل إشكالها بأشكالها ، ومشت الأمة على عمله هذا منذ ذلك العهد تبعاه له ، واهفضية السبق فيه والتقدم في مضماره ..

ومن أهل عمان ابن دريد ، المعروف بأدبه وعلمه ، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي ، صاحب كتاب الجهرة ، المشهور بين أهل الأدب لغة وغيرها ، ولو لم يكن له غيره لسكنى ، وهو الخطيب المشهور والأديب المذكور ، والشاعر المعروف ، والتفصيح الذي يقف عند كلامه البلغاء ، ويستعير من بلاغته الفصحاء ، ويهجز عن مجاراته في الأدب أجلة الأدباء ، ويستعين بعباراته اللغوية الخطباء ، فهو خطيب في شعره ، مصقع في نثره ، قدوة في خطبه وأدبه ، حكيم في وضعه ، أديب في شعره ، مجيد في نظمه ونثره ، لا زيادة عليه في فنون الأدب والعلم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا مقصورته لسكنت دليلا على بلاغته ، وبرهاننا على حكمته ، وقد تداولها الشراح ، ونسأبقوا إلى التعليق عليها لما حوته من المعاني الأدبية ، وما انطوت عليه من الحكيم .

صاحب الكامل وأيام العرب :

ومن أهل عمان أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل ، المشهور الذي هو أحد كتب الأدب ، وأيام العرب ، وقد عده كثير من أهل العالم في طليعة الوعاة العرب ، وله مصنفات كثيرة ، والكامل أشهرها ، وشيوعه بين الأدباء مقدر مشهور غير متهم ولا منكور ، لا سيما في تحليل المعاني الشعرية ، وذكر محتويات كلماتهم ، فله يد طائلة ، ولهجة واسعة ، ومقالات جامعة ، ولا يخفى أن

أهل عمان في الركب العربي من المقدمين في الأعمال الإسلامية بجميع معانيها ، فلاهل عمان في سياسات الممالك السهم الأكبر والحظ الأوفر ، وناهيك بسياسة المهلب بن أبي صفرة العماني الأزدي ، فقد وصفه أهل التاريخ بأوصاف سياسية يمتاز في وضعها كثير من فطاحل الرجال ، وله في الحزم والعزم على مراوغة لأبطال ، بحيث يعيهم أمره ، وبذلك استنقذ البصرة من أيدي الأزارقة وكادت الدولة الإسلامية أن تياس من إرجاعها إلى دأرتها ، حتى جاءها هذا البطل الأزدي العماني ، فأخرجها من أشدق الأزارقة وأراهم منه صولة لا تزدهم ونكايات لا تعد ، ودهاء لا تصل إليه عقولهم ، فأعاروها اسم بصرة المهلب ، وقد أشبع العوتبي المؤرخ النافذ، الفكر العربي بأعمال المهلب، حتى هم أن يتولى مهام الدولة إلى حد بعيد، وهو هو في سيره وسراه، وكان قيامه على الأزارقة في حرب البصرة بأبطال عمان من قومه وآله ، وهم العمدة معه في ذلك ، وإن كان معه من غيرهم ، ومن قرأ التاريخ العربي الإسلامي أدرك ماقلناه واضحاً ، فلم تزل المعارك دائرة بينه وبين الأزارقة عهداً طويلاً ، حتى ردهم الله بسبيبه خاسرين ، حليفهم الفشل ، والخذلان .. وإذا استقرأ الباحث الدارس التاريخ العربي ، رأى فيه لعمان نقاطاً هامة ومواقف شائعة عملاقة في هذا المجال البطولي الشامخ العملاق.

وذكر ابن خلدون كثيراً من أجداد أهل عمان ، وفاخر بأفعالهم ، وباهى بهم في كل زمان ومكان ، ولقد قال - في معرض النخر - .. ولأهل عمان في الشجاعة المنزلة العليا ، والسهم الأوفر ، وذلك فيهم غير مجبول ولا مستنكر ، فمنهم بلج بن عقبة الفراهيدي الذي كان يعد بألف فارس ، وهو شاب في سن العشرين من عمره ، قال : وخبره في سيرة الإمام طالب الحق الكندي مشهور مذكور ، وكم مثله من الأبطال العمانيين ثم ذكر أفراداً منهم في تاريخ الامام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي ، ومن أرادهم بالتفصيل فليرجع إليهم هناك يجد رجالاً تفوق الرجال ، وأبضالاً لهم في الشجاعة أعلى مثان ، ولهم في السياسات التي يحار فيها الراصفون مقام ، ونوه بسياسة المهلب

فتمان: ولآل المهلب تاريخ ضخم يدل على إنجازات هؤلاء الرجال المنظرين ،
والإبطال المشهورين ، وهم من منابت عمان التي أنبتت أرقى أنواع الانسان
في كل زمان ومكان ...

ومن هذا الطراز في كل نواحي هذا البلد الطيب الوليد الودود.. والله يوم يصبح
البطل العماني فيه مرفوع الأعلام في أفق التاريخ، وغير بعيد ذلك اليوم إن شاء الله ،
في عهد جلالة السلطان المظفر العادل وقابوس بن سعيد، فإن الزمان قد هم أن يستدير
كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، فيعرف الحق لاهله، ويرد الباطل على ذريته،
وفي عمان من أهل الفضل في المجالات الأخرى من يعد في طليعة ركب الرجال
الميامين ، كل واحد منهم أفضل من الثاني ، كأنما يشير إليهم جميعا ويعينهم قول
القائل :

من تلق منهم تقل: لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

فهم في الفضل النمط الأوسط يرجع إليه العالى ، ويلتحق به التالى ، وهم
في العلم البحور التي تقذف بالآلاء ، وهم بين الرجال في قم الشرف الألام
العوالى ، هؤلاء جميعا نقضة من قطر ، وبله من بحر ، ذرية بعضها من بعض .

تلك هي عمان :

تلك هي عمان الودود الولود ، التي قدمت - وتقدم - للعالم خلاصة
ما يحتاجه هذا العالم، من أفكار مضيئة ، وآراء وضيئة ، ورجال وإبطال ، في كل
مضامين العلم ، وميادين العمل والنضال ، من الإبداع الانساني، واتبوغ العماني،
ومعطيات طاقة البشر ، ومنجزات الحياة فيما تحتاجه من خير وبر ...

ولا سيما في مجالات الاملام ، وما يقتضيه الدين من نسلك وورخ ، وزهد
وعفة ، ونزاهة وشرف ، وما تتطلبه منهجيته من اترفع عن الدنيا ، واتعالى على
السفاسف والخطايا، والاخذ بأسباب المجد، واقتناص نواصي العز والفخار والسودد...

إن عمان أدت - وتؤدي ، وستؤدي دائماً إلى ما شاء الله - دورها الحضارى فى ترقية الانسان ، وتطوير الدنيا ، وتحرير العالم من كل معوقاته ، وتخليصه من أسر القبضات المعرّبة الدائمة ، وفكّه من أسر الاحمال الثميلة الرهيبه الغاشمة، وتوجيهه إلى الجادة والريادة ، ورفعته إلى منصات قيادية والسيادة ، ووضعها حيث يبدأ المسيرة ، وربط قدميه بأول الطريق ...

وذلك هو الدور الكبير الذى ما فتئت عمان تقوم به منذ مطلع التاريخ من شرق هذا البلد ، فلقد حافظت على العروبة ، كما حافظت على الاسلام ، وصانت التقاليد ، وحمّت القيم ، وارتفعت بالمبادئ ، وحركت المشائيات ، وأمشت المجرّدات المرجوة المأمولة ، واقعماً يتحرك ، وأسلوباً ، يفعل ويريد ، ودنيا مأهولة حافّة بكل أسباب القوة ، وتدافع الأمل ، وتعارض المضادات ، والوصول أخيراً إلى إنتصار مشيئه الحياة .

فإن أذكر ، ومن أنرك من عمانية هذا البلد وشواخه ، الذين زحوا مسيرة الكون ، وملاشوا وراخ الوجود ، وزحزحوا النجوم والكواكب والأفلاك ، تمهيداً وتوطئة لاحتلال مواقع النجوم ، واقتعاد مسارات الكواكب والأفلاك ، فى كل ما يندر وجوده ، أو يصعب تطويعه وانقياده من شوارذ العلم ، أو أوابد المعرفة ، أو المثاليات العاليات ، فى كل ما ينضج بالبشرية ، ويسعفا فى أداء ما خلقت له ، وتحقيق ما تصبو إليه وتمناه ، فى نفاق ما رسمته الشريعة ودعا إليه الرسول ، ونادى به الله ... ؟

أو لك هم جميعاً خيار ، من خيار ، من خيار ...

وهكذا كان الاسلام هو الخير كله أشرقت به آفاق عمان ، وانشققت عنه - وأنبثته - أرض عمان ، وكان علماء عمان وفقاؤها ، هم تاجه وثمراته ، وخيرات وبركاته ، ليس فى عمان وحدها ، بل فى العالم كله ، مع تنوع هذه

الشمرات ، وتعدد هذه الخيرات والبركات ، فلقد حفظ هؤلاء العلماء أرومة اللغة وأرومة الدين ، وحافظوا - أبقاظاً حراساً - على مفاخر العربية ، وآثر الإسلام . ونقلوا كل ذلك - بأمانة وإخلاص ، وإيثارية وصدق - إلى من تلاهم ثم تواصلوا معهم بالحق ، إلى أن يتقلوه هم كذلك - وبالتالي - إلى أعقابهم وأخلافهم من الاجيال اللاحقة ، والامم القادمة ، على مدى التاريخ ، وسعة الايام ، ومد الحياة ، وأيضاً وبنفس الامانة والإخلاص ، والإيثارية والصدق ، ومن هنا استمر هذا المدد الرباني سارى المفعول بين جنيات الارض ، وفي جميع الاصقاع والبقاع ، وفي شتى الأزمنة والامكنة ، وسيستمر بعون من الله ، إلى أن يرث الله الارض ومن عليها

وهمسمة في أذن أهل عمان جميعاً ، وعلباتها خاصة ، ورجاءاً حريصاً مخلصاً ، أضعه بين يدي جلالة السلطان قابوس بن سعيد ، ونداءاً ودعاءً لجلالته بالذات ، - وعلى وجه الخصوص - : « أن حافظوا على ما حباكم الله به ، واختاركم لانجازه وتحقيقه ، وترجمته وتطبيقه ، من توظيف الدنيا في خدمة الدين ، واتهاج الحق طريقاً لمسيرة الاسلام والمسلمين ، حتى تكونوا « الأمة الواحدة » ، و « الفرقة الناجية » ، التي عناها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله : « ... وستفترق أممى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار ، إلا واحدة » .. والتي أمر الله رسوله بالسير على منهاجها ، واختطها طريقاً للدعوة إليه ، وسبيلاً واصله إلى الفوز والنجاة في يوم الدينونة ، وفي هذه الحياة ، فى قوله تعالى :

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ،

وما أنا من المشركين . » .

خاتمة

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ،
والصلاة والسلام على رسول الله .. وأصحابه ، والتابعين ، وكل من والاه ..
وبعد : فاستكمالاً للامر : وعوداً على بدء . ونتيجة ، وغاية ، لما قدمت
من مقدمة ، ووسيلة ، استأنف الحديث ذاته ، وأدعو كل أفراد ، وجماعات ،
وشعوب الامتين ، العربية ، والمسلمة ، إلى السكند والجدد ، والنضال والكفاح
فى سبيل تجميع العرب والمسلمين فى « السكتلة العرب إسلامية ، حتى
يكونوا قوة فاعلة فى إجابيات هذا السكون . وفى انزاع الأمم الضعيفة
المغلوبة ، والشعوب المهينة المريضة ، من بين حلاقيم الأمم القادرة القوية ، ومن
تحت أضرار هذه السكتلات الرهينة ، والمعسكرات الشرسة الضارية ، فى شرق
العالم وغربه ، وفى شماله وجنوبه .

فلا ينبغي أبداً للعرب ، ولا يجوز للمسلمين — بحال — أن يتقاعسوا هكذا
وأن يجلسوا على مفترق الطرق ، وأفواه السكك حزاني آسنين ، يندبون حظيم
العائز ، وتاريخهم الغابر ، وأمسمم الدابر ، ويكون فى لوعة ومرارة ، على
« اللبن المسكوب ، والحلق المفصوب ، والنصيب السليب المنهوب ، الذى أخذه
منهم الأقيام ، وأبعدهم عنه الدخلاء الأشداء من الأفاقين ، والمغامرين .

فيا أيها العرب — وأخاطب المسلمين من خلالكم ، ضرورة ان القرآن نزل
بلاغتكم ، وأن الرسول بعث من بينتكم — لتكونوا أنتم النواة ، واللينة فى بناء
هذه « السكتلة العرب اصلامية ، ، ولتتوحد صفوفكم ، ولتتحد أمركم ، ولتجمعوا
جميعاً على انزاع الحرية والسيادة ، والكرامة ، والمجادة ، التى كانت لكم فى
يوم من الايام ...

فإننا نحن العرب لم نطلب الحرية والسيادة في أرضنا لتسكون بضع عشرة أمة ... بل أردناها ، أمة واحدة ، .. فليكن لنا عشرات ومئات من الرايات . ولكنتا نريدها ، راية واحدة ، .. راية عظمى ، .. الراية الكبيرة ، التي ترفرف فوق هذه الرايات جميعاً ... هي راية الأمة العربية المتحدة ، .. وذلك هو الهدف العربي الجديد المطلوب من أمة العرب ...

هناك في غرب الظلمات، دولة عظمى ليس لها على تلك الأرض الجديدة عراقا أو أصالة... فدسبها أشتات وامشاج، واخلاط وانماط .. من الإنجليز، والاسبان والبرتغال ، والايضا ايين ، والحمر ، والصفير ، والبييض ، والسود والاسكيمو ، والمندو ، والايجال المتتابعة المتحدرة من أبناء الضلعاء ، الذين لفظتهم السجون إلى هناك ، ليكدحوا ويلتمسوا أسباب عيش جديد في أرض جديدة... فتجمعت من هؤلاء وأولئك ، دولة واحدة ، لم يمنعهم اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، وطبائهم ، أن يجتمعوا تحت راية واحدة ، توحد بينهم ، وتجعلهم في نظر المجتمع السياسي ، أمة واحدة ، لها جيش .. وقانون وأسلوب معيشي متميز ...

أشتات من المستوطنين الغرباء يعيشون في أكثر من خمسين ولاية .. لكل ولاية راية ... وقد جعلوا فوق راياتهم جميعاً راية الولايات المتحدة .. وكذلك هذه الأمة اللقيضة ، أمة الشيوعية ، و الجمهوريات الحمراء ، والعديدة .. من كم أمة تجمعت .. ومن أى شتات وضياع تكونت ... وكيف تألفت وتلاقت — بعد دوامات التمزق، ومتهاتات التفسق — في وحدة واحدة .. هي الاتحاد السوفيتي .. وهكذا تكون من الولايات المتحدة ، و الاتحاد السوفيتي ، دولتان كبيرتان هما وفكالكباشة ، الشرسة المفترسة .. و شقا المقص ، القاطع المروع ، أو الظاحنة ، ذات الخلب والناب في دنيا الاستعمار والتسلط والاعتصاب !!

وإن هؤلاء ، وهؤلاء ليحاولون اليوم في الولايات ، و الاتحاد ، أن يكونوا للعالم كله سادة وقادة !!

فيا ليت شعري ... بماذا يطمع كل أولئك في السيادة والقيادة؟ أباأنهم جنس ممتاز؟ أباأنهم شعب مختار؟ أباأن لهم مبادرات تعجز بقية الشعوب عن تحقيقها بأسلوب أمثل وأكمل، وأفضل، وأعدل؟ ... كلا .. ثم كلا . فهم غرباء لا يجمعهم جنس .. وهم أوزاع لا تربطهم آصرة أو أصل ... أباأنهم في خدمة الحضارة، ورفع بنيان التقدم والمدنية؟ كلا .. ثم كلا .. فانهم أمم بلا ماضى فى التاريخ . . . أباأنهم أصحاب رسالة إنسانية فى العالم المنظور المتحضر؟ ... كلا .. ثم كلا .. فان كل رسالتهم أن يقتصبوا البلاد ... وأن يستذلوا العباد وأن يجمعوا المال . وأن يسترقوا العالم بهذا المال . . والمال - فى بعض الاحيان - قد يسترق، أو قد يشتري بعض أصحاب البطون الجائعة، أو النفوس المريضة الضائعة .

ولكنه أبدا لا يمنح السيادة . . والقيادة ... ولا يستذل الأحرار إلا به . . إذن بماذا يأمل هؤلاء ، الأفاقون ، و المدغامرون ، أن يكون لهم فى العالم سيادة وقيادة ؟ ! بشيء واحد .. وواحد فقط لا غير . . ذلك الشيء الواحد .. هو الوحدة . . الوحدة التى جمعت ذلك الشتات .. ولمت هذه الأنماط والاختلاط تحت راية واحدة ، فى وطن واحد .. فاجتمعت لهم - بوحدة الرأى ، ووحدة الراية ، ووحدة الوطن - قوة يطمحون أن يوجهوا بها العالم ، وأن يسودوا ويقودوا .. وأن يفعلوا ما يشتهون وما يشاءون .

الوحدة هى التى صححت تلك الكسور . . وحولت هذه الأصفار ، إلى آحاد ، صحيحة . . و أرقام ، مستقيمة متكاملة فى حساب العالم ، وفى حساب الحياة .

فاننا لو استعرضنا ما كانت عليه ، الولايات المتحدة ، فى الماضى ، ثم

ماصارت إليه الآن .. لدهشنا كل الدهشة ، وعجبنا العجيب كله ، وأخذنا الزهول والدوار ، والغرابة ، والانبهار .

إذ أنه على الرغم من مرور أكثر من مائتي عام على تأسيس تلك الولايات المتحدة — التي تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى قوة عالمية كبرى — فإن جميع الأمريكان لايفسون — حتى الآن — من اين جاء أبائهم وأجدادهم؟ ولا إلى أى الدول تعود أصولهم وفروعهم؟ وعند ماجرى آخر تعداد فى الولايات المتحدة الأمريكية .. اتضح — من واقع هذا التعداد — أن الأمريكين ينتمون إلى حوالى ١٥٠ دولة .. وقومية

وفى هذا التعداد — الذى يعتبر أكثر التعدادات تفصيلا وشمولا فى تاريخ الولايات المتحدة — تبين الآتى :

إن أكثر من ٥٠ مليون أمريكى — أى ٢٢٪ من عدد السكان — ينحدرون من أصل بريطانى ..

وان ٤٩ مليون أمريكى ينحدرون من أصل المانى

وأن ٤٠ مليون أمريكى ينتمون إلى الشعب الايرلندى .

وجاءت الاصول الافريقية — من سكان الولايات المتحدة الأمريكية — فى المرتبة الرابعة .. حيث أثبت التعداد أن ٢١ مليونا — وهم الرنوج بطبيعة الحال — ينتمون إلى أفريقيا .

وإن ١٣ مليونا من أصل فرنسى .

وأن ١٢ مليونا من أصل إيطالى .

وإن الاسكتلنديين ، يمثلون — فى الولايات المتحدة الأمريكية —

١٠ ملايين . و ه البولنديين ، يمثلون ٨ ملايين .. والهونود الأمريكيين يمثلون ٧ ملايين .

وقد أثبت التعداد — كذلك — أن عدد الأمريكيين البريطانيين وصل اليوم إلى أكثر من عدد سكان إنجلترا .. كما يزيد عدد الأمريكيين الإيرلنديين عن عدد سكان إيرلندا الحاليين بنسبة ١٢ — إلى ١ — ..

وقد كانت هناك نتائج أخرى هامة لهذا التعداد ، الذي شمل أكثر من ٢٥٠ مليون شخص .. هم عدد سكان الولايات المتحدة على وجه التقريب . ومنها : — ان ولاية ماساشوسيتس ، تتركز فيها أكبر أغلبية إيرلندية . حيث تبلغ نسبة سكانها من أصل إيرلندي ٢٧,٣٪ من عدد السكان .

— وأن ولاية كاليفورنيا ، — وهي أكثر الولايات عدداً — يوجد بها خليط من الجفسيات .. ففيها من هم من أصل عربي ، ومضري بالذات ، ومن أصل إنجليزي .. وألماني .. وإيرلندي .. وفيها أغلبية ذات الأصل البرتغالي ، والسويدي .. والمكسيكي .. والصيني .. والایراني .

— وأن أغلبية سكان مدينة نيويورك ، من أصول بولندية .. وإيطالية وأفريقية .

— وأن أكثر الولايات ازدهاما بالانجليز .. هي ولاية أوهايو ، حيث يسكنها ٥٤٪ من أصل إنجليزي .

— وأن واحدا من كل سبعة من ذوى الأصول الاسكندنافية ، يعيشون في ولاية مينيسوتا ، حيث الجليد متوفر في الشتاء يذكرهم دائماً ببلادهم الاصلية .

— وأن في ولايات كاليفورنيا ، و تكساس ، و لوزيانا ، يعيش نصف د الفيتناميين ، الاصل ٥٥ و عددهم ٢١٥ ألفا و ١٩٠ شخصا .

— وأن أصغر جماعة قومية هناك — في الولايات المتحدة الامريكية — تتمثل في ذوى الاصول د القبرصية التركية ، ٥٥ ، و يبلغ عددهم ١٧٧٠ شخصاً فقط . . .

هذه هي أمريكا حاسرة ، سافرة ، بلا د رتوش ، أو د ما كياج ، أو أصباغ . . . وألوان .

هذه هي أمريكا التي تبجح اليوم ، و تتوقع على العرب ، و تحاول أن تطمس حضارتهم و تاريخهم . . . و ما قيل عن أمريكا و الولايات المتحدة ، يقال عن روسيا و الاتحاد السوفيتي ، كذلك ، في د أصله ، و د فصله ، . . . يقال عن هؤلاء د القطاء ، الذين لفظتهم مجاهل د سيبيريا ، و مستنقعات و سخالين ، و دفعت بهم الحاجة ، و العوز ، و الفاقة ، و الضرورة ، إلى أن يخرجوا من د شقوق الارض ، و أحشاء الضياع ، و أخاديد اللاشيء ، و تجاوبف الضعة و المهانة ، و بطون الكهوف و الاغوار . . . كي يصبحوا بعد ذلك — و بعد أن لم يكونوا شيئاً — قوة كبيرة ترعد و تهرق ، و تخيف الآمنين ، و ترهب المطمئنين الوادعين . . . و تصبح كل شى . . .

هذه روسيا الحمراء التي زين لها شيطانها المرد ، و هيأ لها خيالها المريض ، أن في استطاعتها — بولاياتها الكثيرة ، و جمهورياتها المتعددة الوفيرة — احتواء العالم كله ، و التحكم في مصيره و قدره ، و تلوين عقيدته باللون الاحمر القاني . . . و أن العرب أو المسلمين في حسابها و تقديرها ، ان يزيدوا عن كونهم أبداً د مسارا ، في د مطرقة ، أو د صدأ ، بين أسنان د المنجل ، .

تلك هي أمريكا ، وروسيا ، وهذه الولايات المتحدة ، وهذا الاتحاد السوفيتي ، من لاشيء أصبحوا كل شيء ومن الضياع والغربة ، كونوا ، الولايات ، و الاتحاد .

ونحن العرب أبناء ، أب واحد ، خرج من تلك الجزيرة منذ بضعة عشر قرنا . . فهذه الاجيال كلها بين الشاطئين - من الخليج إلى المحيط - من أبنائه وحفدته .

وهذه الأرض - تحت أقدامنا جميعاً - ملك لنا .. يجب أن لا يشاركنا فيها أحد .. لم نغتصبها من صفر ، ولا من سود .. ولم نسرقتها أبداً من حر ، ولا من هنود .. كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية .. وكما يفعل الاتحاد السوفيتي الشيوعي .. بدعاهم آباؤنا وأجدادنا بسقت أشجارها . . ومن كد ، وجهد آباؤنا وأجدادنا ، كان عمرانها وحضارتها .. ونحن إلى كل ذلك ، أصحاب رسالة إنسانية في العالم .. ولولانا لم تسكن في العالم هذه الحضارة .

علمائنا - في قرطبة ، وفي بغداد ، وفي القاهرة وفي الاسكندرية ، وفي سلطنة عمان وفي السعودية وفي ليبيا - هم الذين قدحوا تلك الشرارات ، التي يضيء بها اليوم كل أفق في العالم ... عنا أخذ واقتبس علماء أوروبا ... ثم انصرفوا يباهون بما أخذوا واقتبسوا ... وكذا أن ننسى أننا مشعلوا ذلك النور .. وقادحوا زناده .

نحن العرب أمة ذات عرق .. وذات وطن .. وذات حضارة . وذات اأضى وذات رسالة ..

وأولئك هم آباؤنا ، وأجدادنا ، الذين أناروا للإنسانية سبيل الحضارة .. وطريق الحياة ..

فأذِ يمنَعنا أن نقول غدا - أو اليوم ، وفوراً .. وبكل فخر واعتزاز :-
نحن أبناء د الأمة العربية المتحدة ، ؟

أولئك آباءى لـجـشنى بمثلهم إذا جمعنا - يا جرير - المجمع 11

نعم .. ماذا يمنَعنا اليوم أن نفاخر ، ونباهى ، وننتف من صميم قلوبنا ،
ونقول بملء أفواهنا :

نحن أبناء الأمة العربية المتحدة ؟ 1

وهل يصعب علينا نحن العرب أن نتحد فى إطار واحد ، وتجتمع فى تشكيل
متحد قرى ؟

ذلك سؤال يخطر اليوم على قلب كل عربى فى الوطن العربى الكبير .. . إنه
هدف الرعى العربى الجديد .. غاية لا بد أن نبلغها - وسنبلغها إن شاء الله -
بأسبابها ووسائلها ..

وأول هذه الأسباب ، وتلك الوسائل .. هو أن ندرك أن كل عربى لكل
عربى أخ ، وجار ، ومواطن ... وإن كل أرض عربية لكل عربى وطن ، وسكن
.. وإن لكل وطن فى الأمة العربية راية .. . وأن للأمة العربية كلها د مجتمعة
متحدة ، راية كبيرة واحدة د راية العروبة ، .

لا بد أن ندرك أن خيارات الوطن العربى متكاملة ، يكمل بعضها نقص بعض ..
فهيأ - مجتمعة - من خامات الصناعة .. ومن خامات الزراعة .. ومن طاقات
العمل .. ومن إمكانيات القدرات .. ومن ألوان الخبرة ، وفنون المهارة ..
ما ينى بمجاهات الوطن ومتطلباته . فكل جزء منها فى بلد عربى بحاجة إلى جزء
آخر فى بلد عربى آخر .. وليس لها جميعاً مجتمعة حاجة إلى أحد أبداً من الغريب ..

لابد أن ندرك أن تاريخنا — منذ القدم ، وإلى الغد — سلسلة متتابعة الحلفات
مضى منها ماضى بأسباب المجد والفتخار ، والعزة والانتصار ...

نحن نؤمن بالوحدة إيمان القلب ، ولسكننا نريد أن نؤمن بها — مع إيمان
القلب — إيمان العقل ، والمعرفة ، والوعى ، والتنفيذ، والكفاح ... ولا يكون
ذلك إلا بالوحدة ، والتجمع ، والتكتل ، والحشد .

إن التجمع والتكتل أصبح من سمات هذا العصر ، ومن ميزاته وخواصه
المستخدمة له ... فإن الدول التي لها حاجات متشابهة ، أو أهداف متواكبة متقاربة
سرعان ما تلتحم وتلتئم ، وترباط بعضها مع بعض ، في حلف ، أو جهة ،
أو كتلة ، أو منظمة ، أو اتحاد ، أو هيئة ، أو معاهدة .. أو في أي
نوع من ألوان التضخيم ، و التجميع ، .

إن هذا الأسلوب يساعد هذه الدول على جلب المغنم ، ودفع المغارم ..
وقضاء الحاجات ، وإنجاز المصالح ... وفي الوقت نفسه يقيها من ضراوات
الدول الكبرى ، وضربات الاستعمار ... ويجعلها في مأمن ، ومنأى عن فكي
السكاشة ، و دشقى المقص ، اللذين تمثلهما كل من السكتلين الشرقية، و الغربية،
.. أو الاتحادين السوفيتي ، .. و الأمريكى ، .

ولا شك أن الأمة العربية — وقد أصبحت غرضاً استراتيجياً ، لسكان
روسيا وأمريكا — في أشد الحاجة اليوم إلى التجمع ، والتكتل و الحشد ،
و التعبئة ، و التراص ، و الوحدة ، ... كي تحصن نفسها بالأمصان الواقية
ضد هـ هذه الأوبئة الفتاكة ، والأطماع المسعورة ، التي تترامى دائماً — وعلى
طول الخط — في هذا السلوك العدواني ، وتلك الهجمات الشرسة التي يرمينا بها
العدو .. والتي تفتحم على العرب بيوتهم ، وتندق عليهم أبوابهم ، وتطوقهم من
جميع الجهات ، وفي كل الجبهات .

إن الوحدة العربية — وهى ظاهرة صحية حضارية — غدت اليوم بين العرب ضرورة ملحة من ضرورات الحياة ، ولازمة من لزميات العيش الكريم .. وأصبحت — بالنسبة للعرب — على وجه الحقيقة .. المقصد الاسمى والمطلب الرفيع الاعلى ، الذى يجب أن يسعوا من خلاله إلى تكوين الكتلة الثالثة ، التى ينتظرها العالم منهم .. والتى تقيم التوازن ، وانتساق ، وترسى قواعد العدل بين أبناء البشر جميعاً ، وتفسر ألوية السلام خنفاة عالية في ربوع هذه الحياة ...

وإذا كانت القومية الصهيونية ، — بقيادة إسرائيل — قد استهانت بالقومية العربية ، فحاربت العرب فى عقر دارهم ، واحتلت أرضهم فى فلسطين .. والجولان .. ولبنان .. وهؤلاء العرب — وباللهمول — يشهدون كل هذا فى صمت ودهشة وذهول ، من غير أن يحركوا ساكناً — أو حتى ينكروه — وكان الأمر لا يعنيتهم من قريب أو من بعيد ...

إنى لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون؟ أيخون إنسان بلاده؟!

بل إن منهم — مع الالف والأسى والمرارة — من باع نفسه للشيطان ، فراح يتلصص على أمته العربية لحساب إسرائيل ، ويمدها بالأسلحة والأسرار ويرتكب في سبيلها — ومن أجلها — أفذر ألوان الخيانة ، واحط أنواع العار !! أفلا يهيب بنا ذلك أيها العرب ، ويحرك فينا دم يعرب وعمان ، ونزار وربيعة ومضر وقحطان ويناشدنا العروبة إلى أن نكتل الصفوف ، وننظم الزحوف ، ونخوضها معركة على بركة الله — وعبر ألف وسبعمائة مليون عربي ومسلم — باسم الكتلة العرب اسلامية ، لتحرير الارض ، وصون العرض ، ودفاعا عن العقيدة والدين ؟ وإنما نتصرون بعون من الله .. والله غالب على أمره .

إن العالم العربي تمزقه اليوم هموم و الأيديولوجيات ، المتباينة المتعددة ، حتى لتكاد تخنقه ، وتسكتم أنفاسه ، وتقضى عليه ، وذلك بفعل فلاسفة الأعداء ، أو بفضل — وغباوة — الأصدقاء .. صيان .. فهناك الشيوعية ، والرأسمالية ، والتقدمية ، والتعاونية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والابهرالية ، والميكافيلية ، والاستعمار التقليدي القديم ، والاستعمار الحديث البراق ، وسماسة هذه الكرنفالات ، وعملاء تلك البورصات ، ، وأذئاب كل هذه الموديلات ، و التشكيلات ، وأبواق الشوارد الأوابد من هذه الدعاوى الرخيصة التافهة ، إلى آخر هذه القائمة السوداء من الداء والوباء الذى أناخ بكماكه ، وحط بزخه و ثقله فوق صدر هذه الأمة العربية المهيضة المريضة المحضنة المجردة ...

ومن عجب أن تتقاصم كل هذه الضواري الكواسر جسد هذه الأمة ، وتزاحم عليه ، وتتخذ فيه مناطق نفوذ لها ، أو وقواعد ، تتجمع فيها ، كي تضربه منها ، وتشون فيه ما تشاء من أدوات الهلاك والدمار ، وتفتح عليه منها ججياً من الأعصار والنار ..

والاعجب من ذلك كله أن تتسابق هذه الخيلان — فى شوط مسعور معربد — إلى اختراع شرعية الأسلوب الذى تتذرع به فى النهب والغصب ، وانزاع قانونية الصيغة التى تتسلل من بين سطورها ، وتتخلص من داخل كلماتها وبنودها إلى السرعة والسباب ، فترى كل فريق من هؤلاء الفرقاء ، وقد عكف على د جمدل ، أحابيله ، و قتل ، خداعه وأحابيله ، فى صورة منهج ، أو مذهب ، أو برنامج ، يتخذ به السذج والبسطاء ، ويتعامل من خباله مع الحياة .. والأمة العربية وحدها ، هى مضمار ذلك النزاع ، والملاعب — أو المعمل — الذى تجرى فيه ، أو تجرب فى د أفرانه ، أيديولوجيات هذا الصراع !!

ومن المسلم به تاريخاً وواقفاً ، ومن البديهيات الأوليات ، أن العربية هى

وعام الإسلام ، وإنهما معاً مثنابساكان متعانتان ، ككتشابك الروح بالجسد ،
وتعائق المدنى والمبنى ، وأن الله أنزل دينه ، وأوحى قرآنه ، وأرسل رسوله ،
فى بيئة عربية خالصة ، وإلى قوم عرب خلص ، وبلسان عربى مبين .

ومن هنا ، - وفى هذا المجال - وقد طفح السكيل ، وفاض السيل ، وتتابعت
الهدوم ، وتكاثرت السحب والغيوم ، وقد رأيت ، ورأى العالم كله معنى ما حل
بالمسلمين والعرب ، من مغبة المصير ، وسوء المنقلب . . فقد آن لى - وآن كذلك
لمنكل مسلم عربى حر - أن أسأل وأتساءل ، ثم أصرخ - فى فزع وجزع ،
واستنكار ، واستنفار - : كم هى مساحات كل قطر عربى ، وكل قطر مسلم على
حدة ؟ وكم عدد سكان كل من القطرين معاً على ساحة العرب والمسلمين ؟ وكم
مى الحاصلات الزراعية للامتين الإسلامية والعربية ؟ وما نوعية هذه الحاصلات ؟
وماهى الحرف والمهن التى يحترفها ويمتتها أبناء هاتين الامتين ؟ ثم ماهى الانهر ،
والابحر ، والخلجان ، والافلاج ، والعيون ، والآبار ، والبحيرات ، والمحيطات
التي تستوعبها ، وتشتمل عليها ، وتحتاجها المقتضيات الزراعية والحياتية عموماً فى
حقول المسلمين والعرب وفى حياتهم جميعاً .؟ وماهى الطرقات ، والممرات ، والجسور ،
والثغور ، والموانىء ، والمرافىء ، التى تتحزم بها أمنا الإسلام والعرب فى الحل ،
والظعن ، والاتجاع والترحال ، وتربط عليها أقدامها ، وتمشى فى مسيرتها الطريق ؟

وماهى الخامات ، والطاقات ، والمعادن ، والجيولوجيات ، والمواد الأولية
والعناصر الطبيعية ، التى نستكن فى باطن ، وتستجن فى أعماق ، وتتناهى فى أحشاء ،
وتجاويف ، وعبر طيات وطيبات الأرض العربية المسلمة ، مما تحتاجه الصناعة
والتعنيات ، ويعتمد عليه الاقتصاد والسياسات ، وتتطلبها الحرف والمهارات ،
ووالديناميكية ، ، ووالتيكنولوجيا ، ؟

كم عدد العلماء ، والعباقرة ، والافذاذ ، والشوامخ النوابغ ، فى كل أبواب

المعرفة ، وصنوف العلم ، وضروب الثقافة ، ومختلف النشاطات الفكرية ، التي تتطلبها الدنيا ، وتشدّها الإنسانية ، وتعيش عليها الحياة في الشرق العربي ، وفي الأمة الإسلامية جمعاء ؟

وما هي أبرز ما تميز به قادة هاتين الامتين ، وزمهماهما في السلم ، والحرب والسياسة ، والدبلوماسية ، والذكاء ، والدهاء ؟

وماذا أفاد أبناء العروبة من العربية ، وماذا أفاد أبناء الإسلام من العقيدة والدين ، على مر الأحداث والعصور ، والمواقف والدهور ؟

إن في العروبة ما ليس في غيرها قط ، من سائر القوميات — على مستوى العالم كله — لا سيما مع التقاليد الأصيلة ، والموروثات العريقة ، والخلائق الشائعة العملاقة ، التي لا تتوأم ، أو تتلام إلا مع التركيبة العربية المتميزة .. وإن في الإسلام أمهات الفضائل ، وأرومات القيم ، وكليات المبادئ ، وأرليات — أو أولويات — الحقائق ، ومطلقات الواقع ، ومشتقات الفعل الصادق ، والإلجاز الصامد ، والمفهوم العام ، والمحتوى الشامل الكامل لما يحتمل النجاح عادة من دوافع وبواعث ، وما ينتظره ويتخاه من غايات وأهداف ، مما يسهم كثيراً ، ويساعد دائماً وأبداً على حسن أداء هذا النجاح وتلقيه ، والتعامل معه ، في السلوكيات العامة ، والتفاعلات الحياتية المتكررة ، والمنهجية الذاتية ، المقتبسة — أو المنبثقة — من واقع الدين ، وفقه القرآن ، وشرعية السنة ، وورع العقيدة ، وتسامى الإسلام ، وكياسة المسلم ، وإمامية الرسول ، وفل الصحابة ، وإجماعهم ، والتابعين لهم بإحسان . على وسطية ، وخيرية ، هذه الأمة حتى تكون — ويكون معها أبنائها المسلمون — كما قال الله تعالى :
و كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ،
وتؤمنون بالله ، ...

وكما قال - جل شأنه - : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً . »

تلك هي العربية ، وهذا هو الإسلام ، وهذه إمكانات ، وطاقات ، وقدرات وحشود هاتين الامتين ، في أعداد بشرية هائلة ، لاتقل بحال عن الالف والسبعائة مليون عربي ومسلم ، وخامات طبيعية كاملة ، وخيرات ، وخبرات ، واكتفاء ذاتي تمتع ، واستغناء حياتي رائع ومرع ، بما يسعف العربي والمسلم ، ويستغنى به من أن يمد ناظره ، أو يرسل خاطره ، أو يتمنى ، أو يشتهي ، أو يقف من أجله على عتبة دولة ، أو يقرع في صيئه باب أمة ، أو يجثم خاشعاً راكعاً تحت قدم ، أو يسجد ذليلاً مهيناً أمام وثن أو صنم ، كما يحدث الآن - وبالإسف والعار - مع بعض الدول ، أو الحكومات أو الانظمة العربية المسلبة ١١

فلم لا تتسكون - والحالة هكذا - من هاتين التامهتين كتلة واحدة قوية ؟

لم لاتتواجد الامة العربية والامة الإسلامية في إطار شاهق هائل منيع ؟ وفي بناء راسخ شاهق ثابت ؟

لم لا تتجمع هذه الاصفار الكثيرة المبعثرة ، والكسور العديدة المتناثرة . في رقم واحد صحيح ؟

لم لاتتألف الكتلة العرب الإسلامية ، - وقد آن الاوان - من خلال الدول العربية ، والآحاد ، أو الأقطار الإسلامية المتنوعة والمتوزعة في شتى أنحاء المعمورة ؟

وبذلك - وبعد هذا - لن تكون هناك دولة كبرى باطشة ، أو تشكيل قوى مفسط ، أو حلف ظالم جائر .

وبذلك - وبعد هذا - ان يكون هناك ، حق النيتو ، تستغله
والولايات المتحدة ، ويستعمله الاتحاد السوفيتي ، وتوظفه القوى الغاشمة في قهر
القضايا المصرية ، وفي إسكات الأصوات الراحشة المظلومة ، وفي خنق التأوهات
الصارخة الماهرة ، في حناجر الضعفاء ، وعلى شفاه ، وفي حلقهم المعذبين البؤساء .
وفي طرد ورفض الحقوق المشروعة ، لكل صاحب حق مشروع ...

وبذلك - وبعد هذا - سيتحرر الإنسان ، وتحرر مشيئته من التبعية
والرعوية ، والذيلية ، ولن يباع مرة ثانية ، أو ينادى عليه أبداً ، أو يعرض
مولى رقيقاً ، أو بضاعة بائرة ، أو سلعة كاسدة فاسدة ، في أسواق النخاسة ،
وفي حوانيت العبدان ، أو في متاجر المذلة والضعفة والهوان . . .

وبذلك - وبعد هذا - سوف تنبثق من هذه الديكتة العرب إسلامية ،
غارات الله ، وتنطلق حراساته ونجداته ، ساهرة يقظي في تتبع المعاندين ، ونقصة وآثار
المجرمين ، وتعقب المفسدين ، والأخذ بتلابيب هؤلاء الصعاليك العابثين ، الذين
يلعبون بأقدار الأمم ، ويدوسون بأقدامهم مصائد الشعوب . ويتلون -
فدكمين ضاحكين - بما جدلوه من حبال ، وما قتلوه من أمراس ، ليعلقوا في
د خيتمه ، ويشنقوا بأنشوطته جسم الإنسانية ، وضمير الحياة . .

وبذلك - وبعد هذا - ان يسكون هناك بغاة طغاة ، ولجبارون عتاة ،
ولاغلاظ شداد ، يتلمون بنظر الدم الذبيح المسفوك ، أو العرض السليب المهتك
أو الحر الأخذ المجهود المنهوك . وان يبقى بعد ذلك أبداً هؤلاء الشياطين المردة
المعاندين الذين يعيشون بالمقدسات ، ويتسلون بتفجير الذرات والنوويات ،
وتشغيل الأفران والمفاعلات في هيروشيا ، و ناجازاكي ، وفي غيرهما ، وكما
يفعلون الان في حقول التجربة ، وعلى بقايا الإنسانية وأشلأ الحياة .

وبذلك - وبعد هذا - ستيور تجارة الأسلحة ، وتسكسد، أسواق الموت وتغلق أبوابها بالفضة والمفتاح ، ويجوع دحفارو القبور، في أمريكا ، وروسيا ، وإسرائيل ، وغيرهم من تجار الموت ، وسماسة الفناء ، الذين يتعيشون من هذه الحرف الحقيمة ، ويعيشون - كالتناجمات المأجورات - على دموع الأرامل واليتامى ، وأنات الثواكل والأيامى ، وآهات الباكيات الزاقرات المحزونات .

وبذلك - وبعد هذا - ستسكت المدافع ، وتنخرس الطلقات ، وتتعطل القنابل ، وينسد البارود ، وتبطل تشكيلات الحرب ، وتقطع أوامرا الاحلاف ، وتمزع بنود الانفاقيات الباغيات ، وتبخر مواد المعاهدات انمادرات دخاناً في الهواء ، وتتجمد ضراوة الاستعباد ، وشراسة الاستبداد ، ثلجاً بارداً يرقد في أعماق الماء ، أو دمي صيبانية تافهة تعبت بها أصابع الفناء . . أو أوراقا ذابلة تطير بها عواصف الشتاء . .

وبذلك - وبعد هذا - ستنفض المعارك القائمة الدائمة بين المعسكرين الأكبر قوة ، والأكثر عتاداً وعدة وعنوة ، في كل من فيتنام ، والصين ، ونيكارجوا واليابان ، ودول الشمال ، وبلاد الأيديولوجيات ، المتصادمة المضادة وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي الاتحاد الشيوعي اللاديني ، وتقضى على هذه الحروب الدائرة في كل من جنوب أفريقيا ، وجيوب وأعماق وأحشاء الصحراء ، وفي الوطن العربي من خليجه إلى محيطه ، وبالأخص في فلسطين ، والجزلان وإسرائيل ، ولبنان ، والمغرب ، والبوليفيا ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، وسوريا ، والعراق ، ودول الخليج وإيران ، وروسيا وأفغانستان ، وفي كل هذه الاشباكات المنتصارعة المتنازعة بين محتاف القوميات والنزعات والجنسيات ، فوق أرض العرب ، وعلى المدى الاسلامى البعيد عبر الأمة للإسلامية جمعاء ، وفوق خريطة العالم كله . .

ومن أجل هذا الحلم الجميل ، وفي سبيل تحققي تلك الامنيات الرغيبات ،

كانت رسالة عمان منذ أبعاد التاريخ وآماده ، وكانت تلك الدعوات الصادقة التي يصاحبها العمل الميداني ، والتي يدعو إليها ، ويحض على فعلها ، والتبطل في محرابها جلالة السلطان قابوس بن سعيد - سلطان عمان - في كل تحركاته وتصرّحاته ، وفي كل أفعاله ومقولاته ، ببيدأ عن الدعاية والظنظة ، ورفضاً للظنظرة والإعلان ، وعملاً خالصاً لوجه الله ، في عناد الصامدين ، وإصرار المناضلين ، وعزيمة الأوفياء الأمناء ، الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون ، ، وفي هذا يقول جلالتة - وكثيراً ما قال ، وفعل ، وصرح ، وتحرك ، وناضل ، وعبر ، حول هذا المعنى ، وفي ذات المضمون والمحتوى :-

و لقد كنت حريصاً يوم أن توليت أمر عمان صباح الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧٣ على أن أعيد - مع السلطنة - الاتصال بالعالم الخارجي ، وأن أؤكد انتماءنا العربي ، ومحمد الله ، لقد نجحنا في هذا كل النجاح ، ونحن عند ماتحدث عن ضرورة دعم العلاقات العربية ، فإننا لا نقصر حديثنا على الجزيرة وحدها ، إنما نعني جميع الدول العربية ، من المحيط إلى الخليج ، إننا نؤمن بالتعاون العربي في أوسع صورته ، وفي الوقت نفسه نؤمن بالتعارف الدولي ، الذي لا يس سيادتنا ، أو ينال من استقلالنا وذاتيتنا ، ونؤمن بالإيمان - كل الإيمان - بالأمة المسلمة العربية العريقة... ويا حبذا - وكم تمنيت ، وأتمنى ، وأدعو دائماً - لوتلاقت العربية مع الإسلام في موقع عمل موحد ، وفي مركز استراتيجي واحد ، وصاراً معاً في موكب واحد ، على درب واحد ، وفي طريق قاصد واعد ... إذن لسعد العرب ، وسعد المسلمون ، وسعد العالم كله ، وسعدت الحياة جميعها بشكل هذا التلاقي والتوحد في العمل والاستراتيجية ،

فيا أيها العرب ، ويا أيها المسلمون ، كونوا من أصفاركم وكسوركم أرقاما صحيحة ، ومن أحادكم وعشراتكم حشوداً زاحفة ضخمة ، ومن الألف والسبعمائة مليون عربي ومسلم السكتلة العرب الإسلامية ، حتى تتكبنوا أخيراً - وفي النهاية - من فسخ ذراعى مقص ، السكتنتين العظيمين ، ومن تزيق

وشقى طاحونة، نيويورك، والكرومليين ، ومن فك وفكي كماشة، الأيديولوجيات
الشرسة، الرهيبة التي تعمل على افتراس العالم ، وابتلاع أقداره ومصيره، وإحكام
قبضتها - وفرض وصايتها - عليه ، ولاصحا على العالمين العربي والاسلامي ..

يا أيها العرب : ويا أيها المسلمون .. ارموا جميعا عن قوس واحدة، ينصر كم
الله، ويسدد خطاكم، ويصوب رمياتكم، وكونوا مع الله يكن الله معكم... وإن الله
مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون،... وصدق الله إذ يقول: .. وإنا لننصر رسلنا،
والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الاشهاد ،... وليكن شعاركم القائم
الدائم قول الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين»..
وإلى اللقاء - بمشيئة الله - في مؤلفي القادم «جابر بن زيد، شيخ المحدثين وإمام الفقهاء
عبر سلسلة عمان ... والامبراطورية العربية ، .. والله من وراء القصد ، وعليه
الاعتماد ، وبه التوفيق والسداد ، ومنه العون والرشاد... وهو نعم المولى ،
ونعم النصير .

المؤلف	عنوان المؤلف
السيد عبد الحافظ عبدربه	جمهورية مصر العربية
من علماء الأزهر	٣٣ شارع دجلة
	المنزوع من شارع شهاب شقة ١٣
	مدينة المهندسين - الجزيرة
	تليفون رقم ٧١٧٦٣٧

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الاهداء
٧	مقدمة

الباب الاول

عمان بين احضان التاريخ

٢٧	بمشيئة الله وعونه
٢٨	عمان والجزيرة العربية
٣٠	آية الله في الأرض
٣١	شوط . ورحلة
٣٢	الإنسان .. والخريطة
٣٤	كرسى الجزيرة
٣٥	جغرافية .. ومناخ
٣٦	مهما في أعلا القمم
٣٧	عمارات النجوم
٣٧	مشوار مع الوديان
٤٠	صنام البعير وغاربه
٤٠	يا لها من آية !
٤١	أما عواصم عمان الساحلية
٤٢	دهليز الشرق
٤٤	في طبيعتها الحديثة
٥١	نهضة .. ووثبة

٦١	ومن هنا كان الطمع
٦٣	حتى الاجانب
٦٣	في شكلها الحقيقي
٦٥	لم يجهلونها ؟
٦٦	التاريخ .. والواقع
٦٨	تدقيق .. وتحقيق
٦٩	من أعماق الدهور
٧٠	م عمالقة التاريخ
٧١	بين النص والاجتهاد
٧٢	الخيمة .. والوتد
٧٣	عمان في شرق أفريقيا
٧٥	كانتا واحدة
٧٦	م لا غيرم
٧٦	احراش .. وادغال
٧٧	دين .. وعروبة
٧٩	انسان في مسيرة
٨١	رواد وأساتذة
٨٢	الاسطورة . والبطل
٨٤	مجاهة .. ومواجهة
٨٤	مع مالك بن فهم
١٥	تفرقت بهم الطريق
٨٧	حزين .. وشوق

الصفحة	الموضوع
٨٨	وفي رواية
٩٠	وهاجت المعركة
٩١	بطل وأيم الله
٩٢	وزغردت الانتصارات
٩٤	يالها من بطولات !
٩٥	مهلا .. على رسلك
٩٥	ولكن .. هيئات
٩٧	والناحونة تدور
٩٨	إلى غير رجعة
٩٨	أحاديث السمار
٩٩	من آل فهم إلى آل الجلندي
١٠١	ياخذ كل سفينة غضبا
١٠٢	أما كيف قتل مالك ؟
١٠٣	خسارة ليتها ما كانت !
١٠٥	وهل بقي شيء في الأعمام ؟

الباب الثاني

كيف دخل الإسلام عمان ؟

١١١	وأشرق النور
١١٢	بيني وبين الرسول
١١٤	عمان في منطوق النبوة
١١٥	من محمد رسول الله

الصفحة	الموضوع
١١٩	معا .. على الطريق
١٢١	بين عمرو .. والجلندي
١٢٢	أى شىء تريد؟
١٢٤	وهل علم هرقل؟
١٢٧	تكلم بماجتك
١٢٩	ملوك .. ودعاة
١٣٠	إرهاصات يهودى
١٣٢	كذبت يا ابن الأخاب
١٣٤	طموحات .. ونبوءات
١٣٥	وجعل التاريخ ركض
١٣٦	معاشر أهل عمان
١٣٨	يضرّب الصخرة بالصخرة
١٣٩	من أبى بكر
١٤٠	لأقطع رأسها قبل أن تظل
١٤٢	عمر .. والقضية
١٤٣	استعجاب .. واستعجاب
١٤٥	جميعاً من الأزد
١٤٧	فى كل مكان
١٤٨	وأيضاً مع سائر الفنون
١٥٠	فى الجاهلية والإسلام
١٥١	أبيت اللعن
١٥٣	يا أبناء حمير

الصفحة	الموضوع
١٥٤	أعجبتني ثم زهدتني
١٥٦	بعدت بلادك عنا
١٥٧	بين كسرى وابن ذى القرن
١٥٩	ذل الحمار وذل ملكه
١٦١	والعمالقة يتوافدون
١٦٣	ومنهم أيضاً
١٦٤	عشقوا .. فالوا
١٦٧	تبا بعة .. وماذا ؟
١٦٨	بين أجا .. وسلمى
١٧١	لمهم قوم مازن
١٧٢	وأيضاً .. من الأصحاب
١٧٥	هل أدلكم إلى خير ؟
١٧٧	بهذا أشار الحجاب
١٧٩	أغرا نانا على يوم بدر
١٨٠	أحمد الستة .. والاثني عشر .. والسبعين
١٨٢	وقت أذنك يا غلام
١٨٣	قتله وحشيتي أيضاً
١٨٥	شيطان أم ابن قرط ؟
١٨٧	النعامة
١٨٩	أفلحت الوجوه
١٩٠	أكرمها على
١٩٢	اللهم اكـهـ جمالاً

الصفحة	الموضوع
١٩٤	ومنهم السعود الثانية
١٩٦	وصحائبات فاضلات
١٩٩	شاعرة العرب
٢٠٢	فاو كان النساء كمثل هذى

الباب الثالث

الإباضية .. والفرقة الناجية

٢٠٧	أغدر بعد عهد ؟
٢٠٩	مؤامرة .. واويلتاه ا
٢١١	خالصة لو :- ه الله
٢١٢	تقتلك الفتة الباغية
٢١٤	على من يقع الوزر ؟
٢١٦	كيف بك مع ابن الطنقاء ؟
٢١٧	همه الدنيا فقط
٢١٩	ليتهم ما فعلوها
٢٢١	تفرقة وأى تفرقة ا
٢٢٣	له الله ا
٢٢٤	أبو موسى وعمرو والامان
٢٢٥	من هنا بدأ الخوارج
٢٢٧	لله الامر
٢٢٨	مظلوم وأيم الله ا
٢٣٠	عفوا .. وغفرا

الصفحة	الموضوع
٢٣٢	أهل الاستقامة والسنة
٢٣٥	النواة الأولى للمذهب
٢٣٧	الإسلام النقي
٢٣٨	معا .. في مضمار
٢٤٠	شهادة .. وتقدير
٢٤٤	أما كيف بدأت الإباضية دورها ؟
٢٤٦	الفرقة الناجية
٢٤٧	الامانة العظمى والاباضية
٢٤٨	ماذا كان قبل الاباضية ؟
٢٥٣	أحماض .. وأمراض
٢٥٥	قالها .. لا
٢٥٦	أقدم من اسمه
٢٥٧	على مستوى العالم
٢٥٩	أم المذاهب ..
٢٦١	علاقة بين الأنزمام
٢٦٢	كانا على موعد
٢٦٣	عبد الله بن أباض
٢٦٨	المقامات .. والطريق
٢٧٠	يالها من رسالة!
٢٧٦	وهكذا ..
٢٧٧	لاني مهاجر إلى ربي
٢٨٤	الخطاب الثامن

الصفحة	الموضوع
٢٩٧	التبج الذي فاض
٢٩٨	مع أهل عمان
٢٩٩	عن من نقلوا ؟
٣٠٢	ذرية بعضها من بعض
٣٠٤	وعموما ..
٣٠٤	إمامة .. وأئمة
٣١٣	ليس لها مثيل
٣١٦	طربي للغرباء
٣١٨	أنن أعاشنى الله
٣١٩	أحرزوا قصب الابق
٣٢١	ومنهم الخطباء والشعراء
٣٢٣	وأيضاً .. فقهاء ومحدثون
٢٢٤	حق علم العروض
٣٢٥	صاحب الكامل وأيام العرب
٣٢٧	تلك هى عمان ..
٣٣١	خاتمة
٣٤٩	الفهرس
٣٥٧	للمؤلف

المؤام

- ١ - بحوث في قصص القرآن
- ٢ - الآيات الكونية في القرآن
- ٣ - مع الإسلام في إنسانيته .
- ٤ - الإسلام .. والحياة .
- ٥ - الدييمقراطية الصحيحة .. والإسلام
- ٦ - الثورة الاجتماعية في الإسلام
- ٧ - فلسفة الجهاد في الإسلام
- ٨ - الوحدة الإسلامية من القرآن والحديث
- ٩ - المسلمون على مفترق الطرق
- ١٠ - إفلاس المذاهب البشرية
- ١١ - الأيديولوجيات الملحدة
- ١٢ - البطل الفاتح خالد بن الوليد
- ١٣ - ثورة ونوار
- ١٤ - مطلع الفجر
- ١٥ - من مشاهد يوم القيامة
- ١٦ - علامات استنهام؟؟
- ١٧ - ماذا بعد الحق؟
- ١٨ - مع هؤلاء الشوامخ
- ١٩ - الإسلام في مواجهة الشيوعية
- ٢٠ - الشيوعية دون قناع

- ٢١ - السياسة الاقتصادية في الإسلام
- ٢٢ - الدين سلوك ومعاملة
- ٢٣ - المرأة في موازين الإسلام
- ٢٤ - ساسرة العقيدة وتجار الديانات
- ٢٥ - علامات على الطريق
- ٢٦ - أيها المسلمون !
- ٢٧ - إنه لقرآن كريم
- ٢٨ - التعارن الخليجي خطوة إلى الامام
- ٢٩ - المسلمون ... والقوة الثالثة
- ٣٠ - العالم في طريقه إلى الاسلام
- ٣١ - الاباضية مذهب وسلوك
- ٣٢ - أضواء على تفسير القرآن الكريم في ثلاثين جزءا
تحت الطبع
- ٣٣ - جابر بن زيد .. من سلسلة دهمان .. والامبراطورية العربية .
تحت الطبع
- ٣٤ - يا أمة العرب ...
- ٣٥ - نوعيات من الناس ...
تحت الطبع

ترقب

شيخ المحدثين وإمام الفقهاء

« جابر بن زيد »

ضمن سلسلة عمان ... والامبراطورية العربية

إنه في الطريق إليك

رقم الايداع ٨٦/١١٠

طبع بمطبعة الألوان الحديثة بالوطنية ت : ٥٦٢٢٧٦

